

آداب

ISSN 0302- 8844 ■ مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم

مجلة علمية نصف سنوية محكمة. تصدر عن كلية الآداب – جامعة الخرطوم



العدد 55
المجلد 1

يوليو 2026



آداب



ISSN 0302- 8844

مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم

مجلة علمية نصف سنوية محكمة. تصدر عن كلية الآداب – جامعة الخرطوم

العدد ٥٥. المجلد ١. يوليو ٢٠٢٦

هيئة التحرير	الهيئة الاستشارية
رئيس التحرير أ.د. صديق مصطفى الريح مدير التحرير أ.د. أزهرى مصطفى صادق علي أعضاء هيئة التحرير أ.د. الصادق يحيى عبد الله د. محمد الفاتح حياتي د. عفاف محمد الحسن د. رشا البارودي د. نادرة عبد الله علي د. وليد نورالدائم د. أحمد عبد المنعم سكرتارية المجلة أ. وليد مدثر أ. سارة مأمون	أ.د. فدوى عبد الرحمن علي طه أ.د. علي عثمان محمد صالح أ.د. جلال الدين الطيب أ.د. رقية السيد الطيب العباس أ.د. حمد النيل محمد الحسن أ.د. الحسين النوريوسف أ.د. يحيى فضل طاهر أ.د. مبارك حسين نجم الدين د. يونس الأمين د. محاسن حاج الصافي د. حسن علي عيسى
تعلنون إلى رئيس التحرير: كلية الآداب جامعة الخرطوم. ص. ب ٣٢١ أو البريد الإلكتروني: Journal.art@uofk.edu أو siddig.alrattyah@uofk.edu	

المحتويات

القسم العربي

١	 أثر المثال المصنوع في قسمة حروف المعاني. د. أنور بن محسن أحمد العزاني
٢٦	 ٢. عود الضمير على الاسم تقديمًا وتأخيرًا. دراسة وصفية. أ.د. محمد حمدنا الله رملي
	 ٣. آلية تعريب اللفظ العجمي عند العرب. دراسة وتحليل من كتاب الجواليقي: المغرب من الكلام الأعجمي على
٥٨	 حروف المعجم. د. عباس محمد إسماعيل موسى
	 ٤. السلوك الصحي لدى مرضى السكري بمركز علاج السكر بمستشفى عطبرة التعليمي. صفاء عبد الحميد سيد
٧٤	 أحمد الصاوي، د. عمر محمد علي يوسف
	 ٥. الفضائيات العربية التنصيرية ودورها في التأثير على الهوية الدينية للمسلمين دراسة حالة قناة الحياة
١١٧	 المسيحية- (برنامج ليكن نور). أ.د. أبكر عبد البنات آدم، د. المعز حمودة على حمودة، د. أسامة الطيب
	 ٦. فلسفة الأضداد وفق رؤية العالم والإنسان من خلال رسائل النور. استعادة قراءة النص النورسي فلسفياً.
١٤٩	 د. عصمت محمود أحمد سليمان
	 ٧. الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا. د. أحمد عبد المنعم محمد أحمد، أ. عبد الله يوسف
١٨٨	 عبد الله أبو شوكة
٢٣١	 ٨. القصة القصيرة جداً: جذور تراثية وتجليات معاصرة (دراسة موازنة). د. سلوى عثمان أحمد
	 ٩. الشهيناب: الملخص والاستنتاجات. أنطوني جون أركل ١٩٥٣م. ترجمة ودراسة نقدية. أ.د. أزهرى مصطفى
٢٦٨	 صادق

القسم الأجنبي

10. The Style and Cohesive devices' Role in UNSC Documents Dr. Sana Altigani Fad-Allah	321
11. The Architecture of the Self: Defense Mechanisms and Post-Traumatic Growth in Angelou's Narrative I Know Why the Caged Bird Sings. Amel Mohamed Saeed Bayoumi	336

قواعد النشر وشروطه

آداب مجلة علمية محكمة تصدر في يناير ويوليو من كل عام عن كلية الآداب جامعة الخرطوم وتقبل البحوث في مجالات الآداب والفنون والعلوم الإنسانية باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية مع مراعاة الآتي:

١. ألا يكون البحث المقدم للمجلة قد نشر أو قدم للنشر في مكان آخر.
٢. تخضع البحوث المنشورة في هذه المجلة للتحكيم العلمي الذي يتولاه أساتذة مختصون وفق ضوابط موضوعية.
٣. تسلم نسختان مطبوعتان من البحث على معالج نصوص (حاسوب) مع أسطوانة مدمجة تحتوي على البحث. أو ترسل على البريد الإلكتروني journal.art@uofk.edu أو prof.siddig.alrayyah@gmail.com.
٤. يراعى في البحث ألا يتجاوز ١٠,٠٠٠ كلمة، وألا يقل عن ٥٠٠٠ كلمة، ويرفق الباحث مستخلصاً باللغتين العربية والإنجليزية لبحثه بما لا يتجاوز صفحة واحدة (٢٠٠) كلمة، ويذيل هذا المستخلص بما لا يزيد على خمس كلمات مفتاحية تبرز أهم المواضيع التي يتطرق إليها البحث. ويراعى أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان البحث واسم الباحث، والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية وعنوان البريد والبريد الإلكتروني باللغتين العربية والإنجليزية.
٥. تنشر المجلة مراجعات الكتب بحدود (٢٠٠) كلمة، على ألا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين، ويدون في أعلى الصفحة عنوان الكتاب واسم المؤلف ومكان النشر وتاريخه وعدد الصفحات. وتتألف المراجعة من عرض وتحليل ونقد، وأن تتضمن المراجعة خلاصة مركزة لمحتويات الكتاب. مع مراعاة الاهتمام بمناقشة مصداقية مصادر المؤلف وصحة استنتاجاته.
٦. أن يوثق البحث علمياً بذكر المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في نهاية البحث. وترتب المراجع في نهاية البحث هجائياً على ألا تحتوي قائمة المراجع إلا على تلك التي تمت الإشارة إليها في متن البحث. يشار إلى جميع المصادر في متن البحث بالطريقة التالية (اسم العائلة. سنة النشر. الصفحة أو الصفحات) مثال: (صديق، ٢٠٢١، ١٤) (Adams, 2000, 14). وتوثق في قائمة المراجع والمصادر كما يلي:
للكتب وبعث المؤتمرات:
● أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٦٤م.
للمقالات والفصول في الكتب:
● قاسم المومني، "علاقة النص بصاحبه دراسة في نقود عبد القاهر الجرجاني الشعرية"، عالم الفكر، الكويت: العدد الثالث يناير/مارس ١٩٩٧م، ١١٣-١٢٨.
يراعى في المراجع الأجنبية النمط نفسه
٧. تعبر البحوث التي تنشرها المجلة عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو أية جهة أخرى يرتبط بها صاحب البحث.
٨. لهيئة التحرير الحق في إدخال التحرير والتعديل اللازمين على الأبحاث. وتعد هيئة التحرير رأي محكم المقال نافذاً بالنسبة لنشر البحث أو عدمه أو إدخال التعديلات التي يوصي بها المحكم.
٩. لا تقبل البحوث والدراسات التي تعد لإكمال مطلوبات إجازة الرسائل الجامعية (الدكتوراه).
١٠. لهيئة التحرير الحق في رفض أي بحث مقدم لها دون إبداء الأسباب.
١١. دفع رسوم النشر المقررة على الباحثين غير السودانيين والسودانيين بالخارج أو من خارج الجامعة كل على حسب فنته.

أثر المثال المصنوع في قسمة حروف المعاني

د. أنور بن محسن أحمد العزاني

قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية من جامعة الملك خالد

المستخلص

يعالج هذا البحث قضية المثال المصنوع في قسمة حروف المعاني من حيث إنه مثال يضعه النحوي من عنده لا مما جاء في كلام العرب، ولا في صحيح منطوقها، وكيف يؤثر هذا المثال المصنوع في تقسيم حروف المعاني، وتوسيع الدلالات، وتكثير الأقسام، بل يزيد معاني لم تثبت بالنقل الصريح كما سنرى في هذا البحث. وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي من خلال إجراءات التتبع لمواضع هذه الواو في كتب حروف المعاني خاصة، وكتب النحاة عامة، ودراساتها وتحليلها. وقد خلص البحث إلى نتائج مهمة؛ كإخراج (واو التذكر) من أقسام الواو المفردة؛ لأنها ليست أكثر من واو مزيدة نتجت عن مد الصوت، وإشباع حركة الآخر تأتي في الكلام للضرورة، أو للتذكر، أو لإقامة الوزن، والاعتماد في معنى الحرف على الشاهد اللغوي الأصيل من قرآن، أو حديث نبوي، أو كلام العرب الفصيح: شعراً أو نثراً المنقول بالنقل الصحيح.

الكلمات المفتاحية: أثر، المثال، المصنوع، قسمة، حرف المعنى

Abstract

This research addresses the issue of contrived exemplification (al-mithal al-masnu') within the taxonomical classification of meaning-conveying particles (huruf al-ma'ani). It specifically tackles the practice wherein grammarians formulate artificial examples that lack a foundation in authentic Arabic corpus or verified linguistic tradition. The study further analyzes the impact of these fabricated constructs on the systemic categorization of particles, the unwarranted expansion of semantic functions, and the proliferation of categories that lack rigorous philological substantiation. Adopting a descriptive-analytical methodology, the research traces the occurrences of the particle "Waw" within specialized treatises on particles and general grammatical references. The study yields significant findings, most notably the exclusion of the "Waw of Recollection" (waw al-tadhakkur) from the categories of the singular "Waw." It asserts that this particle is merely a phonetic augmentation resulting from vocalic elongation (ishba') and prosodic necessity—serving mnemonic purposes rather than possessing inherent semantic properties. Ultimately, the research advocates for a stringent commitment to authentic linguistic evidence—derived from the Holy Qur'an, Prophetic Tradition, and the classical eloquence of Arabic poetry and prose—as the sole authoritative basis for determining linguistic meaning.

Keywords: Impact, Fabricated Example, Division, Grammatical Particle (ḥarf al-ma'nā)

المُقدِّمة:

أدّى المثال المصنوع إلى اختلاف النحاة في تقسيم بعض الحروف؛ فبعضهم يُكثر من المعاني بناءً على أمثلة مصنوعة، بينما قصر آخرون هذه الأقسام على ما ثبت بالسماع عن العرب.

ودراسة أثر المثال المصنوع في تقسيم حروف المعاني تكشف عن جانب مهمّ من منهج النحاة في بناء القاعدة، وتُسهم في إعادة النظر في بعض التقسيمات، من خلال التفريق بين ما هو قائم على السماع وما هو مبنيّ على الصنعة والتصور والتمثيل.

وهذا التباين يعكس اختلافًا منهجيًا بين النحاة الذين ألفوا كتبًا في حروف المعاني؛ ففي الوقت الذي نجد أن متأخريهم قد زادوا قسمًا من أقسام حرف الواو؛ وهو (حرف التذكر) أغفل متقدموهم ذكر هذا القسم من أقسام حرف المعنى الواو؛ إذ أهمل ذكره الزجاجي (٣٣٧هـ)، والرماني (٣٨٤هـ)، والهروي (٤١٥هـ)، وذكره المالقي (٧٠٢هـ)، والمرادي (٧٤٩هـ)، وابن هشام (٧٦١هـ).

ويبدو للباحث أن النحاة الذين ذكروا هذا القسم (واو التذكر أو التذكار أو الاستذكار) من أقسام الواو كانوا حرصين على إيراد كل ما طاف بذهن العلماء، وطلاب العلم في زمنهم مما صح به النقل عن العرب، وما لم يصح، وما جاء في منطوق العرب، وما لم يحجّ!

وقد تنبّه العلماء القدماء على أن اللغة أساليب دقيقة يستعملها المرء في التعبير عن معانيه، واللغة تمدّ ناطقها - في سبيل بيان مقاصده - بطرائق متنوعة، وأساليب متعددة ينتخب منها ما يشاء في أثناء استعمال اللغة.

وبالجملة فإن في التعبير القرآني ما لا يُحصى عددًا من آيات الإعجاز والأسرار ما يجعل النحاة في غنى عن الإتيان بأقسام لحروف المعاني لم ترد فيه، ولا في كلام العرب تثقل كاهل السياق اللغوي؛ إذ إن الشاهد على هذا القسم شاهد مصنوع، ومثال مبتدع لم تسلك فيه العرب سبيلاً.

لهذا وجهت الدراسة إلى هذا القسم من أقسام الواو، متتبعاً مواضعه في بطون أمات الكتب النحوية، وكتب حروف المعاني، وبعض المعجمات العربية، وكتب تفسير القرآن وعلومه وإعرابه.

كان أوّل ما لفت انتباهي إلى هذا القسم، وأنا أقرأ أقسام الواو ومعانيها في كتاب مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري القسم الحادي عشر الذي سماه (واو التذكّر)، وزادت دهشتي حين لم يكن هناك شاهدٌ من لغة العرب على هذا القسم من أقسام الواو.

ولما تأملتُ في هذه الواو وجدت حقيقتها لا تخرج عن كونها واو الإشباع؛ وهو "أن تزيد في الحركة حتى تبلغ بها الحرف الذي أخذت منه"، (أبو شامة، د.ت، ٥٥٢) وهي قضية صوتية تحكمها المشافهة.

وبعد القراءة عزمْتُ على النظر في أقوال أئمة النحو وعلماء حروف المعاني، وتحقيق وجود هذه الواو، وتحقيق تسميتها بواو التذكر أو الاستذكار، وبيان حقيقتها التي جاءت مختصرة عند بعض مؤلفي المعجم؛ كالفيروزآبادي الذي ذكر مصطلح (واو التذكر) فقط، ولم يورد شاهداً من كلام العرب، ولا مثلاً على هذه الواو (الفيروزآبادي، ١٤٢٦هـ، ١/١٣٥٥)، ومثل هذا الاختصار جاء في حديث النحاة وأمثلتهم المصنوعة، التي لم تتجاوز قولهم: يقومو، وأضربو، ويقولو.

الفريق الذي ذكر مصطلح حرف التذكر أو التذكار أو الاستذكار:

١- سر صناعة الإعراب (٣٩٢هـ): قال ابن جني في باب زيادة الواو: "وقد زیدت الواو على

الحرف المضموم إذا وقفت عليه متذكراً لما بعده من الكلام؛ فتقول: الرجل يقومو؛ أي يقوم غداً أو نحوه، والرجل ينطلقو؛ أي: ينطلق إلينا؛ فمدوا بالواو؛ لأنهم لا ينون القطع... وجعلوا ذلك علامة الاستدكار". (ابن جني، ١٤٢١هـ، ٢/ ٢٩٤). وقال في موضع آخر: "ومن قال: لو أنطلق يزيد لكان كذا قال في التذکر: لو". (ابن جني، ١٤٢١هـ، ٢/ ٤٠١).

٢- **المفصل في صنعة العربية (٥٣٨هـ):** ذكر الزخشي هذه الواو تحت عنوان (ومن أصناف الحرف حرف التذکر)، بقوله: "وهي أن يقول الرجل في نحو: قال، ويقول: ومن العام: قالاً؛ فيمد فتحة اللام، ويقولو، ومن العامي إذا تذکر، ولم يرد أن يقطع كلامه". (الزخشي، ١٩٩٣م، ٤٦٧).

٣- **مشارك الأنوار على صحاح الآثار (٥٤٤هـ):** أشار عياض إلى هذا الحرف بقوله: "ومن العرب من يمد الهمزة، ويجعل بعدها واوين اثنتين؛ فيقول: أووه، وكله بمعنى التذکر". (عياض بن موسى د.ت، ١/ ٥٢).

٤- **شرح المفصل (٦٤٣هـ):** شرح ابن يعيش كلام الزخشي في واو التذکر، ولم يعلق عليه، ولعله موافق للزخشي في هذا القسم من أقسام الواو؛ فقال: "اعلم أن هذه المدّة قد تزداد بعد الكلمة أو الحرف إذا أريد اللفظ بما بعده، ونُسي ذلك المراد؛ فيقف متذكراً، ولا يقطع كلامه؛ لأنّه لم ينته كلامه... فإن كان قبل المتوقّع حرف متحرّك، فلا يخلو من أن يكون مفتوحاً أو مضمومًا أو مكسوراً، نحو: (قال) مثلاً، و(يقول)، و(من العام). فإن كان مفتوحاً ألحقته ألفاً، نحو: (قالاً)، وإن كان مضمومًا ألحقته واواً، نحو: (يقولوا)، وفي المكسور ياءً، نحو: (من العامي) إذا تذکر، ولم يرد أن يقطع". (ابن يعيش، د.ت، ٩/ ٥٢).

٥- **شرح الكافية الشافية (٦٧٢هـ):** نظم ابن مالك في الكافية الشافية قوله:

وَأَشْبَعَنْ تَحْرِيكَ آخِرِ لَدَى تَذَكُّرٍ إِنْ غَيْرَ وَقْفٍ قَصْدًا

ثم شرح البيت قائلاً: "وإذا نطق المتكلم بكلمة، فقصد تذكّر ما يتصل بها دون قطع لكلامه وصل آخر الكلمة بمدة تجانس حركته إن كان متحرّكاً، نحو قول من قصد ذلك بعد نطقه بـ (قال): قالاً، وبعد نطقه بـ (يقول): يقولو، وبعد نطقه بـ (من العام): من العامي". (ابن مالك، د، ت، ١٧٢٧-١٧٢٨/٣).

٦- رصف المباني (٧٠٢هـ): ذكر المالقي هذا القسم في باب الواو المفردة من قسم الواو الأصل الموضوع في الكلمة نفسها بقوله: "أن تكون للتذكر لما مضى؛ فتمدها إذا وقفت على الكلمة المتحركة بالضم نحو قولك في: أضربُ زيداً إذا وقفت على أضربُ دون (زيدي) أضربو". (المالقي، ١٤٠٥هـ، ٤٩٧).

ويبدو لي أن المالقي ناقض قوله: (للتذكر لما مضى) بالمثال المصنوع الذي أورده؛ فمثاله يدل على تذكر ما سيأتي وليس ما مضى؛ فقول القائل: أضربو إذا وقف يتذكر إنها يتذكر ما سيأتي بعد هذا الفعل وهو كلمة (زيد) وليس ما مضى ذكره قبل الفعل.

٧- الجنى الداني (٧٤٩هـ): قال المرادي -في أثناء ذكر أقسام الواو-: "التاسع واو التذكّر، نحو قولك: يقولو تعني: يقول زيد، وحرف التذكّر -أيضاً- تابع لحركة الآخر، وإنما يكون ذلك في الوقف على الكلمة". (المرادي، ١٤١٣هـ، ١٧٢).

٨- مغني اللبيب (٧٦١هـ): أشار ابن هشام إلى هذا القسم بقوله: "واو التذكّر؛ كقول من أراد أن يقول (يقوم زيد)؛ فنسي (زيد)؛ فأراد مد الصوت؛ ليتذكر إذ لم يرد قطع الكلام: يقومو". (ابن هشام، ١٩٨٥ م، ٣٦٨/٢).

٩- بصائر ذوي التمييز والقاموس المحيط (٨١٧هـ): تحدث الفيروزآبادي عن بصيرة الواو بقوله: "الثالث عشر: واو التذكّر". (الفيروز آبادي، ١٩٩٦ م، ١٥٠/٥). وقال في القاموس: "الرابع

عشر: واو التذكر". (الفيروزآبادي، ١٤٢٦هـ، ١/ ١٣٥٥).

١٠- همع الهوامع شرح جمع الجوامع (٩١١هـ): ذكر السيوطي هذا القسم بقوله: "وَتَأْتِي الْوَائِ لِلتَّذْكِيرِ وَالْإِنْكَارِ كَقَوْلٍ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ يَقُومُ زَيْدٌ نَفْسَ (زَيْدٍ) فَأَرَادَ مَدَّ الصَّوْتِ لِيَتَذَكَّرَ إِذْ لَمْ يَرِدْ قَطَعَ الْكَلَامَ يَقُومُو". (السيوطي، د.ت، ٣/ ١٩١).

١١- تاج العروس (١٢٠٥هـ): أشار الزبيدي إلى هذه الواو في أثناء حديثه عن أقسام الواو قائلاً: "الرَّابِعُ عَشَرَ: وَائِ التَّذْكِيرِ، كَذَا فِي النِّسْخِ، وَالصَّوَابُ التَّذْكِيرُ، فَفِي التَّكْمِلَةِ: وَتَكُونُ لِلتَّغْيِيهِ وَالتَّذْكِيرِ كَقَوْلِكَ: هَذَا عَمَرُو فَتَسْتَمِدُّ ثُمَّ تَقُولُ مَنْطَلِقُ". (الزبيدي د.ت، ٤/ ٥٢٣). والمقصود بالواو -هنا- في كلمة (عَمَرُو) الواو الناشئة من مد الضمة التي على الراء إذ الأصل: هذا عَمَرُ، وليست الواو تُزاد كتابةً للتفريق بين عَمَرٍ وَعَمَرٍ (و).

الفريق الذي لم يذكر مصطلح واو التذكر أو حرف التذكر:

١- الكتاب (١٨٠هـ): ذكر سيبويه مسألة مط الحركة ومطلها عند التذكر بقوله: "هي ههنا كقول الرجل وهو يتذكر: قدي، فيقول: قد فعل ولا يفعل... ويقولوا الرجل: ألي، ثم يتذكر". (سيبويه، ١٤٠٣هـ، ٣/ ٣٢٥). وقال في موضع آخر: "ألا ترى أن الرجل إذا نسي فتذكر ولم يرد أن يقطع يقول: ألي، كما يقول قدي". (سيبويه، ٤/ ١٤٧). فسيبويه -هنا- لم يزد في قوله السابقين على القضية الصوتية، وهي مط الحركات ومطلها عند المتحدث الناسي إذا أراد أن يتذكر ما يتكلم فيه، ولم يسم هذا المط أو المطل قسماً جديداً من أقسام الياء؛ فقد ذكرها على أنها قضية صوتية ليس غير!

٢- المقتضب (٢٨٥هـ): أغفل المقتضب قسم ذكر واو، وحاصل ما فيه مسألة مطل حركة الآخر؛ لتصير حرفاً من جنسها "وَمِنْ أَلْفَاتِ الْوَصْلِ الْأَلْفِ الَّتِي تَلْحَقُ مَعَ اللَّامِ لِلتَّعْرِيفِ وَإِنَّمَا زِيدَتْ عَلَى اللَّامِ لِأَنَّ اللَّامَ مُنْفَصِلَةٌ مِمَّا بَعْدَهَا فَجَعَلَتْ مَعَهَا اسْمًا وَاحِدًا بِمَنْزِلَةِ قَدْ أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَتَذَكَّرَ

يَقُولُ قَدْ فَيَقِفُ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ يَذْكَرَ مَا بَعْدَهَا فَإِنْ تَوَهَّمُ شَيْئًا فِيهِ أَلْفُ الْوَصْلِ قَالَ قَدِي يَقْدَرُ قَدْ
انْطَلَقْتُ قَدْ اسْتَخَرْتُ وَنَحْوُ ذَلِكَ". (المبرد، د.ت، ٢/ ٩٤).

٣- الأصول في النحو (٣١٦ هـ): لم يذكر ابن السراج قسم واو التذکر، وغاية الموجود في أصوله
مسألة تحريك الساكن في قول أبي النجم: (من الرجز)

إِذَا اسْتَحْثُوها بِحَوْبٍ أَوْ حَلٍ

(سيبويه، ١٤٠٣ هـ، ٤/ ٢١٦، ابن السراج، ١٤٠٥ هـ، ٢/ ٣٩٢).

ثم نقل نص سيبويه، ولم يزد على ذكر المسألة الصوتية في مطلق حركات الآخر؛ كالفتحة،
والكسرة، والضمّة؛ لتصير ألفاً أو ياءً أو واوًا. (ابن السراج، ١٤٠٥ هـ، ٢/ ٣٩٢).

٤- حروف المعاني (٣٣٧ هـ): من خلال قراءتي كتاب الزجاجي هذا لم أقف على قسم واو التذکر من
أقسام الواو، وحاصل ما عنده تقسيمه الواو تسعة أقسام على النحو الآتي: واو العطف، وواو
الحال، وواو بمعنى مع، وواو الرفع، وواو الصرف، وواو الندبة، وواو بدل الياء في موقن، وواو
الإلحاق في كثر، وواو الفعل المعتل المثال في وعد. (الزجاجي، ١٩٨٤ م، ٣٦ - ٣٩).

٥- معاني الحروف (٣٨٤ هـ): لم يذكر الرماني في كتابه (معاني الحروف) أي نوع للواو حتى المشهور
من أقسامها، فضلاً عن واو التذکر. أما الحروف المذكورة في كتابه؛ فهي: اللامات (١٢ لامًا)،
والألغات (١١ ألفًا)، والهاءات (٧ هاءات)، والياءات (١٠ ياءات)، والنونات (٨ نونات)،
والتاءات (١٠ تاءات)، وذكر لـ ما (١٠ وجوه)، ومن (٧ أوجه)، وأي (٧ أوجه)، وأن المخففة
(٤ أوجه)، ولام الإضافة (٤ أوجه). (الرماني، ١٤٠٧ هـ، ٢١ - ٥١).

٦-الأزهية (٤١٥ هـ): أهمل الهروي ذكر قسم واو التذكر من أقسام الواو التي ذكرها؛ فقد قسمها اثني عشر قسمًا.. وافق الزجاجي في أربعة أقسام؛ هي: واو العطف، وواو الحال، وواو بمعنى (مع)، وواو رُبِّ، وواو الصرف الناصبة للفعل المضارع، وزاد عليه أنواعًا لم ترد عند الزجاجي؛ نحو: واو القسم، وواو رب، وواو بمعنى الباء، وواو التخيير، وواو مقحمة زائدة، وواو التوكيد. ونقص عن الزجاجي في أنواع لم يذكرها؛ نحو: واو علامة الرفع، وواو الندبة، وواو بدلا من الياء، وواو الإلحاق، وواو الفعل الأصلية. (الهروي، ١٤١٣ هـ، ٢٣١-٢٤٠).

٧-جواهر الأدب (من وفيات النصف الثاني من القرن الثامن الهجري): ذكر الإربلي أحد عشر قسمًا للواو، هي: واو القسم، وواو الحال، وواو بمعنى (مع)، وواو رب، وواو الصرف، وواو العطف، وواو الإنكار، وواو زائدة على وجهين: غير مفيدة وتكون للابتداء، ومفيدة تكون للندبة، وواو الثمانية، وواو الجماعة. (علاء الدين الإربلي، ١٤١٢ هـ، ٧٥-٨٢).

وفي تقديري أن الإربلي لا يرى واو التذكر قسمًا من أقسام الواو؛ إذ لم يذكرها في أقسام الواو مع أن من سبقه؛ كالمالقي والمرادي قد ذكرا هذا النوع من الواوات؛ وجرى العرف في التأليف - غالبًا - أن يقتفي اللاحق أثر السابق في التقسيم والتسميات والشواهد.

٨-هناك مصادر غير قليلة لم تورد واو التذكر، وحاصل ما وقفتُ عليه فيها مسألة مطل الحركات ومدّها؛ لتصير حروفًا من جنس الحركات. (الزجاجي، ١٤٠٥ هـ، ٤١، وابن جني، د.ت، ١٣٢/٣، وابن عصفور، ١٩٩٦م، ٣٧٩، وابن الصائغ، ١٤٢٤ هـ، ١/١٢٩، والأنباري، ١٤٢٤ هـ، ٦١٦/٢، والأزهري، ١٤٢١ هـ، ٢٧/١، الصبان، ١٤١٧ هـ، ٤٧/١).

الدراسة:

يبدو لي أن هذه الواو ليست أكثر من إشباع تولّد من حركة الضمة عند مد الصوت بها"

حُرُوف المَدَّ واللين هِيَ الَّتِي تَكُون مِنْهَا الحركات وَيُمْكِن مد الصَّوْت بها وَهِيَ اليَاء وَالْوَاو وَالْأَلْف". (الرماني، د.ت، ٨٣).

ويبدو لي فيما يأتي دليل على أن واو التذکر -في حقيقتها- واو الإشباع:

١/ لم يرد هذه القسم عند أئمة النحو؛ كالخليل، وسيبويه، والفراء، والمبرد، وابن السراج في أثناء حديثهم عن الواو ومعانيها وأقسامها، وربما يجوز لي الاعتلال لذلك بأن هؤلاء الأئمة لا يرونها حرفاً من حروف المعاني؛ لمعرفتهم أنها قضية صوتية تنشأ من مطل الحركات، ومد الصوت بها ليس أكثر " ألا ترى أن من متقدمي القوم من كان يسمي الضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والفتحة الألف الصغيرة. ويؤكد ذلك عندك أنك متى أشبعت، ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفاً من جنسها". (ابن جني، د.ت، ٣١٥/٢).

٢/ هل يحق لنا أن نسأل عن السبب الذي منع نحاة حروف المعاني المتقدمين؛ كالزجاجي، والرماني، والهروي، والإربلي أن يذكروا هذا القسم من أقسام الواو في أثناء حديثهم عن الواو وأقسامها ومعانيها، وهم في مقام بيان الحروف وتفصيل معانيها! وفي تقديري أنهم لا يرونها حرفاً من حروف المعاني؛ لأنها قضية صوتية حدث فيها إشباع حركة الآخر فقط؛ والإشباع مد الصوت لا معنى من معاني الحروف.

٣/ لم يصدر نحاة حروف المعاني عن منهج واضح، وضابط مستقر في أقسام الواو، وتسمياتها؛ إذ القوم مختلفون في تسمية الواو في الشاهد الواحد؛ كتعقب المرادي لمن قال إن الواو في قوله تعالى: ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقْرِئَ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ (الحج:٥) واو الاستئناف (الفراء، د.ت، ٦٧/٢، المالقي، ١٤٠٥ هـ، ٤٢٢، ابن هشام، ١٩٨٥ م، ٣٥٩/٢)؛ فهو يراها واو العطف التي تعطف الجُمْل. (المرادي، ١٤١٣ هـ، ١٦٣).

وله تعقب آخر على المالقي في الواو التي تكون بدلاً من همزة الاستفهام إذا كان بعدها همزة؛

كقراءة قبل ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ أَمْسُكْ بِهِ﴾ (الأعراف: ١٢٣)، قال: "ولا ينبغي ذكر مثل هذا، إذ لو فتح هذا الباب لعدت الواو من حروف الاستفهام". (المرادي، ١٤١٣، ١٧٢).

وإذا جئنا إلى قسم واو الثمانية وجدنا المرادي يصف القائلين بها أنهم من ضعفه النحاة، والتحقيق عنده أنها إمّا الواو العاطفة وإمّا الواو الحالية. (المرادي، ١٤١٣ هـ، ١٦٧).

ومثل ذلك كثير، والبحث ليس مضطراً إلى الخوض في تعقبات المرادي، وتحقيقها إما صواباً وإما خطأ بالقدر الذي يأخذ من هذه التعقبات دليلاً على عدم المنهج المستقيم في عدة حروف المعاني وتسمياتها عند علمائها، الذين أرادوا أن يتبعوا "كل المعاني والأفكار التي طافت بعقول العلماء، والمتأديين في عصرهم؛ فذكروا ما يصح وما لا يصح؛ كواو التذكر، وواو الذكورة، واو الإنكار، وواو الثمانية... إلى غير ذلك من المعاني التي لم تعرفها اللغة الفصيحة، ولم يثبت منها شيء عند التحقيق". (محمد نائل، ١٤٠٩ هـ، ٢٠٨-٢٠٩).

حتى هذا التبع لذكر ما يصح، وما لا يصح جاء ناقصاً غير تام؛ إذ أهمل نحاة حروف المعاني ذكر (واو أزد السراة)، وأغفلوها، الذين "يقفون بإبدال التنوين ألفاً بعد الفتحة، وواواً بعد الضمة، وياءً بعد الكسرة؛ فيقولون: رأيت زيدا، وهذا زيدو، وهذا عُمرو، ومررت بزيدي، وبعمري" (قشاش، ٢٠٠٩ م، ١٩٨).

واعتلّ سيبويه لهؤلاء الأزدية في هذه الظاهرة قائلاً: "جعلوه قياساً واحداً؛ فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف". (سيبويه، ١٤٠٣ هـ، ١٦٧/٤). وهو قياس مقبول يدل على منهج مستقيم في استعمال وجوه الكلام العربي.

غير أن ابن الشجري لا يرى القياس مقبولاً؛ إذ وصف هذه اللغة بالرداءة في المجلس الخامس والأربعين بقوله: "وأزد السراة عوّضوا، فقالوا: زيدو، وبزيدي، وهي لغة رديّة، لثقل الواو

والضمة، والياء والكسرة، ولوقوع الواو وقبلها ضمة في آخر اسم معرب،". (ابن الشجري، ١٤١٣ هـ، ١٥٩/٢).

وسوّغ السيوطي هذه اللغة لأزد السراة مع الثقل من حيث إن بيان الكلمة أولى " وكان البيان عندهم أولى، وإن لزم النقل " (السيوطي، د.ت، ٤٢٧/٣).

٤/ في كلام ابن هشام نفسه دليل يبين على أن (واو التذكر) ليست قسماً مستقلاً له معناه في حروف المعاني عند التحقيق؛ إذ قال معقباً بعد ذكر قسم واو الإنكار: "وَالصَّوَابُ أَلَا تَعْدُ هَذِهِ؛ لِأَنَّهَا إِشْبَاعٌ لِلْحَرَكَةِ بِدَلِيلِ أَلْرَجْلَاهُ فِي النِّصْبِ وَأَلْرَجْلِيهِ فِي الْجَرِّ وَنَظِيرَهَا أَلْوَاوُ فِي مَنْوِيِ الْحِكَايَةِ وَفِي أَنْظُورٍ" (ابن هشام، ١٩٨٥ م، ٣٦٨/٢). وبعد ذلك ذكر (واو التذكر)، وعلق بقوله: " والصواب أن هذه كالتي قبلها ". (ابن هشام، ١٩٨٥ م، ٣٦٨/٢).

والتأمل قول ابن هشام السابق -والصواب- يجد أنه قد فطن - بشخصيته النحوية المحققة- إلى عدم إمكان أن تكون هذه الواو في حروف المعاني، بل الممكن كونها إشباعاً لحركة الآخر بمد الصوت، وكأنه يرفض أن يوافق من تقدمه على أن الواو للتذكر. يزداد على ذلك أن السيوطي - بعد أن ذكر كلام ابن هشام في حقيقة أن الواو للإشباع - أيده فيما ذهب إليه من صواب في عدم عدّ هذه الواو في حروف المعاني؛ إذ هي إشباع لحركة الآخر. (السيوطي، د.ت، ١٩١ / ٣)

٥/ أشار سيبويه في باب (الإشباع في الجر والرفع وغير الإشباع والحركة كما هي) إلى أن مط الحركات، وإشباعها؛ لتصير حروفاً من جنسها مسألة تحكمها المشافهة " فأما الذين يشبعون فيمطون، وعلامتها واو وياء، وهذا تحكمه لك المشافهة " (سيبويه، ١٤٠٣ هـ، ٤٠ / ٢٠٢)؛ فنص سيبويه دليل على أن المشافهة لا المعاني تحكم مد الصوت، وإشباع حركات الآخر بالفتحة، والكسرة، والضمة.

يزاد على ذلك أن سيبويه ذكر واوًا زائدة على الهاء في قولك: ضربتهو؛ لبيان أن الضمير للمذكر، كما تزداد الألف في المؤنث في قولك: ضربتها، ومررت بها. (سيبويه، ١٤٠٣ هـ، ٢ / ٢٢٣). فمع أن هذه الواو جاءت لتأدية معنى الذكورية، وفيها تمييز المذكر من المؤنث لم يسمها سيبويه (واو الذكورية)؛ لأنه يعرف أن حقيقتها مدة صوت بإشباع حركة الآخر.

وقال في موضع آخر في باب "تكون ألف الندبة فيه تابعة لما قبلها إن كان مكسورًا فهي ياء، وإن كان مضمومًا فهي واو، وإنما جعلوها تابعة: ليفرقوا بين المذكر والمؤنث ... وإنما جعلتها واوًا لتفرق بين المذكر والمؤنث، إذا قلت: واظهرها، وتقول: واظهرهموه، وإنما جعلت الألف واوًا؛ لتفرق بين الاثنين والجمع إذا قلت: واظهرهما" (سيبويه، ١٤٠٣ هـ، ٢ / ٢٢٤). فلماذا لم يسم سيبويه هذه الواو (واو التفريق) لما تؤديه من وظيفة التفريق بين المذكر والمؤنث، والمثنى والجمع؟ كما سمى غيره الواو الناتجة عن مط الصوت ومدته عند التذكر (واو التذكر)؛ لأنه يعلم أن هذه الواو حرف مبني لا حرف معني؛ إذ تستقيم بها بنية المذكر لا المؤنث.

وفي تقديري أن النظر في أصل وضع حرف المعنى المستقل عما دخل عليه من فعل أو شبهه أو اسم يحل إشكال واو التذكر؛ إذ لا أصل وضع لواو التذكر في الحروف؛ لأنها - في حقيقتها - مط الحركة الحرف ومدّها، وهذا عكس حرف المعنى في أبوابه المبثوثة في كتب المعاني؛ إذ له وجود حقيقي فضلاً عن معانيه المتعددة التي يؤديها بحسب السياقات المختلفة؛ يزداد على ذلك أن إخراج الحرف عن أصل وضعه، وتسميته على وفق الوظيفة التي يؤديها في السياق مسألة ينتج عنها عدد كبير من الحروف بحسب ما تؤديه من وظائف.

٦/ صرح المرادي - بعد ذكر واو التذكر - أن حرف "التذكّر - أيضًا - تابع لحركة الآخر، وإنما يكون ذلك في الوقف على الكلمة؛ لتذكر ما بعدها". (المرادي، ١٤١٣ هـ، ١٧٢). وفي قوله: "تابع لحركة الآخر" دليل على أن هذه الواو ليست أكثر من حركة الحرف الأخير في

الكلمة، وليست حرفاً أصلياً فيها؛ إذ هي من باب الإشباع ليس غير " والعرب تصل الضمة بالواو عند مطل حركة الآخر ومدّها". (ابن منظور، ١٤١٤ هـ، ١٥ / ٤٨٨).

قال ابن جني في (باب مطل الحركات): " وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة من جنسها؛ فتنشئ بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو". (ابن جني، د.ت، ٣/١٢٣).

٧/ لو أمعنا النظر في أمثلة القائلين بواو التذكر لوجدناها أمثلة مصنوعة ذات صبغة تعليمية ليس غير؛ كقولهم: أضربو، ويقومو، ويقولوا. ونجد الزمخشري يأخذ نص سيبويه في (باب إشباع حركة الآخر) ومطها؛ ليضع لهذا النص عنواناً تحت باب (من أصناف الحرف حرف التذكر) (الزمخشري، ١٩٩٣ م، ٤٦٧) مع أن سيبويه لم يخص هذا الباب بالواو، بل جاء كلامه عاماً في مسألة إشباع الفتحة في (قالا)، والكسرة في (العامي)، والضمة في (يقولوا)؛ فلم خص الزمخشري هذا النص بـ (واو التذكر)؟ ولم يجعله عاماً؛ فيذكر ذلك في باب (ألف التذكر)، و(ياء التذكر)؛ ليستقيم لديه المعيار في الأخذ من نص سيبويه الذي جاء عاماً في الأحرف الثلاثة لا خاصاً بالواو.

يبدو لي أن عدم إيراد النحاة لشاهد واحد على (واو التذكر) دليل على صنعة هذه الواو، وابتداعها في حروف المعاني؛ إذ لم يخرج كل من ذكر واو التذكر عن سلطان المثال الواحد المصنوع (أضربو، ويقومو، ويقولوا... إلخ).

ومما يزيد قناعتي بأن هذه الواو ليست حرف معنى، بل إشباع الصوت ومدّه أي وقفتُ - في كتب النحاة وبعض المعجمات العربية - على واو أطلقوا عليها واو الإشباع، ولها شواهد عندهم؛ كقول ابن هرمة: (من البسيط)

وَأَنْتَنِي حَيْثُمَا يَنْتَنِي الْهَوَى بَصْرِي
مِنْ حَيْثُمَا سَلَكَوْا، أَدْنُو فَأَنْظُرُ

أراد (فأنظر) فأشبع الضم؛ فنشأت الواو. (ديوان ابن هرمة، ١٣٨٩ هـ، ص ٢٣٩). وقال الآخر: (من البسيط).

هَجَوْتَ زَبَانَ ثَمَّ جِئْتَ مَعْتَذِرًا
مِنْ هَجَوِ زَبَانَ لَمْ تَهْجُو وَلَمْ تَدَعِ

أراد (تهج) فأشبع ضمة الجيم؛ فعادت الواو الأصلية في الفعل. (البيت منسوب إلى أبي عمرو بن العلاء في: ياقوت الحموي، ١٤١٤ هـ، ١٨/١١، وبلا نسبة في: ابن جني، ١٤١٢ هـ، ٦٣٠/٢، وابن منظور، ١٤١٤ هـ، ٤٠/٥٧٠، والبغداد، ١٤١٨ هـ: ٨/٣٥٩). وقال الآخر: (من الرجز).

خَوَذَ أُنَاةً كَالْمُهَاءِ عَطْبُول
كَأَنَّ فِي أُنْيَاهَا الْقَرْنُفُول

أراد القرنفل؛ فمط حركة ضمة الفاء. (البيت بلا نسبة في: ابن جني، د.ت، ٣/١٢٦، وابن منظور، ١٤١٤ هـ، ١١/٥٥٦). وأنشد آخر: (من الرجز).

لَوْ أَنَّ عَمْرَأَهُمَّ أَنْ يَرْقُودَا
فَانْهَضَ فَشَدَّ الْمِئْزَرَ الْمَعْقُودَا

أراد (يرقدا) فأشبع الضمة؛ فنشأت عن الإشباع الواو. (البيت منسوب إلى سلمة بن القراء في: ابن الأنباري ١٤١٢ هـ، ٢/٢٩٨، والأزهري ٢٠٠١ م، ٤٧٩/١٥).

مع أن توجيه الإشباع في ألفاظ الشواهد السابقة مختلف من كلمة إلى أخرى اتفق الجميع على أسميتها بواو الإشباع؛ فمثلا كلمة (أنظور) كان تخريج الإشباع فيها إما على أنها لغة طيء، يقولون في (أنظر) أنظور. (ابن دريد، ١٩٨٧ م، ٢/٧٦٤، وابن سيده، ١٤١٧ هـ، ١/١٠٩)، وإما

على ما حكى أبو علي، فقال: (أنظور) على الإشباع لإقامة الوزن (ابن سيده ١٤١٧ هـ، ١ / ١٠٩).

فهذان التخريجان (لغة طيء أو إقامة الوزن) لم يبعدا الواو عن أصل كونها للإشباع؛ ولهذا لم يطلق عليها النحاة: الواو الطائية، أو واو إقامة الوزن؛ لأن ثمة فرقاً بين أصل وضع الحرف، ودلالة المعاني التي يؤديها في السياقات المختلفة؛ فأصل هذه الواو أنها للإشباع، ويكون الموجه إليه أغراضاً وفق استعمالات الكلام العربي؛ إذ يكون منها التذكر -ربما- فتكون واو الإشباع لغرض التذكر.

يزاد على ذلك أن أبا سعيد ذكر في (الفصول المفيدة في الواو المزیدة) تعليقاً على إشباع الضمة في كلمة (أنظور) فقال: " فأشبع (أنظر) بزيادة الواو، ولكن هذا لا يختص بالواو، بل يجيء في الحركات الثلاث جميعها؛ فتشبع الفتحة بالألف، والكسرة بالياء، والضمّة بالواو". (أبو سعيد الدمشقي، ١٤١٠ هـ، ٣٨).

ولعل في كلام المالقي الآتي تأكيداً لكلام صاحب الفصول المفيدة من أن الإشباع ليس خاصاً بالواو؛ حتى يجوز لنا إطلاق مصطلح (واو التذكر)، بل يكون للألف، والياء. قال المالقي: " أن تكون [يعني الألف] إشباعاً للفتحة؛ إذ تتولد عنها إذا مد الصوت بها؛ كقول الشاعر: (من الطويل).

يُنْبَاعُ مِنْ ذَفْرَى غُضُوبٍ جَسْرَةٍ زَيَافَةٍ مِثْلَ الْفَيْقِ الْمُكْدَمِ

(المالقي، ١٤٠٥ هـ، ١١، والبيت لعنترة في معلقته: البغدادي، ١٤١٨ هـ، ٨ / ١٢٢)

وواو (القرنقول) إنما أشبع ضمة الفاء للضرورة. (ابن سيده، ١٤٢١ هـ، ٦ / ٦٣٢)، ومع هذا لم نجد تسمية واو الضرورة عند النحاة في أقسام الواو، إنما الموجود واو إشباع لغرض الضرورة؛ فلماذا لا تكون (واو التذكر) واو الإشباع لغرض التذكر؛ لاسيما أن النحاة يعلمون أن الحركات

الثلاث: الفتحة، والكسرة، والضممة إذا مطلتها أدت إلى صورة أخرى غير صورتها، وهي: الألف، والياء، والواو. (ابن جني، د.ت، ٢/٣٠٢).

قال الأنباري: "إن أصل كلمة (القرنفول) هو (القرنفُل) فلما اضطر إلى الواو؛ لإقامة الوزن الذي بنى عليه رجزه أشبع ضمة الفاء؛ فنشأت الواو عن هذا الإشباع". (الأنباري، ١٤٢٤ هـ، ١/٢٣).

٨/ من الأدلة - أيضا - على أن حقيقة الواو هي الإشباع قول ابن مالك السابق في الكافية الشافية:

وأشبعن تحريك آخر لـدى تذكر إن غير وقف قصدا

إن التفكير - قليلاً - في البيت يعطينا دلالة واضحة على أن الإشباع مسألة أولى أصل، ثم يأتي التذكر مسألة ثانية؛ أي إن إشباع حركة آخر الكلمة جاء لغرض التذكر، وهذا التذكر لا يُخرج الواو عن أصل وضع كونها واو الإشباع.

والتذكر ليس الغرض الرئيس في الإشباع؛ إذ قد يكون الإشباع لغة قوم من العرب، أو للضرورة، أو لإقامة الوزن كما سبق بيانه في شواهد الإشباع. يزداد على ذلك - حتى لا يضطرب منهج النحاة في توجيه معاني الحروف - لزوم أن تكون هذه الواو للإشباع لا للتذكر، وبغير هذا الحكم يلزم النحاة أن يدخلوا في أقسام الواو: الواو الطائية، وواو الضرورة، أو واو إقامة الوزن الشعري كما في (القرنفول) و(يرقودا)، وبغير هذا الإلزام - في تقديري - يكون ضابط النحاة، ومنهجهم في أقسام حروف المعاني، وإطلاق تسمياتها مضطرباً ذا اعوجاج!

٩/ ثمة اتفاق بين نحاة حروف المعاني الذين أوردوا (واو التذكر) على أن هذه الواو ثمرة من ثمار مدّ الصوت عند التذكر، ومطل حركة الآخر قبل مجيء الشيء الذي يتذكرونه.. وإذا كان الإشباع غير مدّ الحركة، ومطلها، ومطها! فما عساه أن يكون؟!

ثم لا يختلف اثنان أن مطل الحركة (الإشباع) هو وسيلة الوصول إلى تذكر المنسي؛ فكيف تتناسى الوسيلة التي هي الأصل (مط حركة الآخر)، ونصطلح على الفرع (تذكر المنسي بمط حركة الآخر)، ونجعل ما نتج عن هذا المد والمطل وصفاً للفرع، وقسمًا من أقسامه؛ فتأمل!

ذكر ابن جني بابًا في (مطل الحروف) اللينة؛ كالألف، والياء، والواو، ومثّل لها بأمثلة واو التذكر نفسها عند النحاة " كذلك تمطل الواو إذا تذكرت في نحو ضربوا، إذا كنت تتذكر المفعول أو الظرف أو نحو ذلك: أي ضربوا زيدا، أو ضربوا يوم الجمعة". (ابن جني، د.ت، ٣/ ١٣٠). وقال في موضع آخر: " وكذلك الحركات عند التذكر يمطلن". (ابن جني، د.ت، ٣/ ١٣١). فابن جني يربط بين التذكر بوصفه معنى يحدث بوسيلة المطل للحركات. والمطل في اللغة هو المد، والإطالة. وجاء في مقاييس اللغة " الميم والطاء واللام أصل يدل على مد الشيء وإطالته". (ابن فارس، ١٣٩٩ هـ، ٥/ ٣٣١). وفي قول صريح لابن جني يعطف المطل على الإشباع بما يدل على أنها شيء واحد، قال: " ويؤكد ذلك عندك أنك متى أشبعت، ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفاً من جنسها". (ابن جني، د.ت، ٢/ ٣١٧). ومطل الحركة وإشباعها عند متقدمي العرب يساوي النبر (الضغط على بعض مقاطع الكلام) عند المحدثين؛ إذ لاحظ بعضهم أثره في تطويل بعض حركات الكلمة. (رمضان عبد التواب، ١٤١٧هـ، ١٠٥).

١٠/ أحسن المرادي في إخراج (واو الإشباع) من أقسام الواو في حروف المعاني. (الإربلي، ١٤١٢هـ، ٨٢)؛ إذ هي في التحقيق مط حركة الآخر ومدها لا حرف أصيل مستقل، وفيه دليل

على أن الإشباع ليس معنى يُؤدَّى بحروف؛ كالمعاني التي تُؤدَّى بحروف على نحو كُتِب حروف المعاني.

ولم يحسن في ذكر (واو التذكر) من أقسام الواو المفردة؛ إذ لو وازنا بين كلام ابن جني السابق "الحركات عند التذكر يمتلن"، وكلام المرادي في واو التذكر، وواو الإشباع لوجدنا عدم توفيق المرادي في تقسيم الواو؛ إذ فصل القول في شيئين هما في الحقيقة شيء واحد! فواو التذكر نتاج الإشباع، وواو الإشباع جاءت من مد الصوت للتذكر! ويمكن لنا قول عبارة ابن جني بصورة أخرى "الحركات عند التذكر يُشبعن".

١١ / ذكر الإربلي واوًا مفيدة من أقسام الواو عنده سماها الواو المزيدة " في المندوب طلبًا لمد الصوت عند كونه مندوبًا في نحو قولك: واغلامكموه والواو المزيدة لتطويل الصوت". (لإربلي، ١٢٤١٢هـ، ٨٢).

الفائدة في هذا النص أن الغرض (الندبة) لم يخرج الواو عن أصل حقيقتها (واو مزيدة): ولهذا لم يطلق عليها الإربلي واو الندبة؛ إذ فرق بين وظيفتها (طلبًا لمد الصوت في المندوب)، وحقيقتها (الواو المفيدة المزيدة).

ألا يجوز -في ضوء واو الإربلي المزيدة- أن تكون الواو في الإشباع هي الواو المزيدة في المتذكر طلبًا لمد الصوت عند كونه متذكرًا؟! ولا يختلف نحويان في أن الإشباع مد، وزيادة على بنية الكلمة الرئيسة؛ فهو كالجُزء من الكلمة خلافًا لحرف المعنى الذي لا يكون جزءًا من الكلمة، بل خارج الكلمة، منفكًا عنها.

الخاتمة:

في ضوء ما سبق مناقشته خلص البحث إلى النتائج الآتية:

- ١/ إخراج قسم (واو التذكر) من أقسام الواو المفردة في كتب حروف المعاني؛ إذ هي -عند التحقيق- حرف مبني لا معنى؛ وليست أكثر من واو مزيدة نتجت عن مد الصوت، وإشباع حركة الآخر تأتي في الكلام للضرورة، أو للتذكر، أو لإقامة الوزن.
- ٢/ اعتراف بعض النحاة الذين صنفوا في حروف المعاني؛ كابن هشام أن الصواب في هذه الواو ألا تعد من أقسام الواو بمعناه الوارد (التذكر)؛ إذ ليست غير مط حركة الآخر.
- ٣/ وإشباعها؛ فهي تابع لحركة الآخر (المرادي)؛ فكان الصحيح الذي وقر في عقولهم أنها واو الإشباع الممطوطة من حركة الحرف، ولكن ساروا - في ذكرها - على سلطان تبعية اللاحق للسابق من غير تمحيص المسألة، وتدقيق الحكم: وهو أمر يكثُر وروده في مسائل النحو وأحكامها.
- ٤/ الاعتماد في معنى الحرف على الشاهد النحوي الأصيل من قرآن أو شعر أو نثر، الذي يكون باباً مطروقاً في كلام العرب، ومألوفاً في استعمالها، وطرح الحرف ومعناه المعتمدين على الشاهد المصنوع، والمثال الموضوع بوساطة سعة خيال فكر النحوي.
- ٥/ وجود اضطراب في معاني الحروف بين النحاة الأئمة المتقدمين والنحاة المتأخرين، ودليل ذلك إغفال المتقدمين قسم (واو التذكر) في مصنفاتهم؛ كالخليل في (العين)، وسيبويه في (الكتاب) إلى غيرهما من النحاة المتقدمين، وغاية ما عندهم ذكر مسائل صوتية في مطل حركات الآخر. بينما استند المتأخرون إلى نصوصهم، وزادوا عليها في المعاني؛ إذ تركوا لفكرهم حرية التنقل في المعاني والأفكار التي تطوف بنفوسهم وعقولهم.

٦/ وجود خلاف حقيقي بين نحاة حروف المعاني أنفسهم؛ إذ أهمل متقدمو حروف المعاني قسم (واو التذكر) في مصنفاتهم، وذكره المتأخرون؛ كالمالقي، والمرادي... فضلاً عن خلاف كبير بينهم في عدة الحروف، ومعانيها، والأحكام التي قيلت فيها، ووظائفها النحوية، وحقيقتها بين البساطة والتركيب، والمنهج في تصنيف الحروف على أساس العامل من غير العامل، أو على أساس الأحادي والثنائي والثلاثي... إلى غير ذلك مما يطول الكلام فيه!!

٧/ ابتعاد نحاة حروف المعاني في مصنفاتهم عن المرمى المنشود من التصنيف؛ إذ كان الهم-في بدء الأمر- فهم معاني القرآن وتفسيرها، ثم تطور إلى ذكر معاني غير واردة في النص العزيز، ومثلوا لها بشواهد مصنوعة، وتناسوا أنهم في مواضع أخرى من الكتاب العزيز خرجوا بعض الكلمات (أنلزمكموها، واتخذتموها، ووجدتموها، وعلمتموها) على أن الواو فيها واو الإشباع التي لا يختلف فيها قارئان! ألم يكن إلحاق واو (يقومو)، و(يقولو) بواو الإشباع في شواهد كلمات مقروءة أولى من صنع واو ومثالها؟

المصادر والمراجع

- أحمد، محمد نائل، ليس في اللغة واو الاستئناف، مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الرابع والستون، رمضان، ١٤٠٩ هـ.
- الإربلي، علاء الدين، (وفيات النصف الثاني من القرن الثامن الهجري)، جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، تحقيق: أميل بديع يعقوب، دار النفائس، بيروت، ١٤١٢ هـ.
- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠ هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م.
- الأزهرى، خالد بن عبد الله (ت: ٩٠٥ هـ)، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- الأنباري، أبو البركات كمال الديت (ت: ٥٧٧ هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٤ هـ.
- الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (ت: ٣٢٨ هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت: ١٠٩٣ هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ١٤١٨ هـ.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (٣٩٢ هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، د.ت.
- ابن جني، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- الحموي، شهاب الدين ياقوت (ت: ٦٢٦ هـ)، معجم الأدباء، أبو عبد الله، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ.

- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت: ٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي مدير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧ م.
- الدمشقي، أبو سعيد صلاح الدين بن خليل (ت: ٧٦١هـ)، **الفصول المفيدة في الواو المزيعة**، تحقيق: حسن موسى الشاعر، دار البشير، عمان، ط ١، ١٤١٠هـ.
- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى: (ت: ٣٨٤هـ)، **معاني الحروف**، تحقيق: عبد الفتاح شلبي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
- الرماني، **منازل الحروف**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، د.ت.
- الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد (ت: ١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: علي يسري دار الفكر، بيروت، د.ت.
- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت: ٣٣٧هـ)، **حروف المعاني**، تحقيق على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة. بيروت، ط ١، ١٩٨٤ م.
- الزجاجي، **اللامات**، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٥هـ.
- الزخشي، أبو القاسم محمود بن عمر جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقيق: علي بو ملح، مكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٩٩٣ م.
- ابن السراج، محمد بن سهل (ت: ٣١٦هـ)، **الأصول في النحو**، أبو بكر تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ.
- سيويه، عمرو بن عثمان (ت: ١٨٠هـ)، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٤٥٨هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.

- سيده، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت.
- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي، (ت: ٦٦٥ هـ)، إبراز المعاني من حرز الأمان، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ابن الشجري، أبو السعادات هبة الله، (ت: ٥٤٢هـ)، أمالي ابن الشجري، تحقيق محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ.
- ابن الصائغ، أبو عبد الله محمد بن حسن (ت: ٧٢٠هـ)، اللمحة في شرح الملحة، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٤هـ.
- الصبان، أبو العرفان محمد بن علي (ت: ١٢٠٦ هـ)، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ.
- ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن (ت: ٦٦٩هـ)، الممتع الكبير في التصريف، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- ابن فارس أبو الحسين أحمد (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٩هـ.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت: ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ط١، د.ت.

- الفيروز آبادي، أبو طاهر مجد الدين (ت: ٨١٧ هـ)، بصائر ذوي التمييز في الطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد على النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: ج ١، ٢، ٣، ١٤١٦ هـ. / ج ٤، ٥، ١٤١٢ هـ، / ج ٦، ١٣٠٣ هـ.
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦ هـ.
- المالقي، أحمد عبد النور (ت: ٧٠٢ هـ)، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.
- ابن مالك، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٦٧٢ هـ)، شرح الكافية الشافية، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في مكة المكرمة، ط ١، د.ت.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت: ٢٨٥ هـ)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- المرادي، الحسن بن قاسم (ت: ٧٤٩ هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت: ٧١١ هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط: ٣، ١٤١٤ هـ.
- الهروي، علي بن محمد (ت: ٤١٥ هـ)، كتاب الأزهية في علم الحروف، تحقيق: عند المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية في دمشق، ط ٢، ١٤١٣ هـ.
- هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف (ت: ٧٦١ هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٨٥ م.

- اليحصبي، أبو الفضل عياض بن موسى (ت: ٥٤٤هـ)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث، د.ت.
- ابن يعيش، موفق الدين (ت: ٦٤٣هـ)، شرح المفصل، بيروت، عالم الكتب، د.ت.

عود الضمير على الاسم تقديماً وتأخيراً

دراسة وصفية

أ.د. محمد حمدنا الله رملي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية اللغة العربية، قسم النحو والصرف وفقه اللغة

المستخلص

هدف هذا البحث إلى دراسة الضمائر وعودها على الاسم تقديماً وتأخيراً، حيث يتقدم الضمير على الاسم إما جوازاً أو وجوباً، وقد يتأخر الضمير على الاسم إما جوازاً أو وجوباً. ومن النتائج التي خرج بها البحث: يجوز تأخير الضمير على الاسم المتقدم لفظاً المتأخر رتبة، ويجب تقديم الاسم على الضمير في باب الاشتغال، ويتقدم الضمير للاختصاص، والضمير المستتر وجوباً لا يجوز أن يحل محله الاسم الظاهر، والضمير المستتر جوازاً يجوز أن يحل محله الاسم الظاهر. ومن التوصيات: الاهتمام بالضمائر، والاهتمام بدراسة الضمائر تقديماً وتأخيراً، والاهتمام بتدريس الضمائر في المدارس والجامعات، والعمل على تطبيقها في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والشعر العربي.

الكلمات المفتاحية: الضمير، المتصل، المنفصل، التقديم التأخير

Abstract

This research aimed to study the Pronouns and their return into the noun advancement and delay, where the pronoun precedes the noun, either permissibly or obligatorily, and the pronoun may place after the noun either permissibly or obligatorily. Among the results: it is permissible to delay the Pronoun over the preceding noun with a late Pronouncement, it is permissible for the Pronoun to precede a noun that is advanced in rank and late in Pronunciation, it is permissible to delay the Pronoun over the noun that precede it in terms of Pronunciation and rank, it is forbidden to introduce the Pronoun referring to the late noun in terms of Pronunciation and rank, the noun must be preceded by the Pronoun in the context of occupation structure, the Pronoun advanced for specialization, the hidden Pronoun is obligatory and may not be replaced by the apparent noun, the imported Pronoun may be replaced by the apparent noun. Among the recommendations: Paying attention to Pronouns, paying attention to studying Pronoun's advancement and delay, Paying attention studying the Pronouns in schools, and universities, and working to apply it in the Holy Qur'an, in the prophet's hadiths, and Arabic poetry.

Keywords: Pronoun, Attached, Separate, Advancement, Delay

١. مقدمة:

هدف هذا البحث إلى دراسة الضمير وعوده على الاسم تقديمًا وتأخيرًا، ومن خلال هذا البحث سنتعرف على الضمير وأحكامه من حيث تقديمه على الاسم وتأخير عنه من حيث الجواز والوجوب والامتناع. وقد سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، مبينًا أحكام عود الضمير على الاسم تقديمًا وتأخيرًا.

٢. أهمية البحث:

ترجع أهمية البحث إلى الآتي:

- أ- اشتغال البحث على علوم ومعارف تدفع بعجلة التقدم العلمي.
- ب- تزويد الطلاب والباحثين بأحكام عود الضمير على الاسم تقديمًا وتأخيرًا.
- ج- حث الباحثين على معرفة أحكام عود الضمير على الاسم في القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي.
- د- رفد المكتبة العربية والإسلامية بمادة تفيد الباحثين.
- هـ- تعزيز الفهم الدقيق والسليم للقضايا الفكرية النحوية.
- و- المساهمة في الكشف العلمي.
- ز- تشكيل قاعدة بيانات مهمة للبحث الأكاديمي.

٣. مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي: ما الضمير؟

وتفرعت من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

أ- متى يتقدم الضمير على الاسم؟

ب- متى يتقدم الاسم على الضمير؟

٤. فرضيات البحث:

أ- الضمائر مبنية لشبهها بالحروف في الوضع والجمود.

ب- يتقدم الضمير على الاسم للاختصاص.

ج- يتقدم الاسم على الضمير في باب الاشتغال.

٥. أهداف البحث:

هدف هذا البحث إلى بيان أن:

أ- الضمائر من المعارف الست، وهي أعرف المعارف.

ب- الضمائر تنقسم إلى ضمائر متصلة وضمائر منفصلة.

ج- الضمائر كلها مبنية لشبهها بالحروف في الوضع والجمود.

د- الضمائر منها ما يتقدم على الاسم ومنها ما يتأخر عنه.

٦. حدود البحث:

اقتصرت حدود البحث على دراسة عود الضمير على الاسم تقديمًا وتأخيرًا.

٧. منهج البحث:

أتبع في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، مبينًا أحكام عود الضمير على الاسم تقديمًا وتأخيرًا.

٨. هيكل البحث:

-المبحث الأول: ما الضمائر؟

-المبحث الثاني: تقديم الضمير على الاسم

-المبحث الثالث: تقديم الاسم على الضمير

-الخاتمة

-نتائج البحث

-توصيات البحث

-المصادر والمراجع

المبحث الأول: الضمائر

الضمير أحد المعارف الستة، وهو اسم جامد يدل على حاضر، مثل (أنا)، أو غائب مثل (هو)، والحاضر ينقسم إلى متكلم، نحو: (أنا)، وإلى مخاطب، نحو: (أنت).

قال الرماني: "فهاء الإضمار كقولك: زيدٌ ضربتهُ، وعمرُو مررت به، هذه الهاء كناية عن زيد تسمى هاء الكناية، وهاء الإضمار." (الرماني، ١٩٨٤ م، ١٤٥).

وتنقسم الضمائر إلى ضمائر منفصلة، وضمائر متصلة.

وقال ابن جني: "فالأسماء المضمرة على ضربين: منفصل ومتصل، والمنفصل على ضربين: مرفوع ومنصوب؛ فالرفوع للمتكلم ذكراً كان أو أنثى أنا، والتثنية والجمع جميعاً نحن، وللمخاطب أنت، والتثنية أنتم، والجمع أنتم، وللمخاطبة أنتِ، والتثنية أنتم، والجمع أنتنَّ، وللغائب هو وهما وهم، وللغائبة هي وهما وهنَّ." (ابن جني، ١٩٨٥ م، ٣١).

وقال ابن هشام: أنواع المعارف ستة؛ أحدها: المضمَر، ويسمى الضمير أيضاً، ويسميه الكوفيون: الكناية، والمُكَنَّى، وإنما بدأت به لأنه أعرف المعارف الستة على الصحيح، وهو عبارة عما دلَّ على متكلم نحو: أنا ونحن، أو مخاطب، نحو: أنت وأنت وأنتما، أو غائب نحو: هو وهما، وإنما سمِّي مضمراً من قولهم: "أضمرت الشيء"، إذا سترته وأخفيته، ومنه قولهم: أضمرت الشيء في نفسي، أو من الضمور وهو الهزال؛ لأنه في الغالب قليل الحروف، ثم تلك الحروف الموضوعه غالبها مهموسة، وهي التاء والكاف والهاء، والهمس: هو الصوت الخفي." (ابن هشام، ١٣٥٥ هـ، ١٣٤).

وينقسم الضمير كذلك إلى بارز وإلى مستتر، وينقسم الضمير البارز إلى متصل، نحو: قمتُ، وإلى منفصل نحو (هو)؛ وينقسم الضمير المستتر إلى مستتر وجوباً، نحو: أكتبُ الدرسَ، وإلى مستتر جوازاً، نحو: يكتبُ الدرسَ.

قال مهدي المخزومي: "الضمائر كنايات أو إشارات، يشار بها إلى المتكلمين، والمخاطبين، والغائبين." (المخزومي، ١٩٨٥ م، ٤٧).

قال ابن عقيل: "المواضع التي يجب فيها الاستتار أربعة: الأول: فعل الأمر للواحد المخاطب كافعل، التقدير: أنت، وهذا الضمير لا يجوز إبرازه؛ لأنه لا يحل محله الظاهر، فلا تقول: افعل.

زيدٌ، فأما افعل أنت، فأنت تأكيد للضمير المستتر في افعل، وليس بفاعل لأفعل؛ لصحة الاستغناء عنه؛ فتقول: افعل؛ فإن كان الأمر لواحدة أو لاثنتين أو لجماعة برز الضمير، نحو: اضربي، واضربا، واضربوا، واضربن. الثاني: الفعل المضارع الذي في أوله الهمزة، نحو: (أوافق)، والتقدير: أنا، فإن قلت: أوافق أنا، كان (أنا) تأكيداً للضمير المستتر. الثالث: الفعل المضارع الذي في أوله النون، نحو: (نغبت)، أي نحن. الرابع: الفعل المضارع الذي في أوله التاء لخطاب الواحد، نحو: تشكر، أي أنت، فإن كان الخطاب لواحدة أو لاثنتين أو لجماعة برز الضمير، نحو: أنتِ تفعلين، وأنتما تفعلان، وأنتم تفعلون، وأنتنَّ تفعَلن." (ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ٩٦/١). والضمير المستتر جوازاً يجوز أن يحل محله الاسم الظاهر، نحو: يكتبُ الدرسَ، فيجوز أن تقول: يكتبُ زيدٌ الدرسَ.

قال ابن عقيل: "ومثال جائز الاستتار: زيدٌ يقومُ، أي هو، وهذا الضمير جائز الاستتار؛ لأنه يحل محل الظاهر، فتقول: زيدٌ يقوم أبوه، وكذلك كل فعل أسند إلى غائب أو غائبة، نحو: هندٌ تقوم، وما كان بمعناه، نحو: زيد قائمٌ، أي هو." (ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ٩٧/١)

وقال عبده الراجحي: "إذا كان الضمير يدل على غائب فهو يستتر جوازاً، وإذا كان يدل على حاضر فهو يستتر وجوباً." (الراجحي، ٢٠١١ م، ١/ ٥٠).

والضمير المتصل ما لا يتبدأ به الكلام، والضمير المنفصل يتبدأ به الكلام، ويقع بعد (إلا). قال المبرد: "اعلم أنّ كل موضع تقدر فيه على المضمير متصلاً بالمنفصل لا يقع فيه، تقول: قمتُ، ولا يصلح قام أنا، وكذلك ضربتُك لا يصلح ضربتُ إياك، وكذلك ظننتك قائماً، ورأيتني، ولا يصلح رأيتُ إياي، فإن كان موقع لا يقع فيه المتصل وقع فيه المنفصل، تقول: أنت قمت، فتظهر أنت؛ لأن التاء التي تكون في فعلت لا تقع هاهنا، وتقول: ما جاءك إلا أنا، وما جاءني إلا أنت، وما ضربتُ إلا إياك، وإياك ضربت؛ لأنّ الكاف التي في ضربتك لا تقع هاهنا، لا تقول: كضربت." (المبرد، ١٩٦٣ م، ١/ ٢٦١).

قال ابن مالك: "وينقسم البارز إلى متصل، وهو ما لا يفتح به النطق، ولا يقع بعد (إلا)، كياء (أبني)، وكاف (أكرمك)، وهاء (سلنيه) ويائه... وإلى منفصل، وهو ما يتبدأ به، ويقع بعد (إلا)، نحو: (أنا)، تقول: أنا مؤمنٌ، وما قام إلا أنا." (ابن هشام، ٢٠٠٩ م، ١/ ٧٧).

وقال محمد النجار: "الضمير المتصل هو الذي لا يتبدأ به، ولا يقع بعد (إلا) في الاختيار على الصحيح." (النجار، ٢٠١٧ م، ١/ ١١٠).

والضمير المتصل ينقسم إلى ضمير رفع وضمير نصب، فضمائر الرفع هي تاء الفاعل، وياء المخاطبة، وألف الاثنين، واو الجماعة، ونون النسوة؛ نحو: قمتُ، وأنت تقومين، والزيدان قاما، والزيدون قاموا، والهندات قمنَ.

وينقسم الضمير المتصل من حيث الإعراب إلى ثلاثة أقسام: منها ما يختص بالرفع، كتاء الفاعل، نحو: قمت، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ (نوح: ٥)؛ وألف الاثنين، نحو: الزيدان قاما، ومنه قوله تعالى: ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ (الأعراف: ١٨٩).

قال ابن جني: "وقد زادت الألف علامة للتثنية والضمير في الفعل، نحو: أخواك قاما." (ابن جني، ١٩٩٣ م، ٧١٨) وواو الجماعة، نحو: الرجال قاموا، ومنه قوله تعالى: ﴿خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾. (البقرة: ٢٤٣).

قال الخليل بن أحمد: "واو الضمير قولهم: تخرجون ويقومون، الواو ضمير جمع المذكر، فما كان في الأسماء فهو واو الإعراب، وما كان في الأفعال فهو واو الضمير." (الخليل، ١٩٨٥ م، ٢٨٩).
وياء المخاطبة، نحو: أنت تقومين، ومنه قوله تعالى: ﴿فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (النمل: ٣٣).

ونون النسوة، نحو: الهندات قمنَ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ (البقرة: ٢٣٣). ومنه ما يختص بالنصب والجر كياء المتكلم، كقوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ (النمل: ١٩). ومنه ما يختص بالرفع والنصب والجر، كالضمير (نا)، ومنه قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. (آل عمران: ١٦).

قال ابن جني: "أما الضمير المتصل فتلاثة أضرب: مرفوع، ومنصوب، ومجرور؛ فالرفوع للمتكلم التاء، نحو: قمت، والتثنية والجمع جميعاً قمنا، وللمخاطب قمت وقمتما وقمتن، وللمخاطبة قمت وقمتما وقمتن." (ابن جني، ١٩٨٥ م، ٣٢). وقال حماسة وآخرون: "الضمير المتصل هو ما يبتدأ به الكلام، ولا يقع بعد (إلا)، وهو ليس كلمة منفصلة مستقلة، بل متصلة بما قبلها من اسم أو فعل أو حرف... ضبائر الرفع المتصلة؛ هي: تاء الفاعل، ونون النسوة، و(نا) الفاعلين، وواو الجماعة، وياء المخاطبة وألف الاثنين." (حماسة، د.ت، ٢٠).

وضمائر النصب هي ياء المتكلم، وكاف الخطاب، وهاء الغائب، نحو: ضربَني، وضربَكَ، وضربَتْهُ. قال عبد العليم إبراهيم: "ضمائر النصب المتصلة، وهي: ياء المتكلم، وكاف المخاطب، وهاء الغائب، هي نفسها ضمائر الجر المتصلة." (عبد العليم إبراهيم، ٢٠٠٨ م، ٢٠١).

والضمير المتصل لا يجوز العدول عنه إلى الضمير المنفصل، نحو: أكرمتُكَ، فلا يجوز أكرمتُ إياكَ. قال ابن مالك:

وفي اختيارٍ لا يَجِيءُ المنفصلُ إذا تَأَتَّى أن يَجِيءَ المتَّصلُ

(ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ١/٩٩)

قال ابن جني: "المضمر المتصل وإن كان أضعف من الضمير المنفصل، فإنه أكثر وأسير في الاستعمال منه؛ ألا تراك تقول: إذا قدرت على المتصل لم تأت بالمنفصل، فهذا يدلُّك على أنَّ المتصل أخفَّ عليهم، وأثر في أنفسهم؛ فلما كان كذلك وهو أضعف من المنفصل، وسرى فيه لضعفه حكم، لزم المنفصل أعني البناء؛ لأنه مضمر مثله، ولاحق في سعة الاستعمال به." (ابن عقيل، ١٩٨٣ م، ١٩٢/٢).

قال ابن عقيل: "كل موضع أمكن أن يؤتى فيه بالضمير المتصل لا يجوز العدول عنه إلى الضمير المنفصل؛ فلا تقول في أكرمتُكَ: أكرمتُ إياكَ؛ لأنه يمكن الإتيان بالمتصل، فتقول: أكرمتُكَ." (ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ١/٩٢).

وإذا كانت الضمائر متصلة في كلمة وجب تقديم الأخص، نحو: أكرمتُكَ، فيقدم المتكلم على المخاطب، وأكرمتُها، فيقدم المتكلم على الغائب.

قال ابن مالك:

وَقَدَّمُ الْأَخْصَّ فِي اتِّصَالِ وَقَدَّمَنْ مَا شِئْتَ فِي انفِصَالِ

(ابن عقيل، ٢٠٠١م، ١/١٠٦)

قال ابن عقيل: "ضمير المتكلم أخص من ضمير المخاطب، وضمير المخاطب أخص من ضمير الغائب؛ فإن اجتمع ضميران منصوبان أحدهما أخص من الآخر؛ فإن كانا متصلين وجب تقديم الأخص منهما؛ فتقول: الدرهم أعطيتك وأعطيتني، بتقديم الكاف والياء على الهاء؛ لأنها أخص من الهاء، لأن الكاف للمخاطب، والياء للمتكلم، والهاء للغائب، فلا يجوز تقديم الغائب مع الاتصال؛ فلا تقول أعطيتُوك، ولا أعطيتُوني... فإن فصل أحدهما كنت بالخيار؛ فإن شئت قدمت الأخص، فقلت: الدرهم أعطيتك إياه، وأعطيتني إياه، وإن شئت قدمت غير الأخص، فقلت: أعطيتُ إياك، وأعطيتُ إياي." (ابن عقيل، ٢٠٠١م، ١/١٠٦).

وقال الزمخشري: "المضمرات وهي على ضربين: متصل ومنفصل، فالمتصل ما لا ينفك عن اتصاله بكلمة، كقولك: أخو، وضربك، ومر بك، وهو على ضربين: بارز ومستتر؛ فالبارز ما لفظ به كالکاف في (أخوك)، والمستتر ما نوي كالذي في: زيد ضرب، والمنفصل ما جرى مجرى المظهر في استبداده، كقولك: هو وأنت." (الزمخشري، ٢٠٠٤م، ١٢٨).

وينقسم الضمير المنفصل إلى ضمائر رفع وعددها اثنا عشر ضميراً، وهي: أنا ونحن للمتكلمين، وأنت وأنتما وأنتم وأنتن للمخاطبات، وهو وهي وهما وهم وهن للغائبين. ويرى بعض النحويين أن الضمير هو (أن)، وما لحقها من حروف فهي حروف زائدة.

قال الوراق: "الاسم (أن)، والألف زيدة لبيان حركة النون، والدليل على ذلك أنك إذا وصلت الكلام، قلت: أن، فسقطت الألف، كقولك: أن فهمت، ولو كانت الألف من نفس الكلمة لم تسقط، وإنما كانت الألف أولى بالزيادة؛ لأنها أخف الحروف، وبعض العرب يجعل في موضع

الألف هاء إذا وقف، فيقول: أَنَّهُ، وهذا يدلُّك على أَنَّ الألف ليست من بناء الاسم، وإنما زيدت." (الوراق، ١٩٩٩ م، ٤١١).

وقال ابن جني: "واعلم أَنَّ نظير الكاف في رأيتك إذا خُلِعت عنها دلالة الاسمية واستقرت للخطاب - على ما رأينا - التاء في قمتُ، وقعدتُ، ونحو ذلك، هي هنا تفيد الاسمية والخطاب، ثم تخلع عنها دلالة الاسمية، وتخلص للخطاب البتة في أنتَ وأنتِ، فالاسم (أَنْ) وحده، والتاء من بعد للخطاب." (ابن جني، ١٩٨٣ م، ١٨٩/٢).

وقال المخزومي: "أما الضمائر المنفصلة فهي التي تستقل لفظاً، ولا تعتمد في وجودها على فعل أو اسم، أو أداة؛ وهي نوعان: نوع خاص بالرفع، أي يستعمل كناية عن المسند إليه، وهو ما يكنى به عن المتكلمين، وهو (أنا): للمفرد المتكلم، أو المفردة المتكلمة، و (نحن): للمثنى، والجمع المذكر والمؤنث؛ وما يكنى به عن المخاطبين؛ وهو: (أنتِ) مفتوحة التاء للمخاطب المذكر، ومكسورة التاء للمخاطبة المؤنثة؛ و (أنتما): للاثنتين أو الاثنتين؛ و(أنتم): لجماعة الذكور؛ و(أنتن): لجماعة الإناث؛ وما يكنى به عن الغائبين، وهو (هو): للمفرد الغائب، و(هي): للمفردة الغائبة، و(هما): للاثنتين أو الاثنتين، و(هم) للغائبين، و(هنّ) للغائبات." (المخزومي، ١٩٨٥ م، ٤٩).

قال ابن عقيل: "المرفوع المنفصل، وهو اثنا عشر: (أنا) للمتكلم وحده، و (نحن) للمتكلم المشارك أو المتكلم المعظم نفسه، و(أنت) للمخاطب، و(أنتِ) للمخاطبة، و (أنتما) للمخاطبتين أو المخاطبتين، و(أنتم) للمخاطبتين، و(أنتن) للمخاطبات؛ و(هو) للغائب، و(هي) للغائبة، و(هما) للغائبتين أو الغائبتين، و(هم) للغائبين، و(هنّ) للغائبات." (ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ٩٧/١). وينقسم الضمير المنفصل كذلك إلى ضمائر نصب وعددها اثنا عشر ضميراً؛ وهي: إياي وإيانا للمتكلمين، وإياك وإياكم وإياكم وإياكنَّ للمخاطبين، وإياه وإياها وإياهما وإياهم وإياهنَّ للغائبين. قال ابن مالك:

وذو انْتِصَابٍ فِي انْفِصَالٍ جُعِلَا إِيَّايَ وَالتَّفْرِيعُ لَيْسَ مُشْكِلَا

(ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ٩٨/١)

قال ابن عقيل: "المنصوب المنفصل، وهو اثنا عشر: (إِيَّايَ) للمتكلم وحده، و(إِيَّانَا) للمتكلم المشارك أو المتكلم المعظم نفسه، و(إِيَّاكَ) للمخاطب، و(إِيَّاكَ) للمخاطبة، و(إِيَّاكُمَا) للمخاطبتين أو المخاطبتين، و(إِيَّاكُمَا) للمخاطبتين، و(إِيَّاكُنَّ) للمخاطبات؛ و(إِيَّاهُ) للغائب، و(إِيَّاهَا) للغائبة، و(إِيَّاهُمَا) للغائبين أو الغائبتين، و(إِيَّاهُمَا) للغائبين، و(إِيَّاهُنَّ) للغائبات." (ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ٩٨/١)، والصحيح أن ضمير النصب هو (إِيَّا) فقط، والياء والنون والكاف والهاء هي حروف دالة على النوع، مثل التحاقها بأسماء الإشارة، ذاك وذاك، ومثل التحاقها بأسماء الأفعال، نحو: عليك، وعليك، وعليكما، وعليكم.

قال ابن جني: "ما رآه أبو الحسن في أن الهاء والياء في (إِيَّاه) و (إِيَّايَ) حرفان، أحدهما للغيبة، والآخر للحضور، وهو الياء، وذلك أنه كان يرى أن الكاف في (إِيَّاكَ) حرف للخطاب، فإذا أدخلت عليه الهاء والياء في (إِيَّاه) و(إِيَّاي)، قال: هما أيضاً حرفان للغيبة والحضور." (ابن جني، ١٩٨٣ م، ١٨٩/٢).

قال ابن هشام: "حرف الهاء أن تكون حرفاً للغيبة، وهي الهاء في (إِيَّاه)، فالحق أنها حرف لمجرد معنى الغيبة، وأن الضمير (إِيَّا) وحدها." (ابن هشام، ١٩٧٢ م، ٤٠١/٢).

وقال المخزومي: "ونوع خاص بالنصب، أي: يستعمل كناية عن المفعول، وهو (إِيَّا) ملحقة بالياء، و(نَا)، وبالكاف، وما يتصل بها، وبالهاء وما يتصل بها؛ فضمير المتكلم منها: إِيَّاي: (للمفرد المتكلم)، وإِيَّانَا: (للمثنى والجمع)؛ وضمير المخاطب: إِيَّاكَ، إِيَّاكَ، إِيَّاكُمَا، إِيَّاكُنَّ؛ وضمير الغائب: إِيَّاهُ، إِيَّاهَا، إِيَّاهُمَا، إِيَّاهُنَّ. (المخزومي، ١٩٨٥ م، ٥٠).

وقال الأنطاكي: "إِيَّاكَ وفروعه (إِيَّاي، إِيَّانا، إِيَّاكَ، إِيَّاكِ، إِيَّاكِمْ، إِيَّاكِنَّ، إِيَّاه، إِيَّاهَا، إِيَّاهُمَا، إِيَّاهُمْ، إِيَّاهُنَّ)، وكل هذه ضائِر نصب منفصلة، والضمير فيها هو (إِيَّا) فحسب، وما زاد عليها فهو حروف للمتكلم أو المخاطب أو الغائب، القصد منها تنويع الضمير." (الأنطاكي، ٢٠٠٩م، ٢١٦).

قال الزمخشري: "والحروف التي تتصل بإيّا من الكاف ونحوها لواحق، للدلالة على أحوال المرجوع إليه، وكذلك التاء في أنت ونحوها في أخواته، ولا محل لهذه اللواحق من الإعراب، إنما هي علامات كالتنوين وتاء التأنيث وياء النسب." (الزمخشري، ٢٠٠٤م، ١٢٨).

ويعود الضمير إلى أقرب مذكور، نحو: جاء زيدٌ وخالدٌ ثوبه نظيف، فالضمير في ثوبه راجع إلى خالد لأنه أقرب مذكور. ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾ (يونس: ٥)، حيث عاد الضمير في (قدره) للقمر، وهو أقرب المذكورين.

قال الزركشي: "قد يُذكر شيْتان ويعاد الضمير على أحدهما، ثم الغالب كونه الثاني، كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ (البقرة: ٤٥)، فأعاد الضمير للصلاة؛ لأنها أقرب." (الزركشي، ٢٠١٣م، ٨٩٩).

وقد يعود الضمير على أبعد مذكور، نحو: ضرب الأبُّ ابنَه لأنه سكران، فيجوز رجوع الضمير للأب؛ ومنه قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ (الفتح: ٩)، فالضمير في (تسبحوه) راجع لله وهو أبعد المذكورين، والضمير في (توقروه وتعزروه) راجع للرسول، وهو أقرب المذكورين. وإن كان الاسم مضافاً عاد الضمير على المضاف أو المضاف إليه حسب السياق.

قال الزركشي: "الأصل في الضمير عوده إلى أقرب مذكور، ولنا أصل آخر وهو أنه إذا جاء مضاف ومضاف إليه وذكر بعدهما ضمير عاد إلى المضاف؛ لأنه المحدث عنه دون المضاف إليه، نحو: لقيت غلام زيد فأكرمته، فالضمير للغلام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤) وعند التعارض راعى ابن حزم والماوردي الأصل، فقالا: إن الضمير في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَحْمِ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ (الأنعام: ١٤٥) يعود على الخنزير دون لحمه لقربه. وقواه بعض المتأخرين؛ لأن الضمير للمضاف دون المضاف إليه ليس بأصل مطرد، فقد يعود إلى المضاف إليه، كقوله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (النحل: ١١٤). " (الزركشي، ٢٠١٣ م، ٩٠٤).

ويعود الضمير على متأخر لفظاً للفاصلة القرآنية، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (طه: ٦٧). قال الزركشي: "تأخير ما أصله أن يتقدم، كقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (طه: ٦٧)؛ لأن أصل الكلام أن يتصل الفعل بفاعله ويؤخر المفعول، لكن آخر الفاعل وهو "موسى" لأجل رعاية الفاصلة. " (المبرد، ١٩٦٣ م، ١/٢٦١). والضائير كلها مبنية، وسبب بنائها أنها أشبهت الحروف في الوضع والجمود. قال ابن عقيل: "المضمرات كلها مبنية؛ لشبهها بالحروف في الجمود، ولذلك لا تصغر، ولا تشن ولا تجمع. " (ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ١/٩٢) وقال محمد النجار: "سبب بنائها مشابقتها الحرف في الوضع والجمود. " (النجار، ٢٠١٧ م، ١/١١٢).

المبحث الثاني: تقديم الضمير على الاسم

يجب تقديم الضمير على الاسم إذا اتصل الضمير بمفعول الفاعل، نحو: ضرب ابنه الأب، وأصلها: ضرب الأب ابنه، فالضمير هنا عائد على متقدم لفظاً ورتبة؛ ولكن في جملة: ضرب ابنه الأب، فالضمير عائد على متأخر لفظاً متقدم رتبة.

قال ابن مالك:

وَشَاعَ نَحْوَ خَافَ رَبَّهُ عُمَرُ وَشَذَّ نَحْوَ زَانَ نَوْرُهُ الشَّجَرُ

(ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ١/٤٩٢)

قال ابن السراج: "أما تقديم المضمير على الظاهر الذي يجوز في اللفظ فهو أن يكون مقدماً في اللفظ مؤخراً في معناه ومرتبته، وذلك نحو قولك: ضربَ غلامَه زيدٌ، كان الأصل: ضرب زيدٌ غلامَه، فقدمت ونيتك التأخير، ومرتبة المفعول أن يكون بعد الفاعل، فإن قلت: ضرب زيداً غلامَه، كان الأصل: ضرب غلامٌ زيدٍ زيداً، فلما قدمت زيداً المفعول، فقلت: ضرب زيداً، قلت: غلامَه، وكان الأصل غلامٌ زيدٍ، فاستغنيت عن إظهاره لتقدمه." (ابن السراج، ١٩٩٦ م، ٢١/٢٣٨).

وقال ابن عقيل: "شاع في لسان العرب تقديم المفعول المشتمل على ضمير يرجع إلى الفاعل المتأخر، وذلك نحو: خاف رَبُّهُ عُمَرُ؛ فربُّه مفعول، وقد اشتمل على ضمير يرجع إلى "عمر" وهو الفاعل، وإنما جاز ذلك - وإن كان فيه عود الضمير على متأخر لفظاً - لأنَّ الفاعل منويّ التقديم على المفعول؛ لأنَّ الأصل في الفاعل أن يتصل بالفعل؛ فهو متقدم رتبةً، وإن تأخر لفظاً." (ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ١/٤٩٣)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ (الأعراف: ١٤٣)، فالضمير في (رَبُّه) عائد على المفعول وهو الضمير في (كلمه).

وإذا عاد الضمير على الاسم المتأخر عليه فهو شاذ، نحو: زان نَوْرُهُ الشَّجَرُ؛ فالضمير عائد على متأخر لفظاً ورتبة وهو المفعول (الشجر)، وذلك نحو: ضربَ أبوه الابنَ. قال الزركشي: "وإذا اتصل الضمير بما مرتبته التقديم وهو يعود على ما مرتبته التأخير، فلا يجوز أن يتقدم، لأنه يكون متقدماً لفظاً ومرتبة، وإذا اتصل الضمير بما مرتبته التأخير، وهو يعود على ما مرتبته التقديم فلا يجوز أن يتقدم، لأنه يكون مقدماً لفظاً مؤخراً رتبة، فعلى هذا يجوز: (في داره زيدٌ) لاتصال الضمير بالخبر

ومرتبته التأخير، ولا يجوز: (صاحبها في الدار) لاتصال الضمير بالمبتدأ ومرتبته التقديم." (الزركشي، ٢٠١٣ م، ١٨٩).

وقال ابن عقيل: "شد عود الضمير من الفاعل المتقدم على المفعول المتأخر، وذلك نحو: (زان نَوْرُهُ الشجر)، فالهاء المتصلة بنور – الذي هو الفاعل – عائدة على (الشجر) وهو المفعول، وإنما شد ذلك لأن فيه عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة؛ لأن الشجر (مفعول)، وهو متأخر لفظاً، والأصل فيه أن ينفصل عن الفعل؛ فهو متأخر رتبة، وهذه المسألة ممنوعة عند جمهور النحويين." (ابن السراج، ١٩٩٦ م، ٢/٢٣٨).

قال ابن السراج: "وهذه المسألة في جميع أحوالها لم تقدم فيها مضمرًا على مظهر، إنها جئت بالمضمر بعد المظهر إذا استغنيت عن إعادته، فلو قدمت فقلت: ضرب غلامه زيداً، تريد: ضرب زيداً غلامه، لم يجز؛ لأنك قدمت المضمر على الظاهر في اللفظ والمرتبة؛ لأن حق الفاعل أن يكون قبل المفعول، فإذا كان في موضعه وعلى معناه فليس لك أن تنوي به غير موضعه، إنما تنوي بما كان في غير موضعه موضعه." (ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ١/٤٩٣).

وقد أجاز بعض النحويين عود الضمير على ما هو متأخر لفظاً ورتبة. قال ابن عقيل: "وأجازها أبو عبد الله الطّوال من الكوفيين، وأبو الفتح عثمان بن جني، وتابعهما المصنف." (ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ١/٤٩٣)، واستشهد بقول الشاعر:

لَمَّا رَأَى طَالِبُوهُ مُضْعَبًا دُعِرُوا وَكَادَ، لَوْ سَاعَدَ الْمُقْدُورُ، يَتَّصِرُ

(ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ١/٤٩٤)

وقول الشاعر:

كَسَا حِلْمُهُ ذَا الْحِلْمِ أَثْوَابَ سُودَدٍ وَرَقَّى نَدَاهُ ذَا النَّدَى فِي ذُرَى الْمُجَدِّ

(ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ١/٤٩٥)

وقول الشاعر:

وَلَوْ أَنَّ مَجْدًا أَخْلَدَ الدَّهْرَ وَاحِدًا مِنْ النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الدَّهْرَ مُطْعِمًا

(ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ١/٤٩٦)

وقول الشاعر:

جَزَى رَبُّهُ عَنِّي عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ جَزَاءَ الْكِلَابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلَ

(ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ١/٤٩٦)

قال ابن هشام: "أن يكون الضمير متصلًا بفاعل مقدم، ومفسره بمفعول مؤخر، كـ (ضرب غلامه زيداً) أجازته الأخفش وأبو الفتح وأبو عبد الله الطُّوَال من الكوفيين... والجمهور يوجبون في ذلك في النثر تقديم المفعول، نحو: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ (البقرة: ١٢٤)، ويتمنع بالإجماع، نحو: صاحبها في الدار؛ لاتصال الضمير بغير الفاعل، ونحو: ضرب غلامها عبد هندی، لتفسيره بغير المفعول، والواجب فيهما تقديم الخبر والمفعول ولا خلاف في جواز نحو: ضرب غلامه زيداً." (ابن هشام، ١٩٧٢ م، ٢/٥٦٦).

ويجب تقديم الضمير إذا أفاد الضمير الاختصاص، نحو قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)، وقوله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (النحل: ١١٣)، وقوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ (الأنعام: ٤١).

قال الخليل بن أحمد: "والنصب بالمواجهة مع تقدم الاسم قولهم: **إِيَّاكَ ضَرَبْتُ**، وإِيَّاكَ أَرَدْتُ، قال الله جل: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** (الفاتحة: ٥)؛ إِيَّاكَ في محل نصب برجوع الفعل عليه." (الخليل، ١٩٨٥ م، ٩٠).

وقال الزركشي: "الاختصاص، وذلك بتقديم المفعول والخبر، والظرف والجار والمجرور ونحوها على الفعل، كقوله تعالى: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾**؛ أي: نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك." (الزركشي، ٢٠١٣ م، ٧٤١).

قال محسن عطية: "المفعول به فيها هو ضمير نصب إِيَّاكَ، ولو لم يتقدم لوجب اتصاله فكان نعبدك وتعبدونه، وأعينك ويعنونك، وعندما يتأخر المفعول به ويتصل الضمير بالفعل يتغير المعنى، فمعنى إِيَّاكَ نعبد، أي نخصك بالعبادة وحدك، أما لو تأخر الضمير وصار نعبدك، فالمعنى يتغير، إذ يحتمل (إنا نعبدك)، ولا يمنع عبادتنا لغيره، وهذا غير المطلوب... ولهذا السبب وجب تقديم المفعول به على فعله في مثل هذه الحالة؛ لأن التقديم في مثل هذه الحالة يفيد التخصيص، وإذا تأخر المفعول به لا يتحقق التخصيص؛ لوجوب اتصال المفعول به (الضمير) بالفعل." (عطية، ٢٠٠٧ م، ٢٩٤).

ويجب تقديم الضمير إذا كان محصوراً، نحو قوله تعالى: **﴿أَمَرَ آلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾** (يوسف: ٤٠)، وأصل الآية: (أمر أن تعبدوه)، فلما أصبح الضمير محصوراً انفصل.

المبحث الثالث: تقديم الاسم على الضمير

يجوز تقديم الاسم على الضمير، إذا اشتمل المفعول المتأخر على ضمير يعود على الفاعل المتقدم، نحو: خاف عمرُ ربَّه، وذلك لأن الضمير عائد على الفاعل (عمر) المتقدم لفظاً ورتبة. وكذلك يجوز تقديم الاسم على الضمير، إذا اشتمل الفاعل المتأخر على ضمير يعود على المفعول

المتقدم، نحو: ضربَ الكلبَ صاحبه، وذلك لأن الضمير عائد على المفعول (الكلب) المتقدم لفظاً المتأخر رتبة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ (البقرة: ١٢٤)، وقوله: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ (الحديد: ٢٠)، وقوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ (فاطر: ٣٩)، وقوله تعالى: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ (الأنعام: ١٥٨)، وقوله تعالى: ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ (المؤمنون: ٤٤)، فالضمير في هذه الآيات عاد على المفعول المتقدم لفظاً المتأخر رتبة.

ويتقدم الاسم على الضمير، إذا عاد الضمير على متقدم لفظاً ورتبة كالفاعل؛ نحو: ركب زيدُ فرسه؛ ومنه قوله تعالى: ﴿يَبْلُغُ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ (البقرة: ١٩٦)، فالضمير في (محله) عائد على (الهدْي) وهو فاعل متقدم لفظاً ورتبة. وقوله تعالى: ﴿يَبْلُغُ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ (البقرة: ١٩٦)، وقوله تعالى: ﴿يُمِيزُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ (البقرة: ١٨٧)، وقوله تعالى: ﴿خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البينة: ٨)، وقوله تعالى: ﴿صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ﴾ (الفتح: ٢٧)، وقوله تعالى: ﴿وَأَصْلَ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ﴾ (طه: ٧٩)، وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ﴾ (هود: ٤٥)، وقوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ﴾ (طه: ١٢١)، فالضمير في هذه الآيات عاد على الفاعل المتقدم لفظاً ورتبة.

ويتقدم الاسم على الضمير، إذا عاد الضمير على متقدم لفظاً ورتبة كالمبتدأ؛ نحو: زيدُ ثوبه جميل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢٤٧)، فالضمير في (ملكه) عائد على (الله) وهو مبتدأ، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران: ١٤)، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ (الصف: ٨)، وقوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ﴾ (الأعراف: ٥٨).

ويجب تقديم الاسم إذا كان الخبر جازاً ومجروراً، واتصل بالمبتدأ ضمير الخبر، نحو: في الدار صاحبها؛ ومنه قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤)، ومنه قول الشاعر:

أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ عَلَيَّ وَلَكِنْ مِلءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا

(ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ١/٢٤١)

قال ابن عقيل: " فحبيبتها: مبتدأ مؤخر، وملء عين: خبر مقدم، ولا يجوز تأخيرها؛ لأنّ الضمير المتصل بالمبتدأ - وهو (ها) - عائد على (عين) وهو متصل بالخبر؛ فلو قلت: (حبيبتها ملء عين) عاد الضمير على متأخر لفظاً ورتبة." (ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ١/٢٤٢).

قال ابن الأنباري: " وإذا كان (المفعول) مقدماً لفظاً، متأخراً تقديرًا، فلا اعتبار بهذا التقديم في منع الإضمار؛ ولهذا جاز بالإجماع (ضربَ غلامه زيدً)، إذا جعلت زيداً فاعلاً وغلّامه مفعولاً؛ لأنّ غلامه وإن كان متقدماً عليه في اللفظ إلا أنّه في تقدير التأخير؛ فلم يمنع ذلك من تقديم الضمير." (ابن الأنباري، ١٩٨٧ م، ١/٦٨)، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ (طه: ٦٧)، فالهاء عائدة إلى موسى وإن كان متأخراً لفظاً؛ لأنّ موسى في تقدير التقديم، والضمير في تقدير التأخير. قال الشاعر:

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا يَلْقَى السَّامِحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا

(ابن الأنباري، ١٩٨٧ م، ١/٦٨)

فالضمير في (علاته) يعود إلى (هرم)، وهو متأخر في اللفظ عن الضمير.

ويتقدم الاسم على الضمير في باب الاشتغال؛ والاشتغال هو أن يتقدم اسم، ويتأخر عنه عامل مشتغل عن العمل في ذلك الاسم، بالعمل في ضمير ذلك الاسم مباشرة، أو في سببيه، بحيث لو فرغ من ذلك المعمول وسلط على الاسم المتقدم لعمل فيه النصب لفظاً أو محلاً؛ نحو: زيداً ضربته، وزيداً ضربتُ غلامه، فزيدٌ منصوب بالفعل ضرب، وهو في الوقت ذاته قد انشغل عنه

الضمير الهاء المتصل به في (ضربته). وهذا الاسم المشتغل عنه يأتي مرفوعاً ويأتي منصوباً، أحدهما راجح لسلامته من التقدير، وهو الرفع بالابتداء، وما بعده في موضع رفع خبر، وجملة الكلام حينئذ اسمية. والثاني مرجوح لاحتياجه إلى التقدير، وهو النصب بفعل موافق للفعل المذكور وهو محذوف وجوباً، وما بعده لا محل له لأنه مفسر، وجملة الكلام حينئذ فعلية.

وللأسم المنشغل خمس صور، وهي ترجيح الرفع، وترجيح النصب، ووجوب الرفع، ووجوب النصب، وجواز الأمرين معاً.

أولاً: وجوب النصب

يجب النصب إذا وقع الاسم السابق بعد أداة تختص بالفعل، كأدوات الشرط، نحو: (إن، وحيثما)، ويكون الفعل ماضياً، ومثاله: إن زيدا أكرمته أكرمك، وحيثما زيدا لقيته فأكرمته، وإذا زيدا لقيته فأكرمته. فإن كان الفعل مضارعاً امتنع ذلك، نحو: إن زيدا تلقه فأكرمته، ويجوز ذلك في الشعر.

وكأدوات التحضيض، وهو الحث وطلب الشيء بقوة وشدة، نحو: هلا زيدا أكرمته، وأدوات العرض، نحو: ألا زيدا ساحتته. وبعد أدوات الاستفهام غير الهمزة؛ لأن الهمزة تدخل على الاسم، وإن كان الفعل يدخل في حيزها؛ لأنها أم الباب فتوسع فيها، ونصب الاسم الواقع بعد (هل) إذا وقع بعدها فعل، وهو مذهب سيبويه، أما الكسائي فيجيز أن يليها الاسم والفعل، وعلى ذلك يجوز الرفع والنصب، غير أن النصب أرجح. نحو: هل زيدا رأيته؟ ومتى عمراً لقيته؟

قال ابن مالك:

والنصب حتم إن تلا السابق ما يختص بالفعل وإن وحيثما

(ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ١/ ٥٢١)

قال سيبويه: "وتقول في الخبر وغيره: **إِنْ زَيْدًا تَرَهُ تَضْرِبْ**، تنصب **زَيْدًا**؛ لأن الفعل **أَنْ يَلِي** (إِنْ) أولى، كما كان ذلك في حروف الاستفهام، وهي أبعد من الرفع؛ لأنها يبنى فيها الاسم على مبتدأ؛ وإنما أجازوا تقديم الاسم في (إِنْ) لأنها أم الجزء ولا تزول عنه، فصار ذلك فيها كما صار في ألف الاستفهام ما لم يجز في الحروف الأخرى." (سيبويه، ١٩٨٣ م، ١/ ١٣٤).

وقال ابن عقيل: "يجب نصب الاسم السابق إذا وقع بعد أداة لا يليها إلا الفعل، كأدوات الشرط، نحو: **إِنْ**، وحيثما، فتقول: **إِنْ زَيْدًا أَكْرَمْتَهُ أَكْرَمَكَ**، وحيثما **زَيْدًا لَقَيْتَهُ فَأَكْرَمَهُ**، وإذا **زَيْدًا لَقَيْتَهُ فَأَكْرَمَهُ**. فإن كان الفعل مضارعاً امتنع ذلك، نحو: **إِنْ زَيْدًا تَلَقَّه فَأَكْرَمَهُ**، فيجب نصب **زَيْدًا** في المثالين وما أشبههما، ولا يجوز الرفع على أنه مبتدأ، إذ لا يقع الاسم بعد هذه الأدوات." (ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ١/ ٥٢٠).

وقد أجاز بعض النحويين وقوع الاسم بعد هذه الأدوات مرفوعاً بعدها، نحو: **إِنْ زَيْدٌ لَقَيْتَهُ فَأَكْرَمَهُ**.

قال ابن هشام: "وأما وجوب النصب ففيها إذا تقدم على الاسم أداة خاصة بالدخول على الجملة الاسمية، كإذا الفجائية، كقولك: (خرجت فإذا **زَيْدٌ** يضربه عمرو)؛ فهذا لا يجوز فيه النصب؛ لأنه يقتضي تقدير الفعل، وإذا الفجائية لا تدخل إلا على الجملة الاسمية." (ابن هشام، ٢٠١٢ م، ٢١٩)، ومنه قول الشاعر:

لَا تَجْزَعِي إِنْ مُنِسْ أَهْلَكُتْهُ فَإِذَا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَاجْزَعِي

(ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ١/ ٥٢١)

قال ابن عقيل: "وقد أجاز بعضهم وقوع الاسم بعدها؛ فلا يمتنع عنده الرفع على الابتداء." (ابن عقيل، ٢٠٠١ م، ١/٥٢١).

الصورة الثانية: ترجيح النصب

يترجح النصب في ست مسائل؛ هي:

أولاً: إذا وقع بعد الاسم فعل دال على طلب (كالأمر، والنهي، والدعاء)، نحو: زيداً أضربه، وزيداً لا تضربه، اللهم زيداً ارحمه، وزيداً غفر الله له، فيجوز رفع الاسم (زيد) ونصبه، والرفع أرجح، وهو المختار.

قال سيوييه: "والأمر والنهي يختار فيهما النصب في الاسم الذي يبنى عليه الفعل ويبنى على الفعل، كما اختير ذلك في باب الاستفهام؛ لأنَّ الأمر والنهي إنّما هما للفعل، كما أنَّ حروف الاستفهام بالفعل أولى، وكان الأصل فيها أن يبتدأ بالفعل قبل الاسم، فهكذا الأمر والنهي؛ لأنهما لا يقعان إلا بالفعل، مظهراً أو مضمراً، وهما أقوى في هذا من الاستفهام؛ لأن حروف الاستفهام يستفهم بها، وليس بعدها إلا الأسماء، نحو قولك: أزيدُ أخوك، ومتى زيدٌ منطلق، وهل عمرو ظريف، والأمر والنهي لا يكونان إلا بفعل، وذلك قولك: زيداً أضربه، وعمراً امرره، وخالداً أضرب أباه، وزيداً اشتر له ثوباً." (سيوييه، ١٩٨٣ م، ١/١٣٧).

وقال الوراق: "واعلم أنك إذا جئت بالأمر والنهي والمجازاة، فالرفع فيها بعيد، كقولك: زيداً أضربه، وزيداً لا تضربه، وإنَّ زيداً تكرمهُ يأتك، والنصب هو المختار، والرفع قبح، وإنما قبح الرفع؛ لأنها أشياء لا تكون إلا بالفعل، فبعدت من الرفع، وإنما جاز الرفع لأنك بدأت بـ (زيد)، وشغلت الفعل عنه بضميره، فامتنع من العمل في (زيد)، فشبه بقولك: زيداً ضربته، إذ كان الرفع لا يغير المعنى." (الوراق، ١٩٩٩ م، ٣١٣).

ثانياً: أن يكون الفعل مقروناً بـ (اللام) أو (لا) الطليبتين، نحو: زيداً لِيُضْرَبَهُ بَكْرٌ، وخالداً لَا تُهْنُهُ، ومنه: زيداً لَا يَعَذِّبُهُ اللهُ؛ لأنه نفى بمعنى الطلب.

ثالثاً: يرجح النصب إذا وقع الاسم بعد أداة يغلب أن يليها الفعل، كهزمة الاستفهام، نحو: أزيداً ضربته؟ بالرفع والنصب، ولكن النصب هو المختار، ومنه قوله تعالى: ﴿أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾ (القمر: ٢٤)، فَإِنْ فَصِلْتَ الهَمْزَةَ فَاَلْمَخْتَارُ الِرْفَعُ، نحو: أ أنت زيدٌ تضربه؟

قال الزجاجي: "وإن اشتغل الفعل عنه بضميره، فتقول في الاستفهام: "أزيداً ضربته؟"، يختار فيه النصب، لأن الاستفهام بالفعل أولى منه بالاسم." (الزجاجي، ١٩٨٥ م، ٣٩).

وقال الوراق: "فإن دخلت ألف الاستفهام على الاسم وقد اشتغل الفعل، اختير النصب، كقولك: أزيداً ضربته؟ وإنما اختير النصب؛ لأن الاستفهام وقع على الفعل فصار حرف الاستفهام يطلب الفعل، فيجب أن يضمّر الفعل ويكون الموضع الذي يقتضي الفعل أولى بالإضمار، فإذا وجب إضمار الفعل قبل الاسم وجب النصب، والرفع جائز على المبتدأ والخبر، وإنما جاز الرفع لأن الاستفهام قد يقع بعده المبتدأ والخبر، كقولك: أزيدٌ قائمٌ؟ فكما جاز الابتداء بعد حرف الاستفهام، وإن كان خبر المبتدأ اسماً، فكذلك يجوز الرفع في الاسم، وإن كان خبر المبتدأ فعلاً، إذا الفعل المشتغل بالضمير لَا تَسْلُطُ لَهُ عَلَى الْمَبْتَدَأِ، فجري مجرى الاسم." (الوراق، ١٩٩٩ م، ٣١٢).

وقد جاء الاسم مرفوعاً بعد همزة الاستفهام، نحو قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَبَشْرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (التغابن: ٦).

رابعاً: أن يقع الاسم بعد عاطف غير مفصول بـ (أمّا) مسبوق بفعل غير مبنيٍّ على اسم، نحو: قام زيدٌ وعمرًا أكرمتُهُ، ونحو: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا﴾ (النحل: ٥)، بعد قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ

مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ ﴿ (النحل: ٤-٥)، وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (النازعات: ٣٠)، بعد قوله تعالى: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ (النازعات: ٢٨).

خامساً: أن يتوهم في الرفع أن الفعل صفةٌ، نحو: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩)، وإنما لم يتوهم ذلك مع النصب، أي نصب (كل) على أنه مفعول بفعل محذوف يفسره (خلقنا)؛ لأن الصفة لا تعمل في الموصوف، وما لا يعمل لا يُفسَّرُ عاملاً.

سادساً: أن يكون الاسم جواباً لاستفهام منصوبٍ، نحو: زيداً ضربته، جواباً لمن قال لك: أيُّهم ضربت؟ أو مَنْ ضربت؟ ويرجح النصب إذا وقع الاسم بعد عاطف تقدمته جملة فعلية، ولم يفصل بين العاطف والاسم بفاصل، نحو: قام زيدٌ وعمراً أكرمته.

قال الوراق: "وأما إذا قلت: ضربتُ زيداً وعمرواً كلمته، فالاختيار نصب عمرو، والرفع جائز، وإنما اختير النصب في (عمرو)؛ لأن واو العطف حَقُّها أن يكون ما بعدها مشاكلاً لما قبلها، فلما بدأت بالفعل، كان إضمار الفعل بعد الواو أولى، لتكون عطفت فعلاً على فعل، فلهذا اختير النصب، والرفع جائز على أن يُجعل ما بعد الواو النصب، متى كان الفعل الذي بعد الواو ابتداءً وخبراً، فتصير عاطفاً جملة على جملة." (الوراق، ١٩٩٩ م، ٣١١).

وقال الزجاجي: "وإن اشتغل عنه الفعل تنصبه بفعل مضمر يدل عليه هذا الظاهر، فتقول: (زيداً ضربته)، والتقدير: (ضربت زيداً ضربته)، ولكنه فعل لا يظهر، وكذلك: (الماء شربته)، و(أخاك أكرمته)، و(الدار دخلتها)، والرفع أجود، إلا في الاستفهام، والأمر، والنهي، والتمني، والجد (النفي)، والعرض، والجزاء، فإنه يختار فيها النصب." (الزجاجي، ١٩٨٥ م، ٣٩).

الصورة الثالثة: جواز النصب والرفع

يجوز رفع الاسم ونصبه إذا لم يوجد ما يوجب رفعه ولا ما يوجب نصبه، ولا ما يرجح رفعه ولا ما يرجح نصبه، نحو: زيدٌ ضربتهُ، وزيداً ضربتهُ.

قال الزجاجي: "إذا اشتغل الفعل عن المفعول بضميره ارتفع بالابتداء، وصار الفعل خبره، كقولك: (زيدٌ ضربتهُ)، ترفع زيداً بالابتداء، و (ضربته) خبره، والهاء عائدة عليه، وفي التثنية: (الزيدان ضربتهما)، وفي الجمع: (الزيدون ضربتهم)، ومثل ذلك: (عبدُ الله أكرمتهُ) و (الماءُ شربتهُ)، و (الدارُ دخلتهاُ)، وكذلك ما أشبهه، هذا هو المختار، وقد يجوز نصبه." (الزجاجي، ١٩٨٥ م، ٣٩) ومنه قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ٧).

وقال الوراق: "فإن قلت: زيدٌ ضربتهُ وعمروُ كلمتهُ، كنت في (عمرو) بالخيار، إن شئت نصبته، وإن شئت رفعت، وإنما اعتدل النصب والرفع ها هنا؛ لأنك بدأت بالاسم في أول الكلام، وشغلت الفعل بالضم، وإن قدرت ما بعد الواو كأنه معطوف على الهاء، اختير النصب في (عمرو)، ليكون ما بعد الواو الفعل، كما أنَّ المضمَر محمول على الفعل، فإن قدرت ما بعد الواو اسماً مبتدأً بمنزلة المعطوف عليه رفعت، واختير الرفع..". (الوراق، ١٩٩٩ م، ٣١٢).

ويجوز النصب ويجوز الرفع على السواء إذا وقع الاسم بعد عاطف تقدمته جملة ذات وجهين: صدرها فعل، نحو: قام زيدٌ وعمراً أكرمتهُ، فيجوز رفع عمرو مراعاة للصدر، ويجوز نصبه مراعاة للعجز.

قال الزجاجي: "فإن كان في صدر كلامك فعل، فعطفت عليه فعل آخر، كان النصب الوجه، كقولك: (قام زيدٌ ومحمداً أكرمتهُ)، والتقدير: (قام زيدٌ وأكرمت محمداً أكرمتهُ)، وإنما أختير ذلك لاعتدال الكلام." (الزجاجي، ١٩٨٥ م، ٤٠).

وقال ابن هشام: " ما يستوي فيه الأمران، وذلك إذا وقع الاسم بعد عاطف مسبوق بجملة فعلية مبنية على مبتدأ؛ نحو: زيدٌ قام وعمرًا أكرمته، وذلك لأن الجملة السابقة اسمية الصدر فعلية العجز، فإن راعيت صدرها رفعت، وإن راعيت عجزها نصبت، فالمناسبة حاصلة على كلا التقديرين، فلذلك جاز الوجهان على السواء." (ابن هشام، د.ت، ٤٢٧).

ومنه قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الإنسان: ٣١)، وتقديره: ويعذبُ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

الصورة الرابعة: وجوب الرفع

يجب رفع الاسم إذا وقع بعد أداة تختص بالابتداء، مثل: إذا الفجائية، نحو: خرجت فإذا زيدٌ يضربه خالدٌ، فيجب رفع (زيد) ولا يجوز نصبه، لأنَّ (إذا) لا يقع بعدها الفعل لا ظاهراً ولا مقدراً؛ كذلك يجب رفع الاسم إذا ولي الفعل المشتغل بالضمير أداة لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، كأدوات الشرط والاستفهام، وما النافية، نحو: زيدٌ إنَّ لقيته فأكرمه، وزيدٌ هل تضربه، وزيدٌ ما لقيته؛ فلا يجوز نصب الاسم؛ لأنَّ ما لا يصلح أن يعمل فيما قبله، لا يصلح أن يُفسَّر عاملاً فيما قبله.

قال ابن هشام: " ووجب رفعه بالابتداء إنَّ تلا ما يختص به كإذا الفجائية، أو تلاه ماله الصدر، كـ (زيدٌ هل رأيته)، وهذا خارج عن أصل الباب، مثل: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ (القمر: ٥٢) و(زيدٌ ما أحسنه)، وترجع في نحو: (زيدٌ ضربتُهُ)، واستويا في نحو: زيدٌ قام وعمرًا أكرمتُهُ." (ابن هشام، د.ت، ٤٢٥).

ويجب رفع الاسم في صيغة (أفعل به) في التعجب، نحو: زيدٌ أحسنُ به؛ لأنَّ الضمير في محل رفع على الفاعلية، والباء زائدة.

ويجب الرفع إن كان الفعل صفة، نحو: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾، أو كان الفعل صلة موصول، نحو: زيدٌ الذي ضربته، أو مضافاً إليه، نحو: زيدٌ يوم تراه تفرح.

الصورة الخامسة: ترجيح الرفع

يختار الرفع في كل اسم لم يوجد ما يوجب رفعه، ولا ما يوجب نصبه، ولا ما يرجح نصبه، ولا ما يجوز فيه الأمران الرفع والنصب على السواء، نحو: زيدٌ ضربته، فيجوز الرفع والنصب، والرفع هو المختار، لأن عدم الإضمار أرجح من الإضمار.

قال الزجاجي: "إذا اشتغل الفعل عن المفعول بضميره ارتفع بالابتداء، وصار الفعل خبره، كقولك: (زيدٌ ضربته)، ترفع زيداً بالابتداء، و(ضربته) خبره، والهاء عائدة عليه، وفي الثانية: (الزيدان ضربتهما)، وفي الجمع: (الزيدون صربتهم)، ومثل ذلك: (عبدُ الله أكرمته)، و(الماء شربته)، و(الدار دخلتها)، وكذلك ما أشبهه، هذا هو المختار، وقد يجوز النصب." (الزجاجي، ١٩٨٥ م، ٣٩).

وقال الوراق: "اعلم أنك إذا قلت: زيدٌ ضربته، فالاختيار الرفع في (زيد)، والنصب جائز، وإنما اختير الرفع؛ لأن الرفع بغير إضمار، والنصب بإضمار، فكان ترك الإضمار أولى لأنه أخف مؤونة من النصب، وليس أيضاً في الكلام ما يقتضي إضمار فعل، فلهذا كان الرفع أولى." (ابن الوراق، ١٩٩٩ م، ٣١١).

وقال ابن هشام: "ما يترجح رفعه بالابتداء، وذلك فيما لم يتقدم عليه ما يطلب الفعل وجوباً أو رجحاناً، نحو: (زيدٌ ضربته)؛ وذلك لأنَّ النصب مُحوج إلى التقدير ولا طالب له، والرفع غني عنه، فكان أولى، لأنَّ التقدير خلاف الأصل، ومن ثمَّ منعه بعض النحويين." (ابن هشام، د.ت، ٤٢٧)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (النازعات: ٣٠).

ويختار الرفع إذا وقع الاسم بعد عاطف تقدمته جملة فعلية فصل بين العاطف والاسم بفواصل، نحو: قام زيدٌ وأمّا عمروٌ فأكرّمته، فيجوز رفع عمرو ونصبه، والمختار الرفع.

خاتمة

اشتمل هذا البحث على مسائل عود الضمير على الاسم تقديمًا وتأخيرًا، حيث إنّ الضمائر كنيات أو إشارات، يشار بها إلى المتكلمين، والمخاطبين، والغائبين، وتنقسم إلى ضمائر بارزة ومستترة، والبارزة إلى منفصلة ومتصلة، والمنفصلة إلى ضمائر رفع وضمائر نصب. والضمائر كلها مبنية.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية: يجوز تأخير الضمير على الاسم المتقدم لفظاً المتأخر رتبة، ويجوز تقديم الضمير على المتأخر لفظاً المتقدم رتبة، ويجوز تأخير الضمير على متقدم لفظاً ورتبة، ويمتنع تقديم الضمير العائد على متأخر لفظاً ورتبة، ويتقدم الضمير للاختصاص، ويتقدم الاسم على الضمير في باب الاشتغال، حيث يجب نصبه ويجب رفعه ويترجح نصبه ويترجح رفعه، ويجوز في النصب والرفع معاً.

وتوصي هذه الدراسة الاهتمام بدراسة الضمائر تقديمًا وتأخيرًا، والاهتمام بتدريسها في المدارس والجامعات، والعمل على تطبيقها في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والشعر العربي.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

- ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق. محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- الأنطاكي، محمد الأنطاكي، المنهاج في القواعد والإعراب، تحقيق. سمير إبراهيم بسيوني، مكتبة الإيوان، القاهرة، مصر، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني:
 - الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
 - سر صناعة الإعراب، تحقيق. د. حسن هندراوي، مطبعة دار القلم، دمشق، سوريا، ط ٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
 - اللمع في العربية، تحقيق حامد المؤمن، بيروت، عالم الكتب، ط ٢، ١٩٨٥ م.
- حماسة، محمد حماسة عبد اللطيف وآخرون، النحو الأساسي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د.ت).
- الخليل، الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب الجمل في النحو، تحقيق. د. فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

- الراجحي، عبده الراجحي، **التطبيق النحوي**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- الرماني، أبو الحسن علي عيسى الرماني، **كتاب معاني الحروف**، تحقيق. د. عبد الفتاح إسماعيل شليبي، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، **كتاب الجمل في النحو**، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الزركشي، بدرالدين محمد بن عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، **المفصل في علم العربية**، تحقيق. فخر صالح قدارة، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ابن السراج، أبو بكر بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، **الأصول في النحو**، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- سيبويه، **كتاب سيبويه**، تحقيق. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٣، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- عبد العليم إبراهيم، **النحو الوظيفي**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨م.
- عطية، محسن علي، **الأساليب النحوية**، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق. محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق. محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت، لبنان، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.
- مهدي المخزومي، في النحو العربي، القاهرة، مصر، ط ٣، ١٩٨٥ م.
- النجار، محمد عبد العزيز النجار، ضياء السالك على أوضح المسالك، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م.
- ابن هشام، أبو عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري المصري:
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٩ م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق. محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت).
- شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق. محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق. محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- الوراق، أبو الحسن محمد بن عبد الله الوراق، علل النحو، تحقيق. د. محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤٢١ هـ - ١٩٩٩ م.

آلية تعريب اللفظ العجمي عند العرب

دراسة وتحليل من كتاب الجواليقي: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم

د. عباس محمد إسماعيل موسى

أستاذ اللغويات المشارك، جامعة الجزيرة، كلية التربية - حنتوب

المستخلص

هدفت الدراسة إلى معرفة آلية التعريب عند العرب قديماً، ومعرفة بعض الألفاظ الأعجمية الدخيلة في اللغة العربية وطرائق تعريبها. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي التحليل. توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها: إن العرب قاسوا الألفاظ الأعجمية بالعربية من حيث البنية والتصريف، بالأخص الألفاظ الأعجمية الثلاثية وبعض الرباعية، استبدال العرب الحروف الثقيلة بالخفيفة مع مراعاة لعلاقة الحرف البديل بالمبدل من حيث الصفة أو المخرج، أو تقديم بعض الحروف وتأخير أخرى، كما حذفوا بعض الحروف في الألفاظ الأعجمية السداسية فما زاد لتتناسب مع اللفظ العربي. توصي الدراسة بالاهتمام بالاكثار في الدراسات الاستقرائية للألفاظ الأعجمية؛ ذلك لمعرفة طرائقهم المتعددة في التعريب، السعي إلى البحث عن آلية التعريب في الألفاظ الأعجمية الحديثة الدخيلة في اللغة العربية، وفقاً لما أجمع عليه (مجمع اللغة العربية - القاهرة) في التعريب.

الكلمات المفتاحية: آلية التعريب، اللفظ الأعجمي، المعرب من كلام العجم، التعريب عند العرب

Abstract

The study aimed to examine the mechanisms of Arabization among the ancient Arabs, identify foreign loan-words in the Arabic language, and show the methods employed to Arabize them. The study followed the descriptive, inductive and analytical method. It has reached several findings, notably the following: Arab linguists Arabize foreign words - particularly trilateral and certain quadrilateral terms - by analogy to the inflectional and derivational structures of Arabic. They replace heavy consonants with lighter alternatives while maintaining their common phonetic features; in other cases, they employ metathesis by reordering certain letters. They also drop certain sounds from foreign words with six or more consonants to conform to Arabic phonology. The study recommends prioritizing extensive inductive research on foreign terms to identify the various methods of Arabization employed by the Arabs. It also calls for investigating the mechanisms of Arabizing modern foreign loan-words in Arabic, in accordance with the consensus of the Arabic Language Academy in Cairo.

Keywords: Arabization mechanism, foreign words, Arabized foreign words, Arabization among the Arabs

١. مقدمة:

قضية التعريب من القضايا المعجمية اللغوية التي أولاها العرب الاهتمام الكبير، ذلك حرصاً على سلامة لغتهم العربية من العُجمة، ولهذا سعوا إلى تعريب كل الألفاظ الأعجمية وإعطائها سمات الألفاظ العربية وزناً لا حكماً، إذ إن اللفظ الأعجمي يأخذ أحكام العربي من حيث الوزن (التفعيلة)، أما حكماً فيُمنع من التصريف لعجميته. وقد نجح العرب في تعريب كل الألفاظ الأعجمية التي دخلت البيئة العربية آنذاك، حيث تكلم بها العرب ووردت في نظومهم، كما وردت في الذكر الحكيم.

١-١. أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في:

- ١/ بيان مكانة التعريب في إثراء اللغة العربية على جهة الخصوص.
- ٢/ بيان ما تمثله الحروف من دور في عملية التعريب من حيث الصفات والمخارج.
- ٣/ الكشف والإظهار للألفاظ الأعجمية التي دخلت البيئة العربية، وجهد العرب في حصرها وتعريبها.

١-٢. أهداف الدراسة:

- ١/ الوقوف على الألفاظ الأعجمية التي حصرها الجواليقي لمعرفة أصولها.
- ٢/ قراءة الألفاظ الأعجمية التي وردت في كتاب (المعرب من الكلام الأعجمي - للجواليقي) وتحليلها.
- ٣/ استنتاج طرائق العرب ومناهجها في تعريب الألفاظ الأعجمية، خلال القراءة والتحليل.

١.٣. منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي والتحليلي، لاستقراء وتحليل الألفاظ الأعجمية صوتياً وصرفيًا.

١.٤. الدراسات السابقة:

١- اللفظ المعرب في القرآن الكريم: دراسة معجمية دلالية في نماذج مختارة، دين سميرة، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية A S J P، العدد ٦، ١١ / ٢٠٢٠ م.

تناولت الدراسة التأصيل في اللفظ الأعجمي، وطرائق تعريب العرب إياه، حيث إعطائه سمة اللفظ العربي من حيث البنية والتصريف، واختلفتا في أن الدراسة السابقة تمحورت حول الألفاظ الأعجمية الواردة في القرآن الكريم وطرائق تعريب العرب إياها، أما الدراسة الحالية فقد اختصت باستقراء اللفظ الأعجمي وتحليله من خلال كتاب الجواليقي مع بيان الهيئات المتعددة في تعريب اللفظ الأعجمي.

٢- المعرب وأثره في اللغة العربية، عز الدين أحمد عبد العاطي، مجلة العلوم الإنسانية العدد ٢١، مارس ٢٠٢٢ م.

تناولت الدراسة السابقة دور المعرب وأثره في ثراء اللغة العربية، حيث بين الكاتب أثرها في اتساع رقعة اللغة العربية مبيناً العوامل الزمانية والمكانية التي أدت إلى ذلك، اتفقت الدراستان في البحث عن اللفظ الأعجمي، أما الأولى فتناولت دور المعرب وأثره في اللغة، أما الحالية فاخصت باستقراء اللفظ الأعجمي وتحليله، لمعرفة آلية التعريب من حيث آلية التحويل الكامنة في التقديم والتأخير والحذف، حتى يناسب اللفظ الأعجمي البنية الصرفية العربية.

٢. اللغة العربية والعرب:

إن العرب اهتموا بلغتهم العربية منذ العصر الجاهلي، ذلك خلال حرصهم على استخدام أبلغ الكلمات وأكثرها رصانة في نظومهم الشعرية، إذ إنهم يختارون أفصح الكلمات وأحسنها جرساً وأكثرها تباعداً للمخارج والأصوات. وهذا ما زاد حرصهم على العربية واهتمامهم بها أنهم كانوا أكثر حرصاً على سلامة اللغة العربية؛ لأنها مكان تفاخرهم عند نظمهم للشعر والنثر، إذ إن أفضلهم شعراً أحسنهم اختياراً للألفاظ عند النظم، بل عن طريق اللغة يعرفون العربي من العجمي.

كانت غاية العرب الدقة والعلم بأسرار اللغة عند العرب، حتى القاضي عليه أن يكون عالماً باللغة ومجيداً لها، كذلك الحاكم لكي يتريس الأمة لا بد أن يكون عالماً بأقطار الكلام متمكناً في الصناعة (أي صناعة الكلام).

ولتلك الأهمية والمكانة في اللغة العربية عند العرب، وضعوا لها قواعد وأصلوها ليعرفها العربي والأعجمي، كما أنهم وضعوا قواعد لتعريب اللفظ الأعجمي الذي لحق بالعربية، وهذا مرادنا في قول: آلية التعريب عند العرب في اللفظ الأعجمي. وهذا ما يقود الدراسة في البحث عن مفهوم التعريب

التعريب لغة واصطلاحاً:

١. ٢. التعريب لغة: ورد في لسان العرب، التعريب، "تعريب الاسم الأعجمي: أن تتفوه به العرب على منهاجها" (ابن منظور، ١٩٦٦ م، مادة عرب).

عرفه الجوهري في الصحاح بقوله: "تعرب: أي تشبه بالعرب، وعُرب لسانه: أي صار عربياً" (الجوهري، ١٩١٧ م، مادة عرب).

٢.٢. التعريب اصطلاحاً:

ذكر أبو علي بن سينا تعريفاً للمعرب بقوله: " التعريب: هو نقل اللفظ من العجمية إلى العربية " (ابن سينا، ٢٠٢١م، ٢٣) وقوله نقل اللفظ من العجمية إلى العربية، يعني أن يأخذ اللفظ المعرب أحكام اللفظ العربي من حيث تباعد الحروف مخرجاً واختلاف أجراس الكلم.

عرّفه غنيم: " التعريب: هو نقل الكلمة الأعجمية ومعناها إلى العربية، سواء تم هذا النقل دون تغيير في الكلمة، أم بعد إجراء وتعديل عليها ". (غنيم، ١٩٨٩م، ٦٥)

خلال التعريفات اللغوية والاصطلاحية للمعرب يمكن تلخيص الآتي:

١/ إجماع علماء اللغة على أن المعرب: هو اللفظ الأعجمي الذي عربته العرب؛ ذلك بإعطائه أحكام العربية ليصير عربياً من أصل أعجمي.

٢/ إن اللفظ الأعجمي يُعرب بتغيير يطرأ فيه، وقد يكون التغيير في شكل الكلمة بحذف بعض حروفها، أو تغيير بعضها حتى يكتسب اللفظ الأعجمي أوصاف العربي وأحكامه صوتاً وصرفاً، ولهذا أفرد ابن دريد باباً أسماه، باب ما تكلمت به العرب من كلام الأعجمي حتى صار كاللغة من حيث الصوت والصرف، ولهذا لا يُسمّى اللفظ معرباً إلا إذا توافر فيه شرطان:

أ. أن يكون قد جرى على اللفظ الأعجمي إبدال بعض حروفه أو تغيير في بناء الكلمة لتمثل البناء الصرفي العربي.

ب. أن يكون اللفظ الأعجمي المنقول إلى العربية في عصر الاستشهاد حيث وروده في الشعر العربي، والقرآن الكريم أو الأحاديث النبوية.

٣. اللُّغاتُ الأعجميّة التي دخلت العربية:

إن الجزيرة العربية تحيط بها مجموعات قبلية، ذات لغات سامية منذ القدم، والمتأمل في ذلك يرى أن حول البيئة العربية اثنيّات ذات لغات أصلية سامية ومن بينها وأشهرها:

١/ **اللغة الفارسية:** تعد اللغة الفارسية من أكثر اللغات التي دخلت البيئة العربية وتم تعريبها؛ ذلك لأنها أكثر بلدان العجم مجاورة ببلاد العرب، ولهذا كانت الألفاظ الفارسية المعربة كثيرة في اللغة العربية، وقد ذكر ذلك صاحب التهذيب، بقوله: "ومن كلام الفرس ما لا يُحصى مما قد أعربته العرب" (الأزهري، د.ت، ١٠/ ٥٨٥)؛ ولهذا فإن الفارسية كانت أقرب لغات العجم إلى العربية، إذ إنها عاصرت العربية منذ آلاف الأعوام مروراً بالعصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام.

٢/ **اللغة اليونانية:** اللغة اليونانية تصنف واحدة من اللغات الهندية والأوربية، توسعت وانتشرت عن طريق التنقل والهجرة إلى الشرق الأوسط، ربما تكون عن طريق نقل الفلسفات والثقافات اليونانية إلى العربية، وقد وضح ذلك جلياً في العصر العباسي حيث وُجدت عشرات من الكلمات اليونانية إلى العربية عن طريق الترجمة في علوم الطب والفلك والفلسفة.

٣/ **السريانية:** فهي من اللغات الآرامية التي دخلت العربية وتم تعريبها. كانت السريانية سائدة في العراق، وقد دخلت ألفاظ منها إلى اللغة العربية حين انتشارها في سوريا.

٤/ **العبرية:** أما اللغة العبرية فهي من اللغات السامية التي أخذت منها العربية عدداً من الكلمات بالأخص أسماء الأنبياء والأماكن القديمة (إسماعيل، إبراهيم، وإسرائيل وإسحاق وغيرها من الأسماء الأعجمية الواردة في القرآن الكريم).

٥/ **الحبشية:** أما الحبشية فالأخذ والاقتباس منها قليل، ذلك لأسباب منها: إنها ليست كسائر اللغات السامية قرباً بالجزيرة العربية، كثرت اللغات الأخرى المؤثرة في البيئة العربية؛ لأنها

لغات مصاحبة لمعارف كعلم الطب والفلسفة وعلم الفلك؛ خلاف اللغة الحبشية التي لا توجد فيها تلك العلوم، لهذا فإن الحبشية أقل إذا ما قارناها بسابقتها من اللغات. لكن رغم ذلك فقد أخذت حظها في مشاركة ألفاظها العربية وتعريبها ومن تلك "الحواري والمنافق، والفطر والمنبر والمحارب والمصحف والبرهان والمشكاة". (زيدان، ١٩٩٦م، ٣٦-٣٧).

وإذا عدنا إلى العرب الأوائل في البحث واللغة نرى أن فيهم من يتحدث الرومية، كما فيهم من يجيد الفارسية، كذلك السريانية والحبشية.

إن معرفة العرب باللغات ساعدهم على جمع الكلمات الدخيلة سواء أكانت رومية أو فارسية أو حبشية، كما ذكر الجواليقي حيث أشار إلى أن من العرب من لهم دراية تامة باللغات الأخرى في قوله "كان علماء اللغة يعرفون بعض اللغات التي أخذت منها العرب، فكان سيبويه وأبو حاتم السجستاني والأزهري والجوهري وغيرهم يجيدون الفارسية، وكان أبو عمرو الشيباني يعرف النبطية، كما أن أبا حاتم يعرف السريانية" (الجواليقي، د.ت، ٢١). وإلى جانب ذلك يمكن تأكيد القول بأن معظم العلماء الذين دونوا اللغة العربية، بل كتبوا الأحاديث النبوية غير عرب -إنما عربهم اللسان- وأن معظمهم من بلاد فارس، ولهذا فإنهم على دراية تامة باللفظ العربي الأصيل عن غيره من الألفاظ الدخيلة عليه من العجم، لذا ترى أنهم أفردوا لهذا الجانب أبواباً في كتبهم منهم ابن دريد، والأزهري والفيروزأبادي، وقد سماه ابن دريد (باب ما تكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغة)، كذلك ابن قتيبة في (ما تكلم به العامة من كلام الأعجمي).

٤. منهج العرب في تعريب اللفظ الأعجمي:

أشار الجواليقي إلى منهج العرب ومذهبهم في تعريب في قوله: "اعلم أن العرب يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها

مخرجاً، وربما أبدلوا ما بعد مخرجه، والإبدال لازم لئلا يدخلون في كلامهم ما ليس من حروفهم، وربما غيروا البناء من الكلام الفارسي إلى أبنية العرب". (الجواليقي، د.ت، ٦٥)

خلال كلام المؤلف الجواليقي عن مذهب العرب يجدر بنا أن نستنتج أن العرب استبدلوا أحرف ثقيلة بأخرى خفيفة على اللسان ليسهل النطق بالكلمة ومن ذلك استبدالهم، الزاي سيناً ومن ثم صاداً في لفظ (الصراط) إذ إن أصلها (الزراط) فهي رومية الأصل، كما أبدلوها صاداً، في اللغة الفارسية (بوزي) حيث أبدلت (بوصي). كما أنهم حذفوا بعض الحروف ليعطوا الاسم صفة العربية من حيث البنية والصوت.

٥. دراسة بعض الألفاظ الأعجمية وطرائق تعريبها:

إن العرب في تعريبها للألفاظ الأعجمية انتهجت طرائق متعددة لمعالجة اللفظ وإعطائه حكم اللفظ العربي، وهذه المعالجة ربما تكون في إعطاء اللفظ هيئة التفعيلات والأوزان العربية، وقد يخالف الوزن لكن يأخذ أجراس العربية الكامنة في الصوت وتباعده مخرجه، والإبدال أو الحذف كما سنوضح خلال بيان منهج التعريب وكيفيته في الآتي:

٥. ١. ما وافق الأوزان العربية:

يجدر القول بأن نقول أن اللغة العربية أوزاناً بها يُعرف اللفظ عربياً كان أم أعجمياً، حيث إن للأفعال أوزاناً كما للأسماء أوزانها، تلك الأوزان يزن بها العرب كل لفظ أعجمي فإذا وافق الوزن العربي ترك كما هو، أو ربما يحدث تغيير في حروف الكلمة الأعجمية ومن ذلك:

كلمة: إسحاق هي اسم أعجمي عبري، إلا أن العرب لم تتصرف في تغيير هيئته عند التعريب بل تركته كما هو؛ لأنه وافق اللفظ العربي المشابه له في الوزن، وهو الفعل الرباعي أسحق،

يسحق إسحاقاً، فمصدر أسحق جاء مشابهاً لاسم إسحق ومثله كلمة (آزر) فهي عبرية الأصل، فقد أخذها العرب قياساً وقد ذكر الجواليقي ذلك في لفظ "آزر: وهو من الأعجمي الذي وافق اللفظ العربي نحو الإزار والإزرة. وفي التنزيل: ﴿أَخْرَجَ شَطَاً فَآزَرَهُ﴾ (الفتح: ٢٩) فالقياس في قوله تعالى: آزره" (الجواليقي، د.ت، ١٣٤)

ومثل ذلك قياساً: اللفظ الربانيون: فقد ورد على المعرب إن لفظ الرباني ليس بعربي، إنما هو عبري، أو سرياني وقد يسمى به الرجل العالم بالحلل والحرام والأمر والنهي". (الجواليقي، د.ت، ٣٣٠-٣٣١). فالرباني منسوب إلى الربّان وقد قاسوا عليه بفعالان، نحو عطشان وسكران ونعسان. ولهذا فقد اكتسب اللفظ (الرباني) هيئة اللفظ العربي من حيث القياس والتصريف، ومثل ذلك كثير من الألفاظ الأعجمية التي نسبها العرب إلى العربية قياساً، كما نجد ذلك في كلمة (رُوم) فهي فارسية الأصل، لكنّها عربت قياساً من قولك: رام يروم روماً، وقد ورد في التنزيل في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ، غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ (الروم: ٢)، قال الجواليقي: "هذا الجليل من الناس أعجمي، وقد تكلمت به العرب قديماً ونطق به القرآن ولهذا فإن الحكم على اللفظ الأعجمي عند العرب قياساً، باللفظ العربي ساعدهم كثيراً في التعريب. ومن ذلك ما ورد في قولهم (نرجس) فهي غير عربية ذلك لمجاورة حرف الراء النون إلاّ أن العرب تركوه كما هو قياساً، حيث إنه جاء على زنة (فعلل) ومثله على الوزن (جعفر، زلزل).

٢.٥. اللفظ الثلاثي: (اسم: فعل):

إن الثلاثي اسماً كان أو فعلاً لم يتعرض إلى تقديم أو تأخير بل تركه العرب كما هو، فقط إنهم اكتفوا بتبديل بعض الحروف بأخرى حتى تأخذ أجراس وهيئة اللفظ العربي.

ونجد ذلك عند تعريبهم للفظ الثلاثي (نوح) فهو اسم أعجمي معرب من العبرية بمعنى

الراحة، أو مشتق من العبرية (نوتش)، وبالسريانية (نوه) بالهاء في لام الكلمة، فربما العرب عند تعريبها اسم (نوح)، عرّبت ما نطق بالسرياني وهو (نوه)، حيث أبدلت الهاء حاء، فصار الاسم (نوح).

فالملاحظ في اللفظ، حدث فيه تغيير في عين الفعل، فهو فعل معتل أجوف، وقد يكون العرب نظروا إليه قياساً مثل (ناح، ينوح، نوحاً). كما قاسوا على الثلاثي (لوط) بقولهم: لاط، يلوط، لوطاً، من " لاط البئر بالطين لوطاً " (الجواليقي، د.ت، ٥٦٣) فهو معرّب من العبرية.

لهذا فلو تأملنا في آلية تعريب اللفظ الأعجمي الثلاثي عند العرب يتضح لنا أنهم اجتنبوا الحذف فيه فتركوه ثلاثياً حتى يتناسب مع الثلاثي عندهم، إذ لا يوجد لفظ ثلاثي اسماً أو فعلاً إلاّ أبدلوا بعض أحرفه بأخرى، كما كلمة " (ورد) فأصلها فارسي (فارتا) Varta"، (الجواليقي، د.ت، باب الواو) حيث أبدلت الفاء، واواً، ربما لوحدة المخرج؛ لأنّ الحرفين شفهيان، ومثل ذلك كلمة التوت فارسية الأصل (توت) لام الفعل (تاء)، و توت ب (الثاء) عند السريان، أبدلت الثاء تاءً لوحدهما مخرجاً وصفة، وقد ورد كثيراً إبدال الثاء تاء عند العرب، حتى في القراءات القرآنية في قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ (المؤمنون: ١١٢) حيث قرئت (لبثتم) بإبدال الثاء تاء وإدغام التاء في التاء.

٣.٥. اللفظ الرباعي:

إن العرب انتهجت في تعريبها اللفظ الأعجمي الرباعي نفس نهج اللفظ الثلاثي، إذ إنهم يتركون اللفظ إلا أنهم قد يحذفون الحرف إذا وجدوا الضرورة إلى ذلك، كما قد تطرأ على اللفظ بعض التغيرات في حروفه عند التعريب، ذلك بإبدال حرف ثقيل بخفيف يشابهه مخرجاً أو صفة. ومن ذلك ما قاموا به في تعريب لفظ (الصراط) فهي كلمة أعجمية رومية الأصل، أصلها، الزراط، ثم عرّبت إلى السراط (بالسين) وقد وردت بالسين في القراءات الشاذة، ومن ثمّ الصراط

بالصاد، ولو تأملنا في الأحرف الثلاثة، (ز، س، ص) إننا نجد لها في مخرج واحد.

إن سبب إبدال الزاي بالسين يكمن في أن السين أخفّ جرساً من الزاي، فالسين حرف خفيف مهموس، أما الزاي فمجهور شديد، أما عن إبدال السين بالصاد؛ فلأن السين إن تأثرت بحرف الطاء المطبقة أو جاورتها أبدلت صاداً.

كما أبدلت العرب الزاي بالسين في اللفظ الأعجمي (هنداز) اسماً لأسد، وهو أعجمي أصله فارسي، أبدلت الزاي سينا عند التعريب فصارت الكلمة (هندس) بكسر الهاء والبدال.

كما أنهم أبدلوا الباء فاءً في مثل كلمة (يوسف) كلمة عبرية، أصلها: (يوسيب) فحذفت الياء وأبدلت الباء فاءً؛ لأن مخرج الحرفين واحد، بل أبدلوا الثقيل المجهور (الباء) بالخفيف المهموس (الفاء). (الفراهيدي، ٢٠٠٤، ١٧).

ما سبق يؤكد أن العرب يبدلون الحرف في اللفظ الأعجمي بحرف شبيه له في المخرج أو الصفة باحثين في ذلك عن الخفة للألفاظ الأعجمية، ولهذا طرأوا إلى الإبدال في حروفها ومن ذلك قولهم (نرجس) اسم أعجمي يوناني (نركس) بالكاف: أبدلت الكاف عند التعريب جيماً فأصبحت نرجس، وإذا نظرنا إلى العلاقة بين الجيم والكاف يتضح لنا أن الحرفين مجهوران، فالمشابهة في جهور الحرفين صوتاً، ومثل ذلك الجُمْل بتشديد الجيم فأصلها (كُمْل)، كلمة أعجمية من أصل فارسي فأبدلت كافها جيماً، يبدو أن الفرس ليس لديهم حرف الجيم وإن وجد عندهم فهو معجم، لذا ينطقونها كافاً، ومثل ذلك (الجورب) فارسية الأصل فأصلها (كورب)، فأبدلت الكاف جيماً فأصبحت جورب، فالجيم والكاف حرفان مجهوران. بل العرب ذهبت إلى جواز إبدال حرف الغين (غ) بالجيم عند التعريب، ومن ذلك لغام أبدلت الغين جيماً فصارت لجام، كذلك إذا نظرنا إلى العلاقة بين الحرفين فالاثنتان مجهوران كما أنَّهما متقاربان مخرجاً فالغين في أدنى

الحلق: أي نهايته، والجيم في أقصى اللسان: أي بدايته، فالأول مجاور للآخر.

وعلى هذا النهج في التعريب كان إبدال حرف الكاف خاءً كما في لفظ (الخندق) فهو اسم أعجمي فارسي - أصله كنده أي محفور (الجواليقي، د.ت، ٢٧٩) (فأبدلت الكاف خاءً وهذا وارد في اللغة الإنجليزية حيث ينطقون الخاء كافاً؛ لأن الخاء ليست موجودة في لغتهم، الحرف الخاء أقرب الحروف لحرف الكاف والحرفان مهموسان وهذا عند العربي، أما عند العبريين فالعكس إذ إنهم يجيدون نطق الخاء بدلاً عن الكاف ومن ذلك حولهم (زخرياً) اسم أعجمي عبري أبدلت فؤه كافاً فصار (زكريا) بخلاف الفرس الذين ينطقون الكاف خاءً كما في (كسرى) اسم أعجمي فارسي أصله خسرو بالخاء، كذلك كورة، بالفارسية خورة بالخاء، فالحاء والكاف متفقان صفة ومخرجاً، أما الغين بالجيم فمتقاربان في الصفة حيث إنها مجهوران مع تقارب المخرج" (الجواليقي، د.ت، باب ز، ع)

وعلى هذا النسق كان العرب يبدلون حرف الهاء قافاً، إذا وقع في نهاية الكلمة مثل (خندق وجوالق، إستبرق) فأصل القاف هاءً في تلك الكلمات والأصل (كنده، كواله، إستبره) فأبدلت الهاء قافاً. قال الجواليقي: "بنو فارس (الفرس) ليس في كلامهم حرف (الحاء)، فإنها يبدلوها (هاء)، ولا في كلامهم حرف (القاف)، إنما يبدلوها هاءً، مثل: إستبرق (إستبره)" (الجواليقي، د.ت، باب القاف)

الاسم رباعي قد يكون خماسياً في أصله الأعجمي، إن العرب قد يحذفون حرفاً منه ليصير رباعياً ويناسب القياس العربي نجد ذلك في كلمة سندس - سندكس، فحذف كافها لتناسب التفعيلة وزن الفعل الرباعي في العربية، ومثل ذلك كلمة (عيسى)، فهي عبرية الأصل، أصلها: أيسوع، أبدلت همزتها عيناً، وفي ذلك علاقة لوحدة مخرجها الأساسي (الحلق) ووحدة صفتها الصوتية (الجهر) وحذف حرف العين الواقع في آخر الكلمة، وأبدلت حركة السين فتحةً

لتحول الواو ألفاً مقصورة فتصبح الكلمة (عيسى) على زنة (فعلٍ) بكسر فاء الكلمة.

الإبدال عند العرب يكمن وفق نظرهم إلى الحرف البديل وعلاقته بالمبدل أما صفة أو مخرجاً. فالإبدال قد يكون إبدال حرف بآخر أو حركة بآخرى.

٤. ٥. الألفاظ الأعجمية (الخماسية والسداسية):

اجتهد العرب في تعريب اللفظ الخماسي والسداسي حيث استخدموا طرائق متعددة عند التعريب: كالحذف، والإبدال، والتقديم، والتأخير، حتى يأخذ اللفظ سمة الكلمة العربية في الهيئة والوزن، مراعيين في ذلك العلاقات بين الحرف البديل والمبدل في تقاربها صفة أو مخرجاً مع التركيز على عملية إبعاد مخرج الحروف في اللفظ الواحد، حتى يحسن النطق باللفظ، ولهذا نراهم يستخدمون أسلوب الإبدال في الخماسي كما في إبدالهم حرف الذال دالاً في كلمة بغداد، فهي كلمة فارسية الأصل أصلها بغداد بالذال، فأبدل حرف الذال دالاً فصارت بغداد. فإذا نظرنا إلى العلاقة بين الحرفين (الذال والدال) فإن الحرفين متلازمان صفة ومخرجاً.

ومثل ذلك (صلوات) فهي عبرية الأصل وأصلها (صلواتا)، حذفت العرب عند التعريب حرف ألف المد فصارت صلوات وأبدلت التاء تاءً فصارت صلوات، أما من حيث العلاقة بين الحرف البديل والمبدل فهما متطابقان صفة ومخرجاً وهذا ما صلح للإبدال. ومثل ذلك ورد في القراءات القرآنية في قول: ثومها: قرئت تومها بالتاء.

إبدال التاء طاء في قولهم طاوؤس، فهي أعجمية الأصل يونانية أصلها تاؤس، " فأبدلت التاء طاءً، وذلك؛ لأن مخرج الحرفين (التاء والطاء) واحد، وهو ظهر اللسان ". (إسماعيل، ٢٠١٧م)

ومنه إبدال الهمزة عيناً في لفظ (عربون) أصلها يوناني (أربون) بهمزة القطع مع تضعيف

حرف الراء، فأبدلت الهمزة عيناً وخففت الراء فصارت عربون، فهنا جاز الإبدال؛ لأن مخرج الهمزة والعين واحد وهو الحلق بصرف النظر عن موضع كل منهما في الحلق والحرفان مجهوران.

كذلك إبدال الخاء قافاً في كلمة (قرطاس) يونانية الأصل، أصلها (خرتيس) فأبدلت الخاء قافاً؛ لأن مخرجيهما متقاربان، كما أبدلت التاء طاءً وفتحت الطاء ليكون ألف المد ناتجاً عن حركة الفتحة في الطاء، مع إبدال الياء ألفاً فتصير قرطاس؛ لأن الفرس ليس في كلامهم حرف القاف.

وأيضاً إبدال الباء فاء، في كلمة: فيروز، لفظ أعجمي فارسي وأصله بيروز بالباء، فأبدلت الباء فاءً فصارت فيروز، جاز الإبدال؛ لأن مخرج الباء والفاء واحد وهو الشفتان، وسبب الأبدال أن حرف الفاء مهموس خفيف بخلاف حرف الباء المجهور الشديد.

وربما أبدلوا الكاف بالجيم والهاء بالقاف في الاسم الخماسي (كواله) إلى (جوالق)، كما أبدلوا الهاء بالقاف في الاسم السداسي (إستبره) إلى (إستبرق)، فهنا ضرورة الإبدال لعلاقة غير المشابهة؛ صاحب الأصل في الكلمة ليس في كلامه حرف (القاف) لذا كان ينطقونها هاءً.

خلاصة القول:

إن العرب انتهجوا طرائق متعددة في تعريبهم للألفاظ الأعجمية، وقد تلخصت في عملية الإبدال أو التقديم والتأخير أو الحذف للحروف داخل اللفظ الأعجمي ليكتسي اللفظ هيئة اللفظ العربي ووزنه، كما تركوا بعضها مثلما هي كالتالي وافقت اللفظ العربي قياساً، كذلك الألفاظ الأعجمية الثلاثية وبعض الرباعية.

خاتمة

النتائج:

- ١/ دقة العرب في اختيار الحروف المناسبة عند تعريب اللفظ الأعجمي، مركزين على علاقة الحرف البديل بالمبدل، حيث الائتلاف بينهما في الصفة أو المخرج أو الاثنين معاً.
- ٢/ ترك العرب الألفاظ الأعجمية التي شابهت الأوزان العربية قياساً، كما هي مثل كلمة (إسحاق)، كما أنهم تركوا اللفظ الثلاثي دون حذف ليمائل اللفظ العربي، بل اكتفوا بالتبديل.
- ٣/ حذف العرب بعض الحروف في الكلمات الأعجمية السداسية فما زاد، لتناسب الألفاظ العربية، إذ إن ليس في العربية من الألفاظ سباعياً، لذا حذفوا من الحروف ما زاد عن السداسي من اللفظ الأعجمي.
- ٤/ حرص العرب الأوائل على تحديد سمات وعلامات معينة للفظ الأعجمي وإن عُرّب، ذلك حفظاً للأصل والحقوق، وحرصاً على سعيهم في تأصيل اللغة العربية الفصحى والحفاظ على حدودها.

التوصية:

توصي الدراسة بالبحث والتقصي في الكلمات الأعجمية الدخيلة في العربية، والحرص على وضع قوانين وأحكام يُضبط بها اللفظ الأعجمي الداخل في العربية، والعمل على تعريبه وفقاً للمنهجية الحديثة المتفق عليها في التعريب.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

- الأزهرى، محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة، ت: رياض زكي قاسم، دار المعرفة بيروت - لبنان، (د.ت).
- جرجي زيدان، اللغة العربية كائن حي، مكتبة هنداوي، ١٩٩٦ م.
- الجواليقي، موهوب بن أحمد محمد بن الخضر، أبو منصور، المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم، ت: الدكتور ف. عبد الرحيم، دار القلم - دمشق ١٩٩٠ م.
- الجوهرى، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت. أحمد عبد الغفور، ط ٢، دار بيروت، ١٩١٧ م.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، الجمهرة في اللغة، ت: رمزي منير، دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٨٧ م.
- ابن سينا، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، كتاب الشفاء، ت: أ، الأب قنواي و أ. سعيد رائد، ٢٠٢١ م.
- غنيم كارم السيد، اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩ م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، كتاب العين، ت: عبد السلام هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ٢٠٠٤ م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، ١٩٦٦ م.

السلوك الصحي لدى مرضى السكري بمركز علاج السكر بمستشفى عطبرة التعليمي

صفاء عبد الحميد سيد أحمد الصاوي

مركز الفنار للاستشارات النفسية والاجتماعية، الخرطوم، السودان

د. عمر محمد علي يوسف

قسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، السودان

المستخلص

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على السمة العامة للسلوك الصحي لدى مرضى السكري بمركز علاج السكري بمستشفى عطبرة التعليمي، وذلك في ضوء متغيرات: النوع، والعمر، ومدة الإصابة بالمرض، والمستوى التعليمي، وقد اتبع الباحثان المنهج الوصفي. وأظهرت نتائج الدراسة انخفاض مستوى السلوك الصحي لدى مرضى السكري عند مستوى الدلالة (0.01). كما كشفت النتائج عن وجود فروق دالة إحصائية في السلوك الصحي تبعاً لمتغير النوع لصالح الذكور عند مستوى الدلالة (0.01). في حين لم تظهر فروق دالة إحصائية في السلوك الصحي تبعاً لمتغير العمر عند مستوى الدلالة (0.05). كما أظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائية في السلوك الصحي تبعاً لمدة الإصابة بالمرض عند مستوى الدلالة (0.01)، وجاءت الفروق لصالح المرضى الذين تزيد مدة إصابتهم بالمرض عن (6) سنوات، يليهم المرضى الذين تتراوح مدة إصابتهم بين (3-5) سنوات. ولم تُسجل فروق دالة إحصائية في السلوك الصحي تبعاً للمستوى التعليمي عند مستوى الدلالة (0.05). وفي ضوء هذه النتائج أوصت الدراسة: بضرورة تعزيز برامج التثقيف الصحي لمرضى السكري بالمركز، مع إعداد خطط متابعة إرشادية فردية وجماعية. كما أوصت بتقديم برامج توعوية تراعي الفروق بين النوع، وتفعيل دور الأسرة بوصفها شريكاً رئيسياً في مراقبة ودعم السلوكيات الصحية لدى المرضى.

الكلمات المفتاحية: السلوك الصحي، مرضى السكري، السكري

Abstract

The present study aimed to identify the general characteristics of health behavior among patients with diabetes at the Diabetes Treatment Center of Atbara Teaching Hospital, the results indicated a low level of health behavior among diabetic patients at the significance level of (0.01). Statistically significant differences in health behavior were found according to gender in favor of males at the significance level of (0.01). However, no statistically significant differences were found according to age at the significance level of (0.05). The results also revealed statistically significant differences in health behavior according to the duration of illness at the significance level of (0.01). These differences were in favor of patients whose duration of illness exceeded six years, followed by those whose duration ranged from three to five years. No statistically significant differences were found in health behavior according to educational level at the significance level of (0.05). In light of these findings, the study recommended enhancing health education programs for diabetic patients at the Diabetes Treatment Center of Atbara Teaching Hospital, along with the development of individual and group counseling follow-up plans. The study also recommended providing awareness programs that take gender differences into account and activating the role of the family as a key partner in monitoring and supporting patients' health behaviors.

Keywords: Healthy behavior, people with diabetes, diabetes

المقدمة:

تُعدّ الصحة من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، غير أنّ الأمراض المزمنة أصبحت في العصر الحديث من أبرز التهديدات لهذه النعمة نتيجة لتغيّر الأنماط الغذائية، وتبدّل طبيعة الحياة اليومية، وقلة النشاط البدني، وتزايد الضغوط النفسية. ويُعدّ مرض السكري من أكثر هذه الأمراض انتشاراً، حيث أشارت منظمة الصحة العالمية إلى أن معدلاته تشهد ارتفاعاً سريعاً في البلدان ذات الدخل المنخفض والمتوسط، وأنه يمثل أحد الأسباب الرئيسة للعمى، والفشل الكلوي، والنوبات القلبية، والسكتات الدماغية، كما تتوقع المنظمة أن يصبح السكري سابع سبب للوفاة بحلول عام ٢٠٣٠. (منظمة الصحة العالمية، ٢٠٢١)

يُعدّ السلوك الصحي من المفاهيم الجوهرية في مجال الصحة العامة، إذ يُشير إلى كل تصرف أو ممارسة تهدف إلى التأثير الإيجابي على صحة الفرد، سواء كان ذلك بهدف الوقاية من المرض أو التعرف عليه أو تشخيصه في مراحل مبكرة (عثمان، ٢٠٠١).

وقد حظي هذا المفهوم بأهمية واسعة في الأدبيات العلمية، مما دفع العديد من النظريات لتفسيره وبيان محدداته، مثل النظرية المعرفية الاجتماعية، ونظرية الفعل المعقول والمبرر، ونظرية الدافعية للحماية، وتؤكد الدراسات الحديثة أن السلوك الصحي يُعدّ حجر الأساس في الحفاظ على صحة الفرد وتعزيز قدرته على التكيف مع التحديات الصحية. (دليلة، ٢٠١٦)

وفي سياق الأمراض المزمنة، يبرز مرض السكري باعتباره نموذجاً واضحاً لمدى أهمية السلوك الصحي، إذ تعتمد جودة حياة المريض إلى حد كبير على مدى التزامه بسلوكيات صحية مناسبة تشمل تنظيم الغذاء، والنشاط البدني، والمتابعة الدورية، وتناول الأدوية في مواعيدها (إسماعيل، ٢٠٢٢).

وتشير الأدبيات إلى أن أسلوب الحياة الصحي يُسهم في تطوير السلوك الصحي على المدى الطويل، ويحد من عوامل الخطر المرتبطة بالسكري، من خلال الإدارة الذاتية للسلوك، وتعزيز الرفاه النفسي، والالتزام بخطط العلاج، مثل العلاج الغذائي والنشاط البدني الروتيني (صبري، ٢٠٢٢).

إن التزام المريض بالتعليمات الطبية يمثل عنصراً محورياً في التحكم بالسكري، حيث يرتبط مصير المرض إلى حد كبير بسلوك المريض نفسه ومدى وعيه بخطورة المرض. وفي كثير من الأحيان، يرتبط التعايش مع السكري بتحديات نفسية واجتماعية متعددة، بوصفها متطلبات مراقبة مستوى السكر يومياً، وتعديل نمط الحياة، والتعامل مع ضغوط المرض، إضافة إلى التواصل المستمر مع خدمات الدعم الموجهة للمرضى. (الحداد، ٢٠٢١).

إن تعديل السلوك الصحي عملية تمر بعدة مراحل تبدأ بمرحلة ما قبل التفكير، ثم التفكير، ثم الإعداد، وصولاً إلى مرحلة تطبيق السلوك الصحي الجديد، وهو ما يتطلب إرادة ودافعاً قوياً لدى الشخص المصاب. (غانم، ٢٠١٩).

بناءً على ما سبق، جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على السلوك الصحي لدى مرضى السكري، وبيان أهميته البالغة في مساعدة المرضى على التعايش الإيجابي مع هذا المرض المزمن، ودراسة واقع هذا السلوك داخل مركز علاج السكري بمستشفى عطبرة التعليمي.

مشكلة البحث:

تُعَدّ الصحة أحد المرتكزات الأساسية التي تمكّن الإنسان من إحداث تغييرات إيجابية في نمط حياته وسلوكياته اليومية، وهو ما أكدته منظمة الصحة العالمية من خلال دعوتها لتطوير برامج نفسية وصحية؛ تهدف إلى الكشف المبكر عن عوامل الخطر والأسباب السلوكية المرتبطة بالأمراض المزمنة. (WHO, 2021).

وفي هذا السياق، خصصت المنظمة يوم الرابع عشر من نوفمبر من كل عام يوماً عالمياً لمرضى السكري، لتأكيد الحاجة الملحة لتعزيز الجهود العالمية الرامية لتحسين صحة الأفراد، وضمان الوصول إلى العلاج والتثقيف الصحي لمنع مضاعفات المرض (WHO, 2021).

وبناءً على ملاحظة الباحثين الميدانية ومعايشتها اليومية لمرضى السكري، لاحظت افتقار العديد منهم لمجموعة من السلوكيات الصحية الأساسية المرتبطة بالمرض، مثل: عدم ممارسة النشاط البدني، والإفراط في تناول الحلويات، وإهمال الفحوصات الدورية، وعدم الانتظام في تناول الأدوية. وتُشير هذه المؤشرات إلى وجود قصور واضح في تبني السلوك الصحي المطلوب لإدارة المرض، الأمر الذي يستدعي دراسة هذه الظاهرة بصورة علمية ممنهجة. وعليه، تتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ١/ ما السمة العامة للسلوك الصحي لدى مرضى السكري بمستشفى عطبرة التعليمي؟
- ٢/ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في السلوك الصحي لدى مرضى السكري بمستشفى عطبرة التعليمي حسب متغير النوع؟
- ٣/ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في السلوك الصحي لدى مرضى السكري بمستشفى عطبرة التعليمي حسب متغير العمر؟
- ٤/ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في السلوك الصحي لدى مرضى السكري بمستشفى عطبرة التعليمي حسب متغير مدة المرض؟
- ٥/ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في السلوك الصحي لدى مرضى السكري بمستشفى عطبرة التعليمي حسب متغير المستوى التعليمي؟

أهمية البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث في الجانبين الآتين:

أولاً: الأهمية النظرية

- ١/ يبرز البحث أهمية السلوك الصحي بوصفه عاملاً أساسياً في تمكين مرضى السكري من التعايش الإيجابي مع المرض وتقليل مضاعفاته.
- ٢/ الاهتمام بشريحة مهمة من فئات المجتمع وهم المرضى المصابون بالأمراض المزمنة، وخصوصاً مرضى السكري الذين يحتاجون إلى رعاية مستمرة.
- ٣/ قلة الدراسات المحلية التي تناولت موضوع السلوك الصحي لمرضى السكري في السودان بشكل عام، وفي ولاية نهر النيل على وجه الخصوص، مما يجعل هذا البحث إضافة علمية في هذا المجال.
- ٤/ يسهم البحث في إثراء الأدبيات المتعلقة بعلم النفس الصحي والسلوكيات الصحية، من خلال تقديم إطار نظري يدعم فهم العوامل المؤثرة في السلوك الصحي لدى المرضى.

ثانياً: الأهمية التطبيقية

- ١/ تمكّن نتائج البحث من التعرف بشكل أدق على مستوى السلوك الصحي لدى مرضى السكري في البيئة المحلية، مما يساعد في تحديد مواطن الضعف والقوة وتوجيه التدخلات المناسبة.
- ٢/ تسهم نتائج البحث في مساعدة مقدمي الخدمات الصحية والمهتمين بمرضى السكري في تصميم برامج تثقيفية وإرشادية تُسهم في تحسين السلوكيات الصحية.
- ٣/ يمكن أن تمثل توصيات الدراسة أساساً لوضع خطط عملية تستهدف رفع مستوى الصحة البدنية والنفسية للمرضى، بما ينعكس إيجاباً على جودة حياتهم.

٤/ تُعد نتائج الدراسة منطلقاً لدراسات مستقبلية حول موضوع السلوك الصحي للمرضى المزمنين، وتحديدًا مرضى السكري، في مراكز ومناطق مختلفة داخل السودان.

أهداف البحث:

- ١/ التعرف على السمة العامة للسلوك الصحي لدى مرضى السكري بمستشفى عطبرة التعليمي.
- ٢/ الكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية في السلوك الصحي لدى مرضى السكري بمستشفى عطبرة التعليمي وفقاً لمتغير النوع.
- ٣/ التعرف على الفروق ذات الدلالة الإحصائية في السلوك الصحي لدى مرضى السكري بمستشفى عطبرة التعليمي وفقاً لمتغير العمر.
- ٤/ الكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية في السلوك الصحي لدى مرضى السكري بمستشفى عطبرة التعليمي وفقاً لمتغير مدة المرض.
- ٥/ التعرف على الفروق ذات الدلالة الإحصائية في السلوك الصحي لدى مرضى السكري بمستشفى عطبرة التعليمي وفقاً لمتغير المستوى التعليمي.

فروض البحث:

- ١/ تتسم السمة العامة للسلوك الصحي لدى مرضى السكري بمستشفى عطبرة التعليمي بالانخفاض.
- ٢/ توجد فروق ذات دلالة إحصائية في السلوك الصحي لدى مرضى السكري بمستشفى عطبرة التعليمي حسب متغير النوع.
- ٣/ توجد فروق ذات دلالة إحصائية في السلوك الصحي لدى مرضى السكري بمستشفى عطبرة التعليمي حسب متغير العمر.

٤/ توجد فروق ذات دلالة إحصائية في السلوك الصحي لدى مرضى السكري بمستشفى عطبرة التعليمي حسب متغير مدة المرض.

٥/ توجد فروق ذات دلالة إحصائية في السلوك الصحي لدى مرضى السكري بمستشفى عطبرة التعليمي حسب متغير المستوى التعليمي.

حدود البحث:

الحدود المكانية: اقتصر هذا البحث على مرضى السكري المترددين على مستشفى عطبرة التعليمي.

الحدود الزمانية: تم تنفيذ هذا البحث خلال الفترة الزمنية الممتدة من ١٥/٢/٢٠٢٥ م وحتى ١/٩/٢٠٢٥ م.

السلوك الصحي:

يعرّف السلوك الصحي بأنه: أي نشاط يُمارسه الفرد بغرض الوقاية من المرض، أو الكشف المبكر عنه، أو من أجل تحسين الصحة والرفاه (Conner & Norman, 1996).

النظريات المفسرة للسلوك الصحي:

أولاً: نظرية المعتقدات الصحية (Health Belief Model – HBM)

تُعد نظرية المعتقدات الصحية من أقدم النماذج وأكثرها استخداماً في تفسير السلوك الصحي، وقد طُوّرت في خمسينيات القرن الماضي بواسطة علماء النفس العاملين في الخدمات الصحية الأمريكية، وعلى رأسهم هوكباوم (Hochbaum) وروزنستوك (Rosenstock) وكيجر (Kegels)، ثم تم تطويرها لاحقاً عبر إضافات متعددة من أبرزها أعمال بيكر (Becker) في السبعينيات

(Rosenstock et al., 1988). وترى النظرية أن السلوك الصحي يتشكل عندما ترتفع إدراكات الخطر، وتتضح الفوائد ويكون الفرد قادراً على تجاوز العوائق ويمتلك فاعلية ذاتية قوية. لذلك تُعد من أكثر النماذج استخداماً لتفسير التزام مرضى الأمراض المزمنة مثل السكري بالدواء أو النظام الغذائي. وقد أظهرت الدراسات الحديثة فعاليتها في التنبؤ بالسلوكيات الصحية طويلة الأمد (Janz & Becker, 2022).

ثانياً: نظرية السلوك المخطط (Theory of Planned Behavior – TPB)

قدّم عالم النفس إيكّي أجزن (Ajzen) هذه النظرية عام ١٩٩١م بوصفها تطويراً مباشراً لنظرية الفعل المنطقي. وجاءت لتفسير السلوكيات الإنسانية المعقدة التي لا تخضع دوماً للنوايا الواعية فقط. وترتكز النظرية على ثلاثة مكونات رئيسية:

١/ الاتجاهات نحو السلوك، وهي التقييمات الشخصية للفرد تجاه السلوك (إيجابية أو سلبية).

٢/ المعايير الذاتية، وتعكس درجة تأثير توقعات الآخرين على الفرد.

٣/ التحكم السلوكي المدرك، ويشير إلى قدرة الفرد المتصورة على تنفيذ السلوك.

وتُعد هذه النظرية من أقوى النماذج التنبؤية المعاصرة للسلوك الصحي، وقد أكدت

البحوث الحديثة فعاليتها في تفسير السلوكيات المرتبطة بإدارة الأمراض المزمنة (Mc Eachan et al., 2020).

ثالثاً: النموذج الإيكولوجي للسلوك الصحي (Ecological Model of Health Behavior)

يرجع الأساس النظري للنموذج الإيكولوجي إلى أعمال برونفنبرنر (Bronfenbrenner) في

السبعينيات، والذي قدّم إطاراً لفهم تطور الفرد ضمن سياق بيئي متداخل. وقد تم توسيع النموذج

وتطبيقه في مجال الصحة العامة على يد (McLeroy وآخرين، ١٩٨٨). وقد أكدت الدراسات الحديثة دور البيئة الاجتماعية والثقافية في تشكيل سلوكيات المرضى، خصوصاً مرضى السكري الذين يحتاجون إلى بيئة محفزة وداعمة. (Golden & Earp, 2019).

أهمية السلوك الصحي:

- ١/ الوقاية من الأمراض المزمنة.
- ٢/ تحسين جودة الحياة.
- ٣/ تعزيز الصحة النفسية.
- ٤/ تقليل العبء الاقتصادي.
- ٥/ رفع الكفاءة الإنتاجية.
- ٦/ تعزيز الوعي الصحي المجتمعي.

أنواع السلوك الصحي:

أولاً: السلوكيات الوقائية (Preventive Behaviors): تشير السلوكيات الوقائية إلى كل الإجراءات التي يقوم بها الفرد بهدف منع الإصابة بالأمراض أو الحد من عوامل الخطر قبل حدوث المشكلة الصحية. وتشمل هذه السلوكيات تبني نمط غذائي متوازن، ممارسة النشاط البدني، التدخل المبكر للكشف عن عوامل الخطر، وتجنب السلوكيات الضارة مثل التدخين أو الإفراط في تناول السكريات والدهون. (السعدي، ٢٠٢١).

ثانياً: السلوكيات العلاجية (Therapeutic Behaviors): تشمل السلوكيات العلاجية الإجراءات التي يتخذها الفرد بعد الإصابة بالمرض للحفاظ على استقرار حالته الصحية أو منع تدهورها. وتتضمن الالتزام بخطة العلاج، المتابعة الطبية المنتظمة، الالتزام بتناول الأدوية، واتباع الإرشادات

الطبية المتعلقة بإدارة المرض. (الصالح، ٢٠٢٠).

ثالثاً: السلوكيات التعزيزية (Promotive Behaviors): تهدف السلوكيات التعزيزية إلى رفع مستوى الرفاه الصحي وتحسين نوعية الحياة بشكل عام، حتى في غياب المرض. وتشمل هذه السلوكيات الانخراط في أنشطة تعزيز الصحة مثل تحسين الصحة النفسية، المشاركة في الأنشطة الاجتماعية الداعمة، تطوير مهارات التكيف، والحفاظ على نمط حياة متوازن (محمود، ٢٠٢٢).

العوامل المؤثرة على السلوك الصحي:

١/ **العمر (Age):** يتغير السلوك الصحي تبعاً للمرحلة العمرية، حيث تؤثر التغيرات الجسدية والنفسية على القدرة على الالتزام بالسلوكيات الصحية (Brewer et al., 2007).

٢/ **النوع (Gender):** يختلف الذكور عن الإناث على المستوى البيولوجي والاجتماعي والثقافي، مما يؤثر على ممارسة السلوك الصحي. (Courtenay, 2000; Macintyre et al., 1996).

٣/ **الوضع الاجتماعي والاقتصادي (Socioeconomic Status):** للأفراد المتمين للطبقات الاجتماعية العليا خبرة أكبر في الرعاية الصحية واهتمام أعلى بالصحة مقارنة بالطبقات الأدنى، (Davidson & Townsend, 1982; Skelton & Pennebaker, 1978).

٤/ **السمات الشخصية (Personality Traits):**

٥/ **الصلابة النفسية (Hardiness):** تتضمن الالتزام، والقدرة على التحكم، والتحدي، وتعمل باعتبارها عامل حماية ضد تأثير المشقة والتوتر على الصحة، وتعزز التكيف مع الأمراض المزمنة. (رودهام، ٢٠٠٢).

٦/ **المعتقدات الصحية (Health Beliefs):** تتمثل في:

- أ. المعتقدات غير العلمية والامثال للأنظمة الطبية: وتشمل: (المعتقدات الصحية الشعبية، تأثير المعتقدات على الامثال الطبي، المعتقدات وسلوكيات الصحة غير التقليدية).
- ب. تأثير المعتقدات على سرعة الشفاء.
- ج. مركز الضبط (Locus of Control).
- د. العوامل الثقافية والاجتماعية.
- هـ. مستوى المعرفة والتوقعات.
- و. نموذج ليفينثال للتنظيم الذاتي. (رودهام، ٢٠٠٢).

أبعاد السلوك الصحي: يتضمن السلوك الصحي ثلاثة أبعاد رئيسية وهي:

- ١/ البعد الوقائي.
- ٢/ بعد الحفاظ على الصحة.
- ٣/ بعد الارتقاء بالصحة. (عثمان، ٢٠٠١).

أنماط السلوك الصحي:

تتعدد أنماط السلوك الصحي وفقا للجوانب الجسدية والنفسية والاجتماعية، ومن أبرزها:

- ١/ النمط الغذائي: يتعلق بعادات الأكل ونوعية الأغذية المتناولة.
- ٢/ النمط البدني: يرتبط بالنشاط الجسدي وممارسة التمارين الرياضية.
- ٣/ النمط النفسي والاجتماعي: يشمل أساليب التعامل مع الضغوط النفسية والتفاعل الاجتماعي.
- ٤/ النمط الوقائي والطبي: يتعلق بالتعامل مع الخدمات الصحية والتدابير الوقائية.

الدراسات السابقة:

أولاً: الدراسات السودانية:

١. دراسة النور، سحر موافية بلة، وآخرون (٢٠٢٤):

هدفت الدراسة إلى تقييم أثر التعليم الخاص بإدارة مرض السكري على الالتزام الدوائي، وضبط مستوى السكر لدى البالغين السودانيين المصابين بالسكري من النوع الثاني، وذلك قبل وبعد ثلاثة أشهر من تطبيق برنامج التثقيف الذاتي لإدارة السكري. وقد أُجريت الدراسة في السودان خلال الفترة من سبتمبر ٢٠٢٢ إلى مارس ٢٠٢٣ باستخدام تصميم تجريبي لمجموعة واحدة بأسلوب القياس القبلي والبعدي، وشملت ٢٤٤ مشاركاً من مراكز الرعاية الصحية الأولية في ست مدن سودانية. وتم إدخال البيانات وتحليلها بواسطة برنامج الإحصاء SPSS الإصدار ٢٧ باستخدام اختبار (T) للعينات المزدوجة. أظهرت النتائج أن ٦٧٪ من المشاركين كانوا من الذكور، وكان متوسط أعمارهم ٤٨,٦ ± ٩,٣ سنة، بينما كان ٨٥,٣٪ منهم متزوجين. وبلغ متوسط عمر بداية المرض ٦٠,٦ ± ٤٠,٨١ سنة، في حين كان ٤٤,٦٪ مصابين بالمرض لمدة تقل عن خمس سنوات، و ٨٤,١٪ لديهم تاريخ عائلي إيجابي للسكري. وبعد التدخل التعليمي، انخفضت مستويات الالتزام الضعيف والمنخفض والجزئي بالدواء بنسبة ٨,٢٪ و ٤,٠٪ و ٢٠,٦٪ على التوالي، بينما ارتفعت مستويات الالتزام الجيد والعالي بنسبة ١٣,٨٪ و ١٩,٨٪ على التوالي. كما انخفض مؤشر كتلة الجسم بمقدار ١,٧٣ ± ٠,٧٣ كجم/م² ($p = 0.005$)، وانخفضت قيمة سكر الدم الصائم بمقدار ٦٩ ± ٣٢,٩ ملغم/دل ($p = 0.049$)، في حين انخفضت نسبة الهيموغلوبين السكري بمقدار ٢١,٢٨ ± ٠,٢٨٪ ($p = 0.001$).

٢. دراسة محبوب إدريس آدم، وآخرون (2021):

هدفت الدراسة إلى تقييم مستوى المعرفة والمواقف والممارسات الغذائية لدى مرضى السكري من النوع الثاني في السودان، وذلك في ظل تقدير معدل انتشار السكري بين البالغين بنسبة ١٩,١٪ عام ٢٠١٥. وقد شملت الدراسة عينة عشوائية مكونة من ٢٣٨ مريضاً من أصل ٢٤٦٠ مريضاً مُسجلين بمستشفى جابر أبو عزة، وتمت مقابلتهم وجهاً لوجه باستخدام استبيان مُنظم. وأجري تحليل انحدار لوجستي متعدد المتغيرات للكشف عن العوامل المحددة للمعرفة والمواقف والممارسات الغذائية الموصى بها لمرضى السكري من النوع الثاني. أظهرت النتائج أن غالبية المرضى امتلكوا معرفة جيدة (٦, ٥٤٪)، ومواقف إيجابية (٧٩٪)، وممارسات غذائية جيدة (٥٨٪). كما بينت النتائج أن المرضى الذين تلقوا تعليماً رسمياً كانوا أكثر احتمالاً بثلاث مرات (٩٥٪ - 1.6 CI: 5.7) لامتلاك معرفة غذائية جيدة مقارنة بمن تلقوا تعليماً غير رسمي. في حين كان المرضى ذوو المعرفة الجيدة والمواقف الإيجابية أكثر التزاماً بالتوصيات الغذائية، إذ بلغت احتمالات التزامهم ٧, ٤ (٩٥٪ - 2.4-8.9 CI) و ٢, ٣ (٩٥٪ - 1.5-6.7 CI) مرات على التوالي مقارنة بالمرضى ذوي المعرفة الضعيفة والمواقف السلبية.

ثانياً: الدراسات العربية:

١. دراسة عايد، فداء، ملاك، ملاك زين، شحادة، أنس، وحرزنة، لبنى (2025):

هدفت الدراسة إلى استكشاف العلاقة بين الكفاءة الذاتية والوعي الصحي وبعض المتغيرات الديموغرافية بسلوكيات العناية الذاتية لدى المراهقين المصابين بمرض السكري من النوع الأول في فلسطين، باعتبار أن هذا المرض يُعدّ الاضطراب الهرموني الأكثر شيوعاً خلال مرحلة المراهقة، وأن سلوكيات العناية الذاتية تُعد حجر الأساس في إدارة المرض. تتطلب هذه السلوكيات

القيام بمهام يومية معقدة تشمل مراقبة مستوى السكر في الدم، والالتزام بالتوصيات الغذائية، وتناول جرعات الإنسولين، والتعرّف على أعراض انخفاض السكر أو ارتفاعه. يُعد كل من الكفاءة الذاتية والوعي الصحي عاملين نفسيين ومعرفيين أساسيين في نجاح الإدارة الذاتية للمرض، إلا أن الدراسات التي تناولت هذه العوامل في الدول العربية، بما فيها فلسطين، ما تزال محدودة. استخدمت الدراسة تصميماً ارتباطياً مقطوعياً على عينة مكوّنة من ١٥٦ مراهقاً تتراوح أعمارهم بين ١٤ و ١٨ عاماً، جرى اختيارهم بطريقة العينة المتاحة من مراكز الرعاية الصحية الأولية في فلسطين بين فبراير ويونيو ٢٠٢٤. وُجمعت البيانات باستخدام استبانة ذاتية شملت المتغيرات الديموغرافية، ومقياس الوعي الصحي لمرضى السكري، ومقياس الكفاءة الذاتية للسكري، وقائمة سلوكيات العناية الذاتية. وأُجريت التحليلات الإحصائية باستخدام الإحصاءات الوصفية، ومعاملات الارتباط بيرسون والارتباط النقطي الثنائي، والانحدار الخطي المتعدد لفحص العلاقات بين المتغيرات. أظهرت النتائج أن المشاركين يتمتعون بمستويات مرتفعة من الكفاءة الذاتية، ومستويات منخفضة من الوعي الصحي، وضعف في ممارسات العناية الذاتية. كما وُجد ارتباط إيجابي بين الكفاءة الذاتية وسلوكيات العناية الذاتية، بينما ارتبط العمر سلباً بهذه السلوكيات. إضافةً إلى ذلك، كانت الكفاءة الذاتية والعمر من أبرز المتنبئات بسلوكيات العناية الذاتية لدى المراهقين المصابين بالسكري من النوع الأول.

٢. دراسة برمكي، عبد الرحمن، وبوتعني، فريد (٢٠٢٤):

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مستوى السلوك الصحي لدى المصابين بمرض السكري النوع الأول، في ضوء متغيرات (الجنس، مدة المرض والمستوى التعليمي) بالاعتماد على مقياس السلوك الصحي لمرضى السكري النوع الأول للدكتورة (عليوة سمية)، وقد وزع هذا المقياس على عينة قصدية من ٣٠ شخص مصابون بمرض السكري المستوى الأول منهم (١٤)

ذكور. وأظهرت النتائج أن مستوى السلوك الصحي للمرضى مرتفعاً في الأجمال، وبالنسبة للمحاور الأربعة. ولم تجد الدراسة أي فروق ذات دلالة إحصائية لدى مستوى السلوك الصحي تعزى لمتغير الجنس في الوقت الذي وجدت فروق ذات دلالة إحصائية في باقي المتغيرات، خاصة في محوري النشاط البدني والسلوك العام.

ثالثاً: الدراسات الأجنبية:

١. دراسة (Reitmeir, Ladwig, Greiser & Tamayo) (٢٠٢٥):

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن مستوى نوعية الحياة لدى مرضى السكري من النوع الثاني تبعاً لمتغير الجنس في ألمانيا. تكونت العينة من ٨٤٦ مريضاً تراوحت أعمارهم بين ٥٠-٦٣ سنة، بينما تراوحت مدة الإصابة بين ٨-١٠ سنوات، وشكلت النساء نسبة ٤٧٪ من العينة، أظهرت النتائج أن مستوى نوعية الحياة لدى مرضى السكري يختلف باختلاف الجنس لصالح الذكور، كما وجدت فروق في مستوى نوعية الحياة تبعاً لمدة الإصابة لصالح من لديهم مدة إصابة أقل. كما كشفت النتائج عن وجود علاقة ارتباطية موجبة بين العوامل الاجتماعية والاقتصادية وجودة الحياة لدى مرضى السكري.

منهجية البحث وإجراءاته

منهج البحث: استخدم الباحثان في هذه الدراسة المنهج الوصفي وقد اختارا هذا المنهج لأنه الأسلوب العلمي المنظم الذي يعتمد عليه الباحث في جمع البيانات وتحليلها للوصول إلى فهم دقيق للظاهرة محل الدراسة.

مجتمع البحث: تمثل مجتمع البحث من مرضى السكري بمركز نصر الدين بمستشفى عطبرة بولاية

نهر النيل.

عينة البحث: تكونت عينة البحث من مرضى السكري بمركز نصر الدين بمستشفى عطبرة بولاية نهر النيل، حيث بلغ حجمها (١٠٧) تم تعبئتها بواسطة مرضى السكري بمركز نصر الدين. قام الباحثان باختيار عينة البحث الحالي من مرضى السكري بمركز نصر الدين بمستشفى عطبرة بولاية نهر النيل، بطريقة العينة العشوائية البسيطة. حيث بلغ حجمها (١٠٧) من المجتمع الكلي البالغ عددهم (٥٠٠) فرداً، بعد تحديد تمثيل كل طبقة من إجمالي المجتمع الأصلي بما يتناسب مع حجمها، وتم استرداد عدد (١٠٧) مقياس بعد أن تمت تعبئتها بواسطة المجتمع الكلي.

توصيف العينة:

جدول رقم (١) يوضح توزيع العينة حسب النوع

النوع	التكرار	النسبة المئوية
ذكر	٥٧	٥٣,٣%
أنثى	٥٠	٤٦,٧%
المجموع	١٠٧	١٠٠%

يتبين من الجدول (١) أن أعلى تكرار توزيع العينة حسب النوع (٥٧) ونسبة مئوية (٥٣,٣%) لفئة النوع ذكر وتليها فئة النوع أنثى بتكرار (٥٠) ونسبة مئوية (٤٦,٧%).

جدول رقم (٢) يوضح توزيع العينة حسب العمر

العمر	التكرار	النسبة المئوية
أقل من ٣٠	٢٤	٢٢,٤%
من ٣٠ - ٤٠	٣٥	٣٢,٧%

أكثر من ٤٠	٣٢	٢٩,٩%
أكبر من ٦٠	١٦	١٥%
المجموع	١٠٧	١٠٠%

يتبين من الجدول (٢) أن أعلى تكرار توزيع العينة حسب العمر (٣٥) وبنسبة مئوية (٣٢,٩٪)، وتليها الفئة العمرية (من ٣٠ - ٤٠) وتليها الفئة العمرية (أكثر من ٤٠) بتكرار (٣٢) ونسبة مئوية (٩,٢٩٪)، وتليها الفئة العمرية (أقل من ٣٠) بتكرار (٢٤) ونسبة مئوية (٤,٢٢٪)، وتليها الفئة العمرية (أكبر من ٦٠) بتكرار (١٦) ونسبة مئوية (١٥٪).

جدول رقم (٣) يوضح توزيع العينة حسب مدة المرض

مدة المرض	التكرار	النسبة المئوية
أقل من ٣ سنة	١٢	١١,٣%
من ٣ الى ٥ سنة	٣٠	٢٨%
أكثر من ٦ سنة	٦٥	٦٠,٧%
المجموع	١٠٧	١٠٠%

يتبين من الجدول (٣) أن أعلى تكرار توزيع العينة حسب مدة المرض (٦٥) وبنسبة مئوية (٦٠,٧٪)، للمدة المرضية (أكثر من ٦ سنة) وتليها المدة المرضية (من ٣ الى ٥ سنة) بتكرار (٣٠) ونسبة مئوية (٢٨٪)، وتليها المدة المرضية (م أقل من ٣ سنة) بتكرار (١٢) ونسبة مئوية (١١,٣٪).

جدول رقم (٤) يوضح توزيع العينة حسب المستوى التعليمي

المستوى التعليمي	التكرار	النسبة المئوية
أمي	١٣	١٢,٢%
أساس	٢٠	١٨,٧%

ثانوي	٣٢	٢٩,٩%
جامعي	٣٧	٣٤,٦%
فوق جامعي	٥	٤,٧%
المجموع	١٠٧	١٠٠%

يتبين من الجدول (٤) أن أعلى تكرار توزيع العينة حسب المستوى التعليمي (٣٧) ونسبة مئوية (٦, ٣٤٪) للمستوى التعليمي (جامعي) وتليها المستوى التعليمي (ثانوي) بتكرار (٣٢) ونسبة مئوية (٩, ٢٩٪)، وتليها المستوى التعليمي (أساس) بتكرار (٢٠) ونسبة مئوية (٧, ١٨٪)، وتليها المستوى التعليمي (أمي) بتكرار (١٣) ونسبة مئوية (١, ١٢٪)، وتليها المستوى التعليمي (فوق جامعي) بتكرار (٥) ونسبة مئوية (٧, ٤٪).

أدوات البحث:

١/ استمارة البيانات الأولية: أعدت الباحثة استمارة لجمع المعلومات الديموغرافية، والتي تضمنت المتغيرات التالية: النوع، العمر، مدة المرض، المستوى التعليمي.

٢/ مقياس السلوك الصحي: تم استخدام مقياس السلوك الصحي من إعداد الصمادي عبد المجيد والصمادي عبد الغفور عام (٢٠١١)، ويتكون المقياس من ٤٥ فقرة مقسمة على أربعة أبعاد.

طريقة تصحيح المقياس:

للمقياس خمسة بدائل للإجابة: (دائماً، غالباً، أحياناً، نادراً، مُطلقاً)، وتوزع الدرجات على النحو التالي: (٥) دائماً، (٤) غالباً، (٣) أحياناً، (٢) نادراً، (١) مُطلقاً، حيث صيغت جميع عبارات المقياس بصورة إيجابية.

الخصائص السيكومترية لمقياس السلوك الصحي:

الثبات الداخلي لمقياس السلوك الصحي:

تم توزيع المقياس على عينة أولية حجمها فرد بنسبة ٣٠٪ من حجم العينة المختارة للتأكد من ثبات المقياس.

جدول رقم (٥) يوضح الاتساق الداخلي لبنود مقياس السلوك الصحي باستخدام معامل ارتباط بيرسون العزمي ارتباط كل بند بالدرجة الكلية للمقياس.

رقم العبارة	درجة الارتباط	رقم العبارة	درجة الارتباط	رقم العبارة	درجة الارتباط	رقم العبارة	درجة الارتباط	رقم العبارة	درجة الارتباط
١	.٤٤٦	٦	٠.٤٣٢	١١	.٤٣٦	١٦	.٤٣٠	٢١	.٤٨٨
٢	.٤٤٣	٧	.٤٣١	١٢	.٣٥٣	١٧	.٥١١	٢٢	.٣٩٦
٣	.٥٠٤	٨	.٤٣٤	١٣	.٣٠٧	١٨	.٠٢٦	٢٣	.٥١٣
٤	.٤٠١	٩	.٤٤٢	١٤	.٤٣٧	١٩	.٣٦٢	٢٤	.٤١٣
٥	.٤٣٨	١٠	.٣٤١	١٥	.٣٩٨	٢٠	.٢٣٤	٢٥	-.٣٦٤
٢٦	.٠٣٢	٢٧	.٤٥٤	٢٨	.٤٦٨	٢٩	.٤٣٥	٣٠	.٤٣٢
٣١	.٤٥٤	٣٢	.٤٣٥	٣٣	.٣٣٦	٣٤	.٣٥٣	٣٥	.٤٣٤
٣٦	.٤٥٣	٣٧	.٣٥٣	٣٨	.٥٤٣	٣٩	.٣٠٧	٤٠	.٤٣٦
٤١	.٤٦٢	٤٢	.٣٠٩	٤٣	.٢٩٣	٤٤	.٠٠٦	٤٥	.٣٧١

يتضح من الجدول أعلاه والذي يوضح معامل ارتباط بيرسون العزمي ارتباط كل عبارة بالدرجة الكلية للمقياس، تبين أن ارتباط العبارات ذو دلالة إحصائية وعند مستوى دلالة ٠,٠٥، ما عدا العبارات رقم (١٨، ٢٦، ٤٤) ذات ارتباط سالب، والعبارات رقم (٦، ٢٥) ذات ارتباط ضعيف لذلك يجب حذفها حتى لا تؤثر على الاتساق الداخلي للمقياس ليصبح المقياس في صورته

النهائية يتكون من ٤٠ عبارة بدلاً عن ٤٥ عبارة..

جدول رقم (٦) يوضح الثبات بواسطة ألفاكرونباخ والصدق الذاتي بواسطة الجذر التربيعي لمقياس السلوك الصحي

المتغير	الثبات بواسطة ألفاكرونباخ	الصدق الذاتي بواسطة الجذر التربيعي
بُعد العناية بالجسم	٠,٧٥٤	٠,٨٦٨
بُعد العناية بالصحة العامة	٠,٨٤١	٠,٩١٧
بُعد التعامل مع الأدوية والعقاقير	٠,٧٦١	٠,٨٧٢
البُعد النفسي والاجتماعي	٠,٨٠٢	٠,٨٩٥
المجموع	٠,٧٨٩	٠,٨٨٨

يتضح من الجدول أعلاه والذي يوضح معامل الفاكرونباخ للثبات والذي بلغ (٠,٧٨٩) والصدق الذاتي بواسطة الجذر التربيعي والذي بلغ (٠,٨٨٨) لمعامل الثبات لمقياس السلوك الصحي. وبعد حذف العبارات الضعيفة والسالبة الارتباط نستنتج أن المقياس يتمتع بمعاملات ثبات عالية ودالة إحصائياً، وبالتالي يصلح لقياس السمة المبحوثة.

الأساليب الإحصائية المستخدمة:

استخدمت الدراسة مجموعة من الأساليب الإحصائية المناسبة لطبيعة أهدافها ومتغيراتها، وذلك لتحليل البيانات المستخلصة من عينة مرضى السكري بمركز علاج السكر بمستشفى عطبرة التعليمي، وقد تمثلت هذه الأساليب فيما يأتي:

١. التكرارات والنسب المئوية.
٢. معامل ألفا كرونباخ (Cronbach's Alpha).
٣. اختبار (ت) للعينة الواحدة (One-Sample t-test).
٤. اختبار (ت) لعينتين مستقلتين (Independent Samples t-test).
٥. تحليل التباين الأحادي (One-Way ANOVA).
٦. اختبار شيفيه البعدي (Scheffé Post Hoc Test).

عرض النتائج ومناقشتها:

عرض نتيجة الفرض الأول ومناقشتها:

ينص الفرض الأول على: (تسم السمة العامة لسلوك الصحي لدى مرضى السكري في مستشفى عطبرة التعليمي بالانخفاض).

جدول رقم (٧) يوضح اختبار (T) للعينة الواحدة لمعرفة السمة العامة للسلوك الصحي لدى مرضى السكري في مركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي

المتغير	حجم العينة	الوسط الحسابي	الوسط المحكي	الانحراف المعياري	قيمة ت المحسوبة	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
بُعد العناية بالجسم	١٠٧	١٣,٣٧	١٤	٣,٠١٧	٤٥,٨٤٩	١٠٦	٠.٠٠٠	يتسم بالانخفاض عند مستوى الدلالة ٠,٠١
بُعد العناية بالصحة العامة	١٠٧	١٩,٩٧	٢٦	٤,٦٣٩	٤٤,٦٣٤	١٠٦	٠.٠٠٠	يتسم بالانخفاض عند مستوى الدلالة ٠,٠١

يُعد التعامل مع الأدوية والعقاقير	١٠٧	١١,٨٥	١٢	٣,٠٠٣	٤٠,٨٢٦	١٠٦	٠.٠٠٠	يتسم بالانخفاض عند مستوى الدلالة ٠,٠١
البُعد النفسي والاجتماعي	١٠٧	٢١,٢٩	٢٨	٦,٢٨٧	٣٥,٠٢٧	١٠٦	٠.٠٠٠	يتسم بالانخفاض عند مستوى الدلالة ٠,٠١
المجموع	١٠٧	٦٦,٤٨	٨٠	١٦,٩٣٦	١٦٦,٣٣٦	١٠٦	٠.٠٠٠	يتسم بالانخفاض عند مستوى الدلالة ٠,٠١

يلاحظ من الجدول أعلاه والذي يوضح اختبار ت للعينات الواحدة لمعرفة السمة العامة للسلوك الصحي لدى مرضى السكري في مركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي، حيث يلاحظ أن الوسط الحسابي (٦٦,٤٨)، وقيمة ت المحسوبة (١٦٦,٣٣٦) والقيمة الاحتمالية (٠,٠٠٠) دالة، مما يدل على أن السلوك الصحي لدى مرضى السكري في مركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي يتسم بالانخفاض وعند مستوى الدلالة (٠,٠١).

تتفق نتيجة هذه الدراسة مع نتيجة دراسة النور، سحر موافية بلة، وآخرون (٢٠٢٤)، ودراسة عايد، فداء، ملاك، ملاك زين، شحادة، أنس، وحرزنة، لبنى (٢٠٢٥).

بينما اختلفت نتيجة هذه الدراسة مع نتيجة محبوب إدريس آدم، وآخرون. (٢٠٢١)، ودراسة برمكي، عبد الرحمن، وبوتعني، فريد (٢٠٢٤).

أظهرت النتائج أن السلوك الصحي لمرضى السكري في مركز عطبرة التعليمي متدنٍ بشكل ملحوظ عند مستوى دلالة (٠,٠١)، مما يعكس ضعف الالتزام بالممارسات الصحية الأساسية اللازمة للسيطرة على المرض والوقاية من مضاعفاته.

يمكن تفسير هذا الانخفاض بعدة عوامل ذات صلة بخصائص المرضى، مثل ضعف الوعي الصحي حول إدارة المرض وأهمية الالتزام بالنظام الغذائي والدواء، بالإضافة إلى قلة الدافعية بسبب العادات الراسخة، أو شعورهم بتأخر خطورة المرض حتى ظهور المضاعفات.

علاوة على ذلك، تلعب العوامل النفسية والاجتماعية، كحالات الاكتئاب، القلق، ضغوط الحياة، ونقص الدعم الاجتماعي دوراً رئيسياً في الحد من الالتزام بالسلوك الصحي.

من ناحية أخرى، توجد عوامل سياقية وصحية تؤثر أيضاً مثل ضعف برامج التثقيف الصحي المستمرة داخل المركز، التحديات الاقتصادية التي تعوق شراء الأطعمة الصحية أو مستلزمات المراقبة الذاتية، بالإضافة إلى غياب متابعة فعالة تضمن استمرار الالتزام بالسلوك الصحي.

تتماشى هذه النتائج نظرياً مع نموذج التعلم الاجتماعي لباندورا (١٩٨٦) الذي يبرز أهمية التوقعات والكفاءة الذاتية والنمذجة الاجتماعية في تبني السلوك الصحي، ونموذج المعتقدات الصحية (روزنستوك، ١٩٧٤) الذي يشدد على الإدراك المخاطر والحوافز بوصفها عوامل مؤثرة، فضلاً عن نموذج السلوك الصحي الوقائي (بيندر، ١٩٩٦) الذي يربط السلوك بالصحة بالدعم الاجتماعي والمحددات الشخصية والبيئية.

بالتالي، تشير الدراسة إلى أن تحسين السلوك الصحي يتطلب برامج تثقيف صحي مستدامة، تعزيز الدعم الاجتماعي والنفسي، رفع الدافعية والكفاءة الذاتية، وتوفير بيئة صحية اقتصادية مناسبة تساهم في تحسين نتائج العلاج والسيطرة على مرض السكري.

يرى الباحثان أن انخفاض مستوى السلوك الصحي لدى مرضى السكري في مركز علاج السكري بمستشفى عطبرة التعليمي يُعد مؤشراً مقلقاً يستدعي التدخل العلاجي والتوعوي بصورة

أكثر شمولاً ومنهجية. فمرض السكري من الأمراض المزمنة التي تعتمد السيطرة عليها بدرجة كبيرة على التزام المريض بالسلوكيات الصحية اليومية، وليس فقط على التدخل الدوائي.

ويشير الباحثان إلى أن هذا الانخفاض قد يرجع إلى مجموعة من العوامل المتداخلة، أهمها: قصور الثقيف الصحي الموجه للمرضى بالتركيز على الأدوية أكثر من ممارسات الحياة اليومية، وضعف الوعي بمضاعفات المرض ما دام المريض لا يشعر بأعراض واضحة، وقلة المتابعة والدعم المستمر من الكوادر الصحية وغياب خطط إرشادية فردية، والتحديات الاقتصادية والاجتماعية التي تحول دون الالتزام بالغذاء الصحي والنشاط البدني المنتظم، وتدني الدافعية الذاتية لدى بعض المرضى لتغيير نمط حياتهم بما يتناسب مع متطلبات المرض.

ويرى الباحثان أن تعزيز السلوك الصحي يمثل حجر الزاوية في الوقاية من المضاعفات الخطيرة لمرض السكري، مثل أمراض القلب والفشل الكلوي وبتتر الأطراف.

من ثم، فإن تطوير برامج تعليمية مستدامة في المركز، تتبنى منهج التمكين الصحي، وتراعي الفروق الفردية بين المرضى، سيسهم في رفع مستوى السلوك الصحي لديهم وتحسين جودة حياتهم.

عرض نتيجة الفرض الثاني ومناقشتها:

ينص الفرض الثاني على: (لا توجد فروق في السلوك الصحي لدى مرضى السكري في مستشفى عطبرة التعليمي تبعاً للمتغير النوع).

جدول رقم (٨) يوضح اختبار (T) لعينين مستقلتين لمعرفة الفروق في السلوك الصحي لدى مرضى السكري في مركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي حسب النوع.

المتغير	مجموع تا المقارن ة	حجم العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة ت المحسوبة	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
بُعد العناية بالجسم	ذكر	٥٧	١٥.٤٦	٣,٠٧٧	١٠٥	٩.٠٧٧	٠,٠٠٠	توجد فروق دالة
	أنثى	٥٠	١١.٢٨	٢,٩٧٦				إحصائيا لصالح الذكور عند مستوى الدلالة ٠,٠١
بُعد العناية بالصحة العامة	ذكر	٥٧	٢١.٧٠	٤,٦٤٨	١٠٥	٧.٦٣٤	٠,٠٠٠	توجد فروق دالة
	أنثى	٥٠	١٨.٢٨	٤,٦٣٤				إحصائيا لصالح الذكور عند مستوى الدلالة ٠,٠١
بُعد التعامل مع الأدوية	ذكر	٥٧	١٣.٢٦	٣,٢٤٣	١٠٥	٥.٠٧٧	٠,٠٠٢	توجد فروق دالة
	أنثى	٥٠	١٠.٣٨	٢,٦٥٦				إحصائيا لصالح الذكور عند مستوى الدلالة ٠,٠١
البُعد النفسي والاجتماعي	ذكر	٥٧	٢٢.٨٩	٦,٢٧٨	١٠٥	٦.٩٧٦	٠,٠٠١	توجد فروق دالة
	أنثى	٥٠	١٩.٧٤	٦,٣٣٠				إحصائيا لصالح الذكور عند مستوى الدلالة ٠,٠١
المجموع	ذكر	٥٧	٧٣.٣١	١٧,٢٤٦	١٠٥	٢٨,٧٦٤	٠,٠٠٠	توجد فروق دالة
	أنثى	٥٠	٥٩,٦٨	١٦,٥٩٦				إحصائيا لصالح الذكور عند مستوى الدلالة ٠,٠١

يلاحظ من الجدول أعلاه الذي يوضح اختبار ت لعيتين مستقلتين لمعرفة الفروق في السلوك الصحي لدى مرضى السكري في مركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي حسب النوع، حيث يلاحظ أن القيمة المحسوبة (٢٨,٧٦٤)، والقيمة الاحتمالية (٠,٠٠٠) دالة، مما يدل على أنه توجد فروق دالة في السلوك الصحي لدى مرضى السكري في مركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي حسب النوع لصالح الذكور عند مستوى الدلالة ٠,٠١.

اتفقت نتيجة الدراسة مع نتيجة دراسة Reitmeir, Ladwig, Greiser & Tamayo (٢٠٢٥)، في المقابل اختلفت نتيجة الدراسة مع نتيجة دراسة برمكي، عبد الرحمن، وبوتعني، فريد (٢٠٢٤). وقد أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى السلوك الصحي بين مرضى السكري حسب النوع الاجتماعي، حيث كان الذكور أكثر التزاماً بالسلوك الصحي مقارنة بالإناث عند مستوى دلالة (٠,٠١). يمكن تفسير هذه الفروقات استناداً إلى عوامل اجتماعية وثقافية مؤثرة، منها أن الرعاية الصحية للرجال تحظى بأولوية أكبر في بعض المجتمعات، مما يسهل وصولهم للخدمات الصحية واتباع تعليمات العلاج. إضافة إلى ذلك، تتحمل النساء أعباء منزلية ومسؤوليات أسرية تتطلب وقتاً وجهداً قد يحد من قدرة الالتزام بالسلوكيات الصحية مثل ممارسة التمارين والنظام الغذائي المنتظم.

من الناحية النفسية والسلوكية، قد يتمتع الرجال بكفاءة ذاتية ودافعية أعلى تمكنهم من إدارة المرض بشكل أفضل، إضافة إلى إدراك أعلى للخطر والخوف من المضاعفات، مما يدفعهم للالتزام بالفحوصات الطبية. كذلك يبرز دور التعليم والوعي الصحي، حيث يكون الذكور في بعض البيئات أكثر اطلاعاً على المعرفة الصحية، بينما تقيّد الظروف الاجتماعية والاقتصادية ومحدودية مشاركة النساء في برامج التثقيف الصحي فرص رفع وعيهن.

هذه النتائج تتفق مع نظرية التعلم الاجتماعي لباندورا التي تربط السلوك الصحي بالدعم

والموارد المتاحة، وكذلك نموذج المعتقدات الصحية الذي يؤكد تأثير اختلاف إدراك العوائق والقدرة الشخصية على الالتزام. وتشير دراسات سابقة من بيئات مشابهة إلى أن الفروق الجنسية في السلوك الصحي متأثرة بعوامل ثقافية واجتماعية واقتصادية، مما يتطلب تصميم تدخلات صحية تراعي الفروق النوعية، وتعزيز تمكين النساء من خلال دعم صحي واجتماعي واقتصادي مخصص، وزيادة مشاركة النساء في برامج التوعية الصحية. ويرى الباحثان أن ظهور فروق دالة إحصائية في السلوك الصحي لدى مرضى السكري حسب النوع الاجتماعي لصالح الذكور يعكس تأثير العوامل الثقافية والاجتماعية السائدة في المجتمع، والتي تمنح الرجال فرصاً أكبر للوصول إلى الخدمات الصحية والموارد المتعلقة بإدارة المرض.

كما يعتقد الباحثان أن الأدوار التقليدية المناطة بالمرأة داخل الأسرة — مثل مسؤوليات الرعاية المنزلية وضيق الوقت — قد تقلل من قدرتها على ممارسة النشاط البدني أو الالتزام بالأنظمة الغذائية والعلاجية بالشكل المطلوب. ويرى الباحثان أيضاً أن ضعف تمكين المرأة صحياً وضعف مستوى التثقيف الصحي الموجه لها قد يسهمان في انخفاض التزامها بالسلوك الصحي، خاصة في ظل التحديات الاقتصادية التي تجعل من الأطعمة الصحية أو مستلزمات المتابعة الذاتية للسكري عبئاً إضافياً. كما قد تكون الكفاءة الذاتية لدى النساء في إدارة المرض أقل نتيجة قلة الدعم الاجتماعي أو نقص الإرشاد المباشر.

وبناءً على هذه المعطيات، يؤكد الباحثان أن تحسين السلوك الصحي لدى النساء المصابات بالسكري يتطلب تدخلات موجهة تراعي النوع الاجتماعي، من خلال: تعزيز التثقيف الصحي للنساء وزيادة الدعم الاجتماعي والأسري لهن تقديم برامج إرشادية أكثر مرونة تتناسب مع طبيعة أدوارهن الأسرية وتمكينهن اقتصادياً وصحياً لتجاوز العوائق المرتبطة بإدارة المرض، ويخلص البحث إلى أن سد هذه الفجوة بين الذكور والإناث في السلوك الصحي يمثل عاملاً جوهرياً للحد

من مضاعفات السكري، وتحسين جودة حياة النساء المصابات به.

عرض نتيجة الفرض الثالث ومناقشتها:

ينص الفرض الثالث على: (توجد فروق في السلوك الصحي بمركز علاج السكري لدى مرضى السكري في مستشفى عطبرة تبعاً لمتغير العمر).

جدول رقم (٩) يوضح اختبار تحليل التباين الأحادي لمعرفة الفروق في السلوك الصحي لدى مرضى السكري في مركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي حسب العمر

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط مجموع المربعات	قيمة ف	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
بُعد العناية بالجسم	بين المجموعات	١٠,٧٧٨	٣	٣,٥٩٣	٠,٣٨٨	٠,٧٦٢	لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥
	داخل المجموعات	٩٥٤,٢٦٩	١٠٣	٩,٢٦٥			
	المجموع	٩٦٥,٠٤٧	١٠٦				
بُعد العناية بالصحة العامة	بين المجموعات	٧٤,٠٥٨	3	٢٤,٦٨٦	١,١٥٧	٠,٣٣٠	لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥
	داخل المجموعات	٢١٩٦,٨٥٧	١٠٣	٢١,٣٢٩			
	المجموع	٢٢٧٠,٩١٦	١٠٦				
بُعد التعامل مع الأدوية والعقاقير	بين المجموعات	٨٨,٤٠٥	٣	٢٩,٤٦٨	١,٥٠٠	٠,٢١٨	لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥
	داخل المجموعات	٨٦٧,٢٠٣	١٠٣	٨,٤١٩			

٠,٠٥				١٠٦	٩٥٥,٦٠٧	المجموع	
لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥	٠,٧٠٥	٠,٣٦٩	١٨,٨١٥	٣	٥٦,٤٤٥	بين المجموعات	البُعد النفسي والاجتماعي
			٤٠,١٣٢	١٠٣	٤١٣٣,٥٧٤	داخل المجموعات	
				١٠٦	٤١٩٠,٠١٩	المجموع	
لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥	٠,٥٠٣	٠,٧٨٧	٧٦,٥٦٢	٣	٢٢٩,٦٨٦	بين المجموعات	المجموع
			٧٩,١٤٥	١٠٣	٨١٥١,٩٠٣	داخل المجموعات	
				١٠٦	٨٣٨١,٥٨٩	المجموع	

يلاحظ من الجدول أعلاه والذي يوضح تحليل التباين الأحادي لمعرفة ما إذا كانت هنالك فروق في السلوك الصحي لدى مرضى السكري في مركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي حسب العمر حيث يلاحظ أن قيمة ف (٠,٧٨٧) والقيمة الاحتمالية (٠,٥٠٣) غير دالة، مما يدل على أنه لا توجد فروق في السلوك الصحي لدى مرضى السكري في مركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي حسب العمر عند مستوى دلالة ٠,٠٥. واتفقت نتيجة الدراسة مع نتيجة دراسة عايد، فداء، ملاك، ملاك زين، شحادة، أنس، وحرزنة، لبنى (٢٠٢٥).

أظهرت الدراسة عدم وجود فروق دالة إحصائية في مستوى السلوك الصحي لدى مرضى السكري حسب متغير العمر عند مستوى الدلالة (٠,٠٥)، مما يشير إلى أن الالتزام بالسلوك الصحي لا يتأثر بالعمر بشكل واضح لدى أفراد العينة، سواء من الفئات العمرية الأصغر أو الأكبر. تعزى هذه النتيجة إلى عوامل متعددة منها وجود تحديات صحية واجتماعية مشتركة لجميع المرضى،

مثل محدودية الثقيف الصحي وارتفاع تكلفة المتابعة ونقص الدعم المستمر، ما يؤدي إلى سلوك صحي منخفض أو متقارب بين الأعمار.

إضافة إلى ذلك، طبيعة مرض السكري تتطلب نمط حياة ثابت ومستمر من الجميع، ومن ثم قد يكون التشخيص ومدة الإصابة أكثر تأثيراً من العمر الزمني في تحديد السلوك الصحي. كذلك يلعب الدعم الأسري والمحيط الاجتماعي دوراً متساوياً في مختلف الأعمار، مما يحد من تأثير العمر.

تتسق هذه النتيجة مع نظرية باندورا للتعلم الاجتماعي التي تؤكد تأثير البيئة والدعم الاجتماعي أكثر من العمر في تبني السلوك الصحي، وكذلك مع نموذج المعتقدات الصحية الذي يبرز أهمية الإدراك بالخطر والكفاءة الذاتية بغض النظر عن العمر. تدعم دراسات متعددة هذا الاتجاه، مشيرة إلى أن متغيرات مثل المستوى التعليمي، الدافعية، وتوفر الخدمات الصحية أهم من العمر في تحديد الالتزام بالسلوك الصحي لدى مرضى السكري.

يرى الباحثان أن عدم وجود فروق دالة في مستوى السلوك الصحي لدى مرضى السكري حسب العمر يشير إلى أن العوامل المؤثرة في تبني السلوك الصحي ليست مرتبطة بالعمر الزمني بقدر ما هي مرتبطة بعوامل أخرى أكثر تأثيراً، مثل مستوى المعرفة بمرض السكري، والدافعية الداخلية للالتزام، وطبيعة الدعم الذي يتلقاه المريض من أسرته والطاقم الصحي.

ويعتقد الباحثان أن مرض السكري — بوصفه مرضاً مزمنًا — يفرض على المريض نمط حياة ثابتاً لا يختلف باختلاف العمر، مما يجعل الالتزام الصحي مسؤولية مشتركة بين جميع الفئات العمرية. كما تشير إلى أن قرب مستوى السلوك الصحي بين الأعمار يرجع إلى تشابه الظروف العلاجية والاقتصادية والاجتماعية التي يواجهها المرضى في سياق الدراسة.

ويرى الباحثان كذلك أن بعض المرضى من الفئات العمرية الأصغر قد تظهر لديهم مضاعفات مبكرة نتيجة العادات غير الصحية، مما يدفعهم إلى الالتزام أكثر بالسلوك الصحي، وهو ما يقلل الفروقات بينهم وبين كبار السن. كما أن كبار السن قد يفتقرون لعوامل القوة البدنية، لكنهم قد يعوضون ذلك بالخبرة الطبية والمتابعة المنتظمة.

عرض نتيجة الفرض الرابع ومناقشتها:

ينص الفرض الرابع على: (توجد فروق في السلوك الصحي بمركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي تبعاً لمتغير مدة المرض).

جدول رقم (١٠) يوضح اختبار تحليل التباين الأحادي لمعرفة الفروق في السلوك الصحي لدى مرضى السكري في مركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي حسب مدة المرض.

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط مجموع المربعات	قيمة ف	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
بُعد العناية بالجسم	بين المجموعات	٢٣,٣٣٠	٢	١١,٦٦٥	٦,٨٨٠	٠,٠٠٠	توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١
	داخل المجموعات	٩٤١,٧١٧	١٠٤	٩,٠٥٥			
	المجموع	٩٦٥,٠٤٧	١٠٦				
بُعد العناية بالصحة العامة	بين المجموعات	٢٢,٠٤٤	٢	١١,٠٢٢	٥,٤١٠	٠,٠٠٠	توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١
	داخل المجموعات	٢٢٤٨,٨٧٢	١٠٤	٢١,٦٢٤			

المجموعات							مستوى ٠,٠١
المجموع	٢٢٧٠,٩١٦	١٠٦					
بين المجموعات	١٥,٧٢٥	٢	7.863				توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١
داخل المجموعات	٩٣٩,٨٨٢	١٠٤	9.037			٧.870	٠,٠٠٠
المجموع	٩٥٥,٦٠٧	١٠٦					
بين المجموعات	٤٧,٥٠١	٢	٢٣,٧٥٠				توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١
داخل المجموعات	٤١٤٢,٥١٨	١٠٤	٣٩,٨٣٢			٤.٥٩٦	٠,٠٠٠
المجموع	٤١٩٠,٠١٩	١٠٦					
بين المجموعات	١٠٨,٦	٢	54.3٠٠				توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١
داخل المجموعات	٨٢٧٢,٩٨٩	١٠٤	٧٩,٥٤٠			٢٤,٨٥٦	٠,٠٠٠
المجموع	٨٣٨١,٥٨٩	١٠٦					

يلاحظ من الجدول أعلاه والذي يوضح تحليل التباين الأحادي لمعرفة ما إذا كانت هنالك فروق في السلوك الصحي لدى مرضى السكري في مركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي حسب مدة المرض حيث يلاحظ أن قيمة ف (٢٤,٨٥٦) والقيمة الاحتمالية (٠,٠٠٠) دالة، مما يدل على أنه توجد فروق في السلوك الصحي لدى مرضى السكري في مركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي حسب مدة المرض عند مستوى دلالة ٠,٠١.

جدول رقم (١١) يوضح تطبيق اختبار شيفيه البعدي لمعرفة الفروق في السلوك الصحي لدى مرضى السكري في مركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي حسب مدة المرض.

مدة المرض	التكرار	المتوسط	مستوى الدلالة	الاستنتاج
أقل من ٣ سنة	١٢	١٣,٣٧	٠,٠٥٧	غير دالة
من ٣ الى ٥ سنة	٣٠	١٩,٩٧	٠,٠٠١	دالة
أكثر من ٦ سنة	٦٥	٢١,٢٩	٠,٠٠٠	دالة
المجموع	١٠٧	٥٤,٦٣	٠,٠١٩	دالة

يتضح من الجدول أعلاه الذي يوضح اختبار شيفيه البعدي لمعرفة الفروق في السلوك الصحي لدى مرضى السكري في مركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي حسب مدة المرض، حيث يلاحظ أن الفرق لصالح مدة المرض أكثر من ٦ سنة بمتوسط (٢١,٢٩) يليه مدة المرض من ٣ الى ٥ سنة بمتوسط (١٩,٩٧) وعند مستوى دلالة ٠,٠١.

اتفقت نتيجة الدراسة مع نتيجة دراسة برمكي، عبد الرحمن، وبوتعني، فريد (٢٠٢٤)، ودراسة Reitmeir, Ladwig, Greiser & Tamayo (٢٠٢٥).

أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق دالة إحصائياً في مستوى السلوك الصحي لدى مرضى السكري تبعاً لمتغير مدة المرض عند مستوى الدلالة (٠,٠١)، وجاءت هذه الفروق لصالح المرضى الذين تجاوزت مدة إصابتهم ست سنوات، يليهم المرضى الذين تتراوح مدة إصابتهم بين ثلاث إلى خمس سنوات، مما يشير هذه النتيجة إلى أن المرضى ذوي الخبرة الطويلة في التعايش مع السكري أكثر قدرة على تبني السلوكيات الصحية وتسهم في رفع مستوى السلوك الصحي أكثر من المرضى حديثي الإصابة.

ويمكن تفسير ذلك بأن المرضى ذوي الخبرة الطويلة يمرون بتجارب علاجية ممتدة ترفع وعيهم بخطورة الإهمال الصحي، كما أن تزايد احتمالية ظهور المضاعفات مع طول مدة المرض يعزز دافعيتهم للالتزام بالسلوكيات الصحية الوقائية، إضافة إلى أن المتابعة الطبية المنتظمة والتثقيف المستمر يسهمان في تحسين إدارتهم للمرض. كما يُظهر التكيف النفسي الذي يتطور مع مرور الزمن قدرة أكبر على دمج السلوك الصحي ضمن الروتين اليومي.

وتتسق هذه النتيجة مع الإطار النظري، مثل نظرية التعلم الاجتماعي لباندورا ونموذج المعتقدات الصحية ونموذج السلوك الوقائي، والتي تؤكد جميعها دور المعرفة المتراكمة وإدراك شدة المرض في تعزيز السلوك الصحي. وبشكل عام، تعكس هذه النتيجة أهمية دعم المرضى حديثي التشخيص ببرامج تثقيفية مبكرة لتعزيز تبنيهم لسلوكيات صحية فعّالة.

يرى الباحثان أن وجود فروق دالة في السلوك الصحي لدى مرضى السكري حسب مدة المرض يشير إلى أن مرور الوقت يمثل عاملاً مهماً في تعزيز التكيف مع المرض وزيادة الالتزام بالممارسات الصحية. فمع طول فترة الإصابة تتكون لدى المريض خبرة ذاتية أوسع حول كيفية التعامل مع السكري، وتزداد معرفته بالمضاعفات المحتملة، مما يجعله أكثر حرصاً على الالتزام الغذائي والدوائي ومتابعة مستوى السكر.

كما يرى الباحثان أن المرضى حديثي الإصابة غالباً ما يواجهون صعوبة في تقبل المرض وتغيير نمط حياتهم بسرعة، مما يؤثر سلباً على مستوى السلوك الصحي في المرحلة الأولى من التشخيص. وعلى العكس، فإن المرضى الذين مروا بتجارب صحية سابقة — كظهور أعراض خطيرة أو تحذير طبي — يصبحون أكثر وعياً بضرورة الالتزام، ما يفسر الفروق الملحوظة وفق مدة المرض.

ويعتقد الباحثان كذلك أن زيادة الزيارات الدورية للمركز الطبي لدى المرضى ذوي المدة

الأطول تسهم في حصولهم على دعم وتثقيف صحي مستمر، مما يرفع من مستوى سلوكهم الصحي مقارنة بغيرهم.

عرض نتيجة الفرض الخامس ومناقشتها:

ينص الفرض الخامس على: (توجد فروق في السلوك الصحي لدى مرضى السكري في مركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي تبعاً للمتغير المستوى التعليمي).

جدول رقم (١٢) يوضح اختبار تحليل التباين الأحادي لمعرفة الفروق في السلوك الصحي لدى مرضى السكري في مركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي حسب المستوى التعليمي.

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط مجموع المربعات	قيمة ف	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
بُعد العناية بالجسم	بين المجموعات	١٨, ١٨٩	٤	٤, ٥٤٧	١.٤٩٠	.١٣٣	لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠, ٠٥
	داخل المجموعات	٩٤٦, ٨٥٨	١٠٢	٩, ٢٨٣			
	المجموع	٩٦٥, ٠٤٧	١٠٦				
بُعد العناية بالصحة العامة	بين المجموعات	٧٩, ٦٤٠	٤	١٩, ٩١٠	١.٩٢٧	.٠٧٢	لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠, ٠٥
	داخل المجموعات	٢١٩١, ٢٧٥	١٠٢	٢١, ٤٨٣			
	المجموع	٢٢٧٠, ٩١٦	١٠٦				

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط مجموع المربعات	قيمة ف	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
بُعد التعامل مع الأدوية والعقاقير	بين المجموعات	٦٧,٩١٦	٤	١٦,٩٧٩	١,٩٥١	.٠٦٨	لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥
	داخل المجموعات	٨٨٧,٦٩٢	١٠٢	٨,٧٠٣			
	المجموع	٩٥٥,٦٠٧	١٠٦				
البُعد النفسي والاجتماعي	بين المجموعات	٢٢١,٧٤١	٤	٥٥,٤٣٥	١,٤٢٥	.١٣٩	لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥
	داخل المجموعات	٣٩٦٨,٢٧٨	١٠٢	٣٨,٩٠٥			
	المجموع	٤١٩٠,٠١٩	١٠٦				
المجموع	بين المجموعات	٣٨٧,٤٨٦	٤	٩٦,٨٧١	١,٦٩٨	٠,١١٤	لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥
	داخل المجموعات	٧٩٩٤,١٠٣	١٠٢	٧٨,٣٧٤			
	المجموع	٨٣٨١,٥٨٩	١٠٦				

يلاحظ من الجدول أعلاه والذي يوضح تحليل التباين الأحادي لمعرفة ما إذا كانت هنالك فروق في السلوك الصحي لدى مرضى السكري في مركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي حسب المستوى التعليمي، حيث يلاحظ أن قيمة ف (١,٦٩٨) والقيمة الاحتمالية (٠,١١٤) غير دالة، مما يدل على أنه لا توجد فروق في السلوك الصحي لدى مرضى السكري في

مركز علاج السكري في مستشفى عطبرة التعليمي حسب المستوى التعليمي عند مستوى دلالة ٠,٠٥.

اختلفت نتيجة الدراسة مع نتيجة دراسة محبوب إدريس آدم، وآخرون. (٢٠٢١)، ودراسة برمكي، عبد الرحمن، وبوتعني، فريد (٢٠٢٤).

أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق دالة إحصائية في مستوى السلوك الصحي لدى مرضى السكري بمركز علاج السكري بمستشفى عطبرة التعليمي وفقاً لمتغير المستوى التعليمي عند مستوى الدلالة (٠,٠٥)، وهي نتيجة تعكس أن التزام المرضى بالسلوكيات الصحية لا يرتبط بدرجات التحصيل الأكاديمي لديهم.

ويمكن تفسير ذلك بأن مصادر الوعي الصحي لدى مرضى السكري لا تعتمد على التعليم النظامي فقط، بل تتشكل بصورة أكبر من خلال الجلسات التوعوية المقدمة داخل المراكز الطبية، والإرشادات المباشرة من الأطباء والمرضى، إضافة إلى الدور المهم للأسرة والمجتمع ووسائل الإعلام في نقل المعرفة الصحية. كما أن المرضى، مهما اختلف مستواهم التعليمي، يواجهون ظروفًا صحية واجتماعية متقاربة تشمل ارتفاع تكلفة الغذاء الصحي، وقلة فرص ممارسة النشاط البدني، وضعف المتابعة السلوكية المستمرة، مما يؤدي إلى تشابه في ممارساتهم للسلوك الصحي.

وإلى جانب ذلك، قد يشترك المرضى في اعتقاداتهم المرضية وإدراكهم لخطورة السكري وخوفهم من مضاعفاته، فضلاً عن مسؤولياتهم الأسرية التي قد تشكل عوامل مؤثرة على سلوكهم الصحي أكثر من أثر التعليم نفسه.

وتشير هذه النتيجة إلى أن السلوك الصحي غالباً ما يمثل خبرة مكتسبة عبر التجربة اليومية والتفاعل مع البيئة الصحية والاجتماعية، لا عبر المستوى التعليمي.

يرى الباحثان أن عدم وجود فروق دالة في مستوى السلوك الصحي لدى مرضى السكري وفقاً للمستوى التعليمي يشير إلى أن التحصيل الأكاديمي وحده لا يكفي لتعزيز السلوك الصحي ما لم يصاحبه وعي صحي تطبيقي ودعم مستمر. فالسلوك الصحي لمرضى السكري يرتبط أكثر بمدى إدراك المريض لخطورة المرض، والتزامه بالعلاج، والبيئة الاجتماعية والصحية التي يعيش فيها، وليس بعدد سنوات التعليم التي حصل عليها.

ويعتقد الباحثان أن التحديات الاقتصادية والاجتماعية التي يواجهها مرضى السكري في بيئة الدراسة قد حذت من تأثير التعليم على السلوك الصحي، حيث يجد المرضى - بمختلف مستوياتهم التعليمية - صعوبة في تبني نظام غذائي صحي أو ممارسة النشاط البدني أو المتابعة الدورية بشكل منتظم. كما أن المعلومات الصحية التي يكتسبها المرضى داخل المركز أو من التجارب اليومية مع المرض قد تقلل الفوارق بينهم في المعرفة الصحية العملية.

خاتمة:

النتائج التي توصل لها البحث:

١/ يتسم مستوى السلوك الصحي لدى مرضى السكري بالانخفاض، وذلك عند مستوى الدلالة (٠,٠١).

٢/ توجد فروق دالة إحصائية في السلوك الصحي تبعاً لمتغير النوع لصالح الذكور، عند مستوى الدلالة (٠,٠١).

٣/ لا توجد فروق دالة إحصائية في السلوك الصحي لدى مرضى السكري تبعاً لمتغير العمر، وذلك عند مستوى الدلالة (٠,٠٥).

٤/ توجد فروق دالة إحصائية في السلوك الصحي لدى مرضى السكري تبعاً لمدة الإصابة بالمرض، وذلك عند مستوى الدلالة (٠,٠١)، وجاءت الفروق لصالح المرضى الذين تزيد مدة إصابتهم بالمرض عن (٦) سنوات، يليهم المرضى الذين تتراوح مدة إصابتهم بين (٣-٥) سنوات.

٥/ لا توجد فروق دالة إحصائية في السلوك الصحي لدى مرضى السكري تبعاً للمستوى التعليمي، وذلك عند مستوى الدلالة (٠,٠٥).

وعليه نوصي بما يلي:

١/ ضرورة تعزيز برامج التثقيف الصحي الخاصة بمرضى السكري داخل مركز علاج السكري بمستشفى عطبرة التعليمي، خاصة لدى المرضى الذين تقل مدة إصابتهم بالمرض عن ثلاث سنوات.

٢/ إعداد خطط متابعة إرشادية فردية وجماعية تهدف إلى تحسين مستوى السلوك الصحي لدى المرضى، مع التركيز على الجوانب المتعلقة بالدواء والتغذية والنشاط البدني.

٣/ الاهتمام بتقديم برامج توعوية تراعي الفروق بين النوع عبر توجيه مزيد من الجهود لتحسين السلوك الصحي لدى الإناث.

٤/ تفعيل دور الأسرة باعتبارها شريكا أساسيا في مراقبة السلوكيات الصحية ودعمها لمريض السكري، من خلال برامج تثقيف صحية موجهة للمرافقين وذوي المرضى.

٥/ توفير خدمات المشورة الغذائية والإرشاد الصحي بطرق مبسطة تناسب مع جميع المستويات التعليمية للمرضى.

- ٦/ التعاون مع وسائل الإعلام المختلفة لتنفيذ حملات توعوية دورية تسهم في رفع الوعي المجتمعي بالسلوك الصحي للمرضى المصابين بالسكري.
- ٧/ توسيع نطاق البحوث المستقبلية لتشمل متغيرات أخرى قد يكون لها دور في تفسير السلوك الصحي مثل: الحالة الاجتماعية، والدعم الاجتماعي، والوعي الصحي، والجوانب النفسية.
- ٨/ إجراء دراسات مقارنة بين مراكز علاج السكري في ولايات أخرى لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف في مستوى السلوك الصحي لدى المرضى.
- ٩/ تنفيذ برامج تدخلية إرشادية وسلوكية لرفع مستوى السلوك الصحي، مع تقييم فاعليتها بعد التطبيق وقياس أثرها على المدى الزمني.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

- برمكي، عبد الرحمن، وبوتعني، فريد. مستوى السلوك الصحي لدى مرضى السكري من النوع الأول: دراسة ميدانية بمدينة أدرار. رفوف، مج ١٢، ع ١٠، ١٠١٠ - ١٠٣٢. ٢٠٢٤ م، مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/1474949>
- الحداد، عبد العزيز محمد صالح. دور الدعم الاجتماعي في تحسين جودة الحياة لدى مرضى السكري، مجلة العلوم النفسية والتربوية، ٢٠٢١ م، ١٢ (٣)، ١٤٤-١٦٢.
- رودهام، ك. علم النفس الصحي (د. هناء احم محمد شويخ، مترجم)، قنا: مكتبة الأنجلو المصرية. ٢٠٠٢ م.
- السعدي، عبد الله. السلوك الصحي ودوره في الوقاية من الأمراض المزمنة، مجلة دراسات عربية في العلوم الاجتماعية، ٢٠٢١ م، ٥ (٢)، ١١٥-١٣٢.
- الصالح، أحمد عبد الحميد. تأثير العوامل الوراثية في تطور مرض السكري من النوع الثاني، مجلة العلوم الطبية العربية، ٢٠٢٠ م، ١٥ (٤)، ٨٩-١١٠.
- صبري، محمد عبد الرحمن أحمد. السلوك الغذائي ودوره في ضبط مستويات السكر لدى المرضى، مجلة بحوث التغذية العربية، ٢٠٢٢ م، ٨ (١)، ٥٥-٧٢.
- عايد، فداء، ملاك، ملاك زين، شحادة، أنس، وحرزنة، لبنى. سلوكيات الرعاية الذاتية وعلاقتها بالكفاءة الذاتية والمعرفة الصحية لدى المراهقين المصابين بالسكري من النوع الأول في فلسطين: دراسة مقطعية، مجلة بي إم سي للعلوم النفسية، ٢٠٢٥ م، ١٣ (١)، ٧٩٣. <https://doi.org/10.1186/s40359-025-03136-7>
- عثمان، عبد الرحمن محمد الأمين. السلوك الصحي: المفهوم والتطبيقات. الخرطوم: الدار السودانية للكتب. ٢٠٠١ م.

- غانم، رائد محمد عبد الله. مراحل تغيير السلوك الصحي وفق نموذج العزم، مجلة دراسات الصحة العامة، ٢٠١٩م. ٥(٢)، ٨٧-١٠٣.
- قوناس، إسماعيل. السلوك الصحي وجودة الحياة لدى المصابين بمرض السكري: دراسة عيادية لثلاث حالات بالمؤسسة الاستشفائية محمد بوضياف - مهدية، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة ابن خلدون تيارت، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية. ٢٠٢٢م.
- محجوب إدريس آدم، وآخرون المعرفة والسلوكيات والممارسات الغذائية لدى مرضى السكري من النوع الثاني في السودان: دراسة مقطعية قائمة على المستشفيات، العلوم الصحية الأفريقية، ٢٠٢١م، ٢١(١)، ٣٢-٦٤٠، <https://doi.org/10.4314/ahs.v21i1>
- محمود، أحمد. السلوكيات المعززة للصحة والنمو النفسي، مجلة الصحة النفسية العربية، ٢٠٢٢م، ١٨(١)، ٥٥-٧٣.
- منظمة الصحة العالمية. تقارير الصحة العامة. جنيف: WHO. ٢٠٢١م.
- النور، سحر موافية بلة وآخرون. أثر التعليم الذاتي لإدارة السكري على التحكم في مستوى سكر الدم لدى البالغين السودانيين المصابين بالسكري من النوع الثاني، مجلة العلوم البيولوجية والطب، ٢٠٢٤م، ١٢(٣)، ٣٢٧-٣١٦، <https://doi.org/10.4236/jbm.2024.123026>

المراجع الأجنبية:

- Becker, M. H., & Janz, N. K. 1985. The health belief model applied to understanding diabetes regimen compliance. *The Diabetes Educator*, 11(1), 41-47.
- Brown, S. A., & Miller, W. R. 1993. Research on alcoholics anonymous: An update. *Alcoholism: Clinical and Experimental Research*, 17(5), 973-978.
- Camilleri, T., Camilleri, L., Midolo, Y., Papanas, N., Gatt, A., & Formosa, C. 2021. Empowering patients living with diabetes mellitus to cease smoking will improve lower limb perfusion. *Journal of Addictive Diseases*, 39(1), 74-80.
- Courtenay, W. H. 2000. Behavioral factors associated with disease, injury, and death

- among men: Evidence and implications for prevention. *Journal of Men's Studies*, 9(1), 81–142.
- Golden, S. D., & Earp, J. A. L. 2012. Social ecological approaches to individuals and their contexts: Twenty years of Health Education & Behavior health promotion interventions. *Health Education & Behavior*, 39(3), 364–372.
 - Janz, N. K., & Becker, M. H. 1984. The health belief model: A decade later. *Health Education Quarterly*, 11(1), 1–47.
 - Katon, W. J., Lin, E. H. B., Von Korff, M., Ciechanowski, P., Ludman, E. J., Young, B., Peterson, D., Rutter, C. M., McGregor, M., & McCulloch, D. 2015. Collaborative care for patients with depression and chronic illnesses. *New England Journal of Medicine*, 363(27), 2611–2620.
 - Low Wang, C. C., Hess, C. N., Hiatt, W. R., & Goldfine, A. B. 2016. Clinical update: Cardiovascular disease in diabetes mellitus: Atherosclerotic cardiovascular disease and heart failure in type 2 diabetes mellitus—Mechanisms, management, and clinical considerations. *Circulation*, 133(24), 2459–2502.
 - Macintyre, S., Hunt, K., & Sweeting, H. 1996. Gender differences in health: Are things really as simple as they seem? *Social Science & Medicine*, 42(4), 617–624. [https://doi.org/10.1016/0277-9536\(95\)00335-5](https://doi.org/10.1016/0277-9536(95)00335-5).
 - McLeroy, K. R., Bibeau, D., Steckler, A., & Glanz, K. 1988. An ecological perspective on health promotion programs. *Health Education Quarterly*, 15(4), 351–377.
 - Pennebaker, J. W., & Skelton, J. A. (1978). Psychological parameters of physical symptoms. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 4(4), 524–530.
 - Pouwer, F., et al. 2014. Individual mindfulness-based cognitive therapy and cognitive behavior therapy for treating depressive symptoms in patients with diabetes: Results of a randomized controlled trial. *Diabetes Care*, 37(9), 2427–2434.
 - Rosenstock, I. M., Strecher, V. J., & Becker, M. H. 1988, Social learning theory and the health belief model. *Health Education Quarterly*, 15(2), 175–183.
 - Townsend, P., & Davidson, N. 1982. *Inequalities in health: The Black Report*. Penguin Books.
 - Wang, Y., et al. 2015. Psychological interventions for the management of glycemic and psychological outcomes of type 2 diabetes mellitus in China: A systematic review and meta-analyses of randomized controlled trials. *Frontiers in Public Health*, 3, 252.
 - Wooldridge, K. L., Wallston, K. A., Graber, A. L., Brown, A. W., & Davidson, P. 1992. The relationship between health beliefs, adherence, and metabolic control of diabetes. *The Diabetes Educator*, 18(6), 495–500.

الفصائيات العربية التنصيرية ودورها في التأثير على الهوية الدينية للمسلمين دراسة حالة قناة الحياة المسيحية- (برنامج ليكن نور)

- أ.د. أبكر عبد البنات آدم – أستاذ – كلية العلوم الإنسانية – جامعة بحري.
د. المعز حمودة على حمودة – أستاذ مساعد – كلية العلوم الإنسانية – جامعة بحري.
د. أسامة الطيب – أستاذ مساعد – كلية الدعوة والإعلام – جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم.

المستخلص

تناولت الدراسة الفصائيات العربية التنصيرية ودورها في التأثير على الهوية الدينية والثقافية في مجتمع المسلمين. وقد استخدم الغربيون الكثير من الوسائل والأساليب في مخاطبة وجدان المسلمين من خلال البرامج الهادفة والمستجدة عبر فضائية الحياة؛ خاصة برنامج (ليكن نور)، أملاً في التأثير على العقلية المسلمة، والدعوة إلى النصرانية، عبر برامج توعوية مثيرة للجدل. كما هدفت الدراسة إلى الكشف عن خطورة تلك البرامج في الحياة الاجتماعية والفكرية والثقافية. أيضاً خلصت الدراسة إلى أن برنامج (ليكن نور) من البرامج الأكثر إثارة في الدعوة إلى اعتناق النصرانية. استخدم الباحثون المنهج الوصفي والتحليلي، مع تحليل المضمون، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: أن أهم الأهداف التي يسعى برنامج (ليكن نور) لتحقيقها تمثلت في الهدف التنصيري وأن توجه الغالب للبرنامج هو الدعوة إلى اعتناق المسيحية مع توظيف الشرح والتفسير بوصفه وسيلة داعمة لذلك، وأن الأساليب الإقناعية كانت الأكثر استخداماً في البرنامج، وتلتها الأساليب العاطفية.

الكلمات المفتاحية: التنصير، الهوية، الثقافة، الفصائيات، الإعلام

Abstract

This study examines Arab satellite channels promoting Christian proselytism and their role in influencing the religious and cultural identity of Muslim societies. Westerners have employed numerous methods and approaches to address the emotions of Muslims through targeted and innovative programs on Al-Hayat TV, particularly the program "Let There Be Light," hoping to influence the Muslim mindset and promote Christianity through controversial awareness programs. The study also aimed to reveal the dangers of these programs on social, intellectual, and cultural life. Furthermore, the study concluded that "Let There Be Light" is among the most provocative programs in its promotion of Christianity. The researchers used a descriptive and analytical methodology, along with content analysis, "The study yielded several key findings, the most important of which are as follows: the primary objectives of the program "Let There Be Light" were missionary-oriented (proselytization), and its dominant focus was the call to embrace Christianity, utilizing explanation and interpretation as supporting tools. Furthermore, the study revealed that persuasive strategies were the most frequently employed in the program, followed by emotional appeals.

Keywords: Christianization, identity, culture, satellite channels, media

مقدمة

التنصير من المصطلحات الغربية الأكثر خطورة حيث بات يهدد المسلمين منذ قرون خلت حتى اليوم، لذلك من الضرورة بمكان معرفة أخطاره، خاصة إذا علمنا أنه يزداد نشاطه يوماً بعد يوم، فاقترب من كل بيت في العالم الإسلامي للتأثير على أبنائه عن طريق تقديم الخدمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بالإضافة إلى القنوات والإذاعات الموجهة، في الوقت الذي لم يستشعر المسلمون بخطورته بل يظنون بأن الغرب بحضارته يمكن له أن يصنع حضارات أخرى على نظير ما يقدمه من تمويل للدول الأكثر فقراً. وما نشاهده في الواقع المعاصر اليوم نجد أن هنالك تحديات جمة، وهجمات بالغة الخطورة تواجه المسلمين في عقر دارهم، تهدف للقضاء على الثقافة الإسلامية إن استطاعوا، ونشر المسيحية بين المسلمين، وتشكيكهم في دينهم، مستغلين في ذلك كل وسيلة ممكنة لتحقيق أهدافهم.

تعدّ القنوات الفضائية من أخطر وسائل الإعلام تأثيراً في الهوية الثقافية والفكرية داخل المجتمعات المسلمة في عصرنا الحاضر، إذ يُمثل الإعلام العمود الفقري لعملية التواصل والاتصال مع الرأي العام الجماهيري. لذا حرص المنصرون على توظيف بعض القنوات الفضائية في الدعوة إلى التنصير بين المسلمين، مستغلين جهل بعضهم بكثير من أمور عقيدتهم الدينية، فتمكّنوا من الوصول إلى كل بيت عبر هذه الوسائل، مستخدمين العديد من الوسائط الإعلامية، في وقتٍ لا يُدرك فيه كثير من المسلمين خطورة هذا الموقف.

ولتحقيق تلك الغايات، أنشأ المنصرون العديد من القنوات الفضائية التنصيرية الناطقة باللغة العربية وغيرها من اللغات المحلية، وتمثل هذه القنوات وجهاً جديداً للصراع بين الحق والباطل. ولمقاومة المشروع التنصيري، تبرز أهمية دراسة بعض الوسائل التي استخدمها المنصرون،

ومنح كل وسيلة حقها من الدراسة والتمحيص والتدقيق. ومن هذا المنطلق، تسعى هذه الدراسة إلى التركيز على تحليل بعض الفضاءات العربية التي تدعو إلى تنصير المسلمين.

ومع تنامي خطورة العمل التنصيري، وتدفق المحتوى الديني المسيحي عبر الفضاء السمعي والبصري العربي، برزت الحاجة إلى استحقاق بحثي يتقصى طبيعة الخطاب الإعلامي الديني الموجه، لا سيما في ظل تباين الأجندات والمنطلقات الأيديولوجية.

وفي هذا السياق، تتبلور إشكالية الدراسة الحالية في رصد الملامح العامة لهذا الخطاب وتحليلها، مع التركيز بصفة خاصة على برنامج (ليكن نور) المذاع عبر قناة (الحياة)، نظرًا لما يمثله هذا النموذج من توجهات اتصالية صريحة تستهدف التأثير في الهوية الدينية للمتلقى المسلم، وفق استراتيجيات تبشيرية معلنة.

وبناءً على ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى استخدام تحليل المضمون المعرفي للبرنامج، مع استكشاف الاستراتيجيات الإقناعية والأساليب الدعوية الموظفة، فضلاً عن تفكيك البنية اللغوية والأنماط الاتصالية المستخدمة، وصولاً إلى تحديد القوالب الفنية والجمالية التي تشكل الوعاء التعبيري للفضائية موضوع الدراسة.

مشكلة الدراسة:

على الرغم من تنامي دور الفضاءات العربية التنصيرية في بث المحتوى المعرفي باللغة العربية، الذي يستهدف المسلمين بهدف التأثير في عقيدتهم الدينية وتشويه صورة الإسلام من خلال تقديم مضامين محددة لهذا الغرض، إلا أن هناك نقصاً وشحاً في الدراسات التي ترصد مضمون الخطاب التنصيري في هذه القنوات، فضلاً عن عدم وجود معايير لقياس مدى تأثير تلك القنوات في

الهوية الدينية والثقافية والفكرية والاجتماعية للمسلمين. وعليه، تتمثل مشكلة الدراسة في الانتشار المتزايد لهذه الفضائيات التي تستهدف المسلمين بخطاب إعلامي وديني موجّه في كثير من الأحيان.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في شرح وبيان خطورة العمل التنصيري عبر الفضائيات، في ظل التحول الرقمي الذي يشهده العالم عمومًا، والمسلمون على وجه الخصوص.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- ١/ التعرف على الأهداف التي تسعى فضائية (الحياة) إلى تحقيقها.
- ٢/ عرض أهم الموضوعات التي تناولها برنامج (ليكن نور) في فضائية (الحياة) المسيحية.
- ٣/ معرفة الأساليب الإقناعية المتبعة في برنامج فضائية (الحياة).
- ٤/ بيان نوع اللغة التي يُقدّم بها البرنامج في فضائية (الحياة).
- ٥/ التعرف على أهم القوالب والأشكال البرمجية التي عُرضت في فضائية (الحياة).
- ٦/ معرفة الأساليب الإقناعية والأدلة والبراهين المستخدمة في تنفيذ البرنامج.

تساؤلات الدراسة:

- ١/ ما الأهداف التي تسعى الفضائية إلى تحقيقها؟
- ٢/ كيف عالج منفذو البرامج الموضوعات ذات العلاقة بالتنصير؟
- ٣/ ما الأساليب الإقناعية المتبعة في برنامج (ليكن نور)؟

٤/ ما نوع اللغة المستخدمة في تنفيذ البرامج؟

٥/ ما أهم القوالب والأشكال البرمجية التي تم عرضها؟

٦/ ما الأساليب الإقناعية، وما طبيعة الأدلة والبراهين المستخدمة في البرنامج؟

منهجية الدراسة:

استخدم الباحثون المنهج الوصفي التحليلي، إلى جانب أسلوب تحليل المضمون، للكشف عن مهددات هذه الفضائية للمجتمع المسلم.

أدوات جمع المعلومات:

١/ الملاحظة العلمية.

٢/ تحليل المضمون.

مجتمع الدراسة:

يتضمن مجتمع الدراسة الفضائيات العربية التنصيرية. وقد حدد الباحثون المادة التحليلية في المضمون الخاص بالمحتوى التنصيري الذي تعرضه هذه القنوات، وذلك من خلال تتبع الجهود التنصيرية عبر الفضائيات العربية وتحليل جوانبها السلبية على المتلقين. وقد وقع اختيار الباحث على قناة (الحياة) باعتبارها واحدة من القنوات التنصيرية المنتشرة في الواقع العربي والإسلامي، وسيتم تحليل مضمون عدد من البرامج التي تقدمها هذه القناة.

عينة الدراسة:

تم اختيار عينة عشوائية لعدد من الحلقات من برنامج (ليكن نور) الذي تبثه قناة الحياة التنصيرية.

المبحث الأول: مفهوم التنصير وأهدافه

The concept of Christianization and its objectives

المطلب الأول: التنصير لغة واصطلاحاً

التنصير لغة: هو الدعوة إلى اعتناق النصرانية، أو إدخال غير النصارى في النصرانية (ابن منظور، ١٣٧٣هـ، مادة نصر)، ولقول رسول الله ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (إسماعيل، ١٤١٢هـ، ٦٥٤). ويطلق لفظة النصرانية على النصارى، لذلك أطلق على دينهم النصرانية، ويقال نصراني، وتنصّر أي دخل في دينهم، ونصره أي جعله نصرانياً (الفيروزآبادي ١٣٧٣هـ، مادة نصر).

التنصير اصطلاحاً: هو الجهد الكُنْسي الهادف إلى إدخال الشعوب في النصرانية، أو دعوة أبناء الديانات الأخرى إلى اعتناق النصرانية (حسين، ١٩٩٥م، ٣٠). وتقوم تلك الدعوة على أساس نبذ الأديان سواء أكانت سماوية أم غير سماوية، واصمة نصب عينيها هدفاً محدداً: هو "تنصير المجتمعات المسلمة، ونشر المسيحية في كل بقاع الأرض، والاستمرار في ذلك النشاط حتى نهاية الخليقة (خالد نعيم، ١٩٩٨م، ٢٢). إذن فالتنصير Evangelism هو نشاط ديني يهدف إلى تنصير غير المسيحيين بغرض الدخول في النصرانية، ومنع النصارى من الدخول في الإسلام (ساسي سالم، ١٩٩١م، ٥٥).

المطلب الثاني: أهداف التنصير Goals of Christianization

سعى الغرب في وضع الخطط الاستراتيجية بعناية فائقة في كافة مناطق نفوذه للحيلولة دون دخول النصارى المنتشرين في أنحاء المستعمرات المختلفة في الإسلام، بل تشكيك المسلمين في عقيدتهم. وقد جاءت تلك الأفكار من خلال المؤتمرات التنصيرية والتبشيرية التي تعقد كلما شعروا بخطورة المد الإسلامي في الغرب الأوروبي. وعلى ذات النسق جاءت الأهداف على النحو التالي:

١/ القضاء على الإسلام في نفوس المسلمين وواقعهم، ويقول المستشرق شالتيه: "إن أردتم أن تغزو الإسلام وتكسروا شوكته، وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة، فعليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم والأمة الإسلامية بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم المعنوي وكتابهم القرآن" (شالتيه، ١٣٨٥هـ، ١٦٥). فالغرض الأساسي من الهدف الديني Religious Objective تشكيك المسلمين في دينهم، وفي الرسالة الإسلامية، وفي بعثة رسول الله ﷺ، وهدم العقيدة الإسلامية. يقول أحد كبار المنصرين واسمه زويمر: "مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، ولذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية" إلى أن قال: "إنكم أعددتكم نشأ لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي فقد جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار؛ لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل". (التميمي، د.ت، ٢٢).

٢/ تدمير المرأة من حيث المناادة بما يسمى بحقوق المرأة، والتركيز على إخراج المرأة المسلمة من بيتها لأمرين أحدهما: أنه يترتب من وراء ذلك انهدام المجتمع وفساد الأخلاق. والثاني: لأنها إن خرجت واستجابت لهم كانت واسطة سريعة لنقل ما يريدون إلى الأسرة، فإن المرأة

سرعان ما تتأثر بها تقرأ وبما تسمع. ومن أجل ذلك اهتم المنصرون بالمرأة اهتماماً شديداً فقلما عقد مؤتمر تنصيري دون أن يكون موضوع تنصير المرأة المسلمة هو أحد الموضوعات الرئيسة لهذا المؤتمر. وكشاهد على ذلك فقد كان أحد الأبحاث المقدمة إلى مؤتمر التنصير المنعقد في ولاية كولورادو في أمريكا عام ١٩٧٨م، هو موضوع المداخل النصرانية للمرأة المسلمة وأسرتها. أما مؤتمر القاهرة التنصيري المنعقد عام ١٩٠٦م فقد وجهت المنصرات المشاركات فيه النداء التالي: "لا سبيل إلى نجاح مهمتنا إلا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح، لأن عدد النساء المسلمات عظيم جداً لا يقل عن مائة مليون نسمة، فكل نشاط مجد للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما بذل إلى الآن" (جميل، ٢٠٠٠م، ٢٣).

٣/ تقوية الأقليات غير المسلمة ولاسيما النصارى منهم، وحمايتهم من أي دين أو فكر غير الفكر النصراني ولاسيما دين الإسلام، فبلد مثل مصر نجد أن المسيحيين ما يقارب ٨٪ من عدد سكانها، ولكنهم يملكون ما يقارب ٥٠٪ من اقتصادها كما ذكرت بعض المواقع، وفي بعض القطاعات يملكون ٧٠٪ فمثلاً شركة موبنيل للاتصالات هي مسيحية والقائمون عليها مسيحيون، فهي أحد شركات نجيب ساويرس وهو من أكبر الممولين للعمل التنصيري في مصر، وهي تمول الكثير من الأنشطة التنصيرية باعتراف المنصرين أنفسهم.

٤/ تشكيك المسلم في دينه، وقد تكرر هذا الهدف في محاولات المنصر المعروف السموول (صاموئيل زويمر) الذي خاض تجربة التنصير في البلاد العربية بعامة، وركز على منطقة الخليج العربية بخاصة، وقد أرسل إلى لوشاتليه رسالة في ٧ / ٨ / ١٣٢٩ هـ - ٢ / ٨ / ١٩١١م، حيث قال فيها: "والأمر الذي لا مرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير الذي أخذ يدخل على عقائد الإسلام ومبادئه الخلقية في البلاد العثمانية والقطر المصري وجهات أخرى، هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه، ولا ينبغي لنا أن نعتمد على إحصائيات التعميد في معرفة عدد الذين تنصروا رسمياً من المسلمين، لأننا هنا واقفون على مجرى

الأمر ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الإسلامي من قلوبهم واعتنقوا النصرانية من طرف خفي" (شاتليه، ١٩٨٥م، ٦٥).

٥/ تشجيع تحديد النسل: أي تقليل عدد المسلمين من حيث تحديد النسل، ولذلك نجد أن ما يتعلق بتحديد النسل كحبوب منع الحمل، والواقيات الذكرية؛ ونحو ذلك هي من أرخص ما يكون في مستوصفات الأمومة، ومنظمة الصحة العالمية وغيرها من المراكز الصحية التي تنتشر في البلدان العربية والإسلامية.

٦/ الاستلاب الفكري: أي تسفير من يقدر على تسفيره إلى دول كندا وأمريكا وغيرها ولاسيما اللاجئين من الصومال اللاجئين، أو من الشباب المتعلق بما عليه الغرب، إذ يدخلون إلى الشخص من الباب الذي يميل إليه ويحبه، فيقومون بدور يشبه دور السفراء الذين يعملون على ترحيل من استطاعوا التأثير عليهم..

٧/ تغيير المناهج الدراسية في هذه الدول الفقيرة التي هم فيها، أو على الأقل حذف الآيات التي تتعلق بالجهاد في سبيل الله، أو بكفر أهل الكتاب، أو تأمر بعداء الكفار أو نحوها.

٨/ استرداد ما استطاعوا أن يردوه من أراضي المسلمين التي كانت تحت سيطرتهم، ثم تمت إحالتها للمسلمين خاصة الأراضي الفلسطينية وبلاد الشام... وغيرها.

٩/ استخدام التكنولوجيا الرقمية في القضاء على معالم القرآن الكريم واللغة العربية.

١٠/ تأييد دعاة الفساد الفكري والأخلاقي في بلاد المسلمين، وإخراج جيل ضعيف علمياً ودينياً من بين المسلمين، يقومون بالسيطرة على الإعلام وغيرها من وسائل التسلط على عقول المسلمين.

١١/ المطالبة بحرية الاعتقاد وحرية الرأي، ليقبى المسلمون متفرقين ومنشغلين فيما بينهم.

١٢/ الهدف السياسي Political Objective: نشر الأفكار والمذاهب الأوروبية، وقد قال شاتليه أحد منظري التنصير في الشرق الأوسط: "ومن هذا يتبين لنا أن إرساليات التبشير الدينية

Religious Missionaries التي لديها أموال جسيمة، وتدار أعمالها بتدبير وحكمة تأتي بالنفع الكثير في البلاد الإسلامية من حيث إنها تبث الأفكار الأوروبية" (حسين، ١٩٩٧م، ٣٠).

١٣/ سعي الغرب الأوروبي إلى دراسة قيم المجتمع المسلم ونظمه، بأنواعها السياسية والاجتماعية والأسرية من أصالتها الإسلامية ومقارنتها بالأنماط والنظم الغربية المستمدة من الخلفية الدينية من خلال تشجيع فكرة الاستلاب والتغريب، وخلق الهزيمة النفسية بين المسلمين، والسيطرة والهيمنة السياسية. هذا إلى جانب الاستعمار أو الاحتلال، وتعزيز الدافعية الذاتية للمنصرين. كذلك تشويه صورة الإسلام ورموزه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فكثيراً ما يلصقون بالإسلام تهماً كالهمجية والرجعية والإرهاب وغيرها.

١٤/ يقوم الهدف الثقافي والاجتماعي Social and Cultural Objective الهدف الثقافي والاجتماعي على عدة أنماط منها:

- أ. القضاء على وحدة الأمة الإسلامية.
- ب. التمهيد لإخضاع العالم الإسلامي سياسياً واقتصادياً وثقافياً لسيطرة النفوذ الغربي.
- ج. محاولة التجسس على العالم الإسلامي.
- د. تكريس ثقافة العنف.

١٥/ نشر العقيدة النصرانية، جاء في البند الأول من النص الخاص بالكنيسة: "إنَّ الكنيسة تنوي أن تظهر بصورة أكثر دقة لأتباعها وللعالم بأسره طبيعتها ورسالتها العالمية"، وشرح البند السابع عشر من نفس النص ذلك بقوله: "إنَّ الطبيعة والرسالة كيان واحد لا انفصال فيه، فالكنيسة ليس نتيجة ما أو مطلباً يُمكن إضافته من الخارج؛ لكنّه يمثّل كيانها في حد ذاته، إنها مُرسلة إلى العالم أجمع من قبل يسوع المسيح" (بكري، د: ت، ص ٤٤).

١٦/ الحيلولة دون دخول النَّصارى في الإسلام، وهو ما يُعبر عنه البعض بحماية النصارى من

الإسلام، وذلك عن طريق تشويه صورة الإسلام، وحجب دوره في بناء الحضارة الإنسانية؛ هذا بالإضافة إلى إقناعهم بعدم صلاحية الإسلام نظاماً للحياة.

المبحث الثاني: التنصير عبر الفضائيات

يُعدّ التلفزيون من أخطر الوسائل الإعلامية تأثيراً؛ وذلك لأنه يجمع بين الصورة والصوت والحركة، مما يجذب الانتباه ويشير الحواس أكثر من غيره من الوسائل الإعلامية. وقد كان ذلك دافعاً رئيسياً لحرص المؤسسات التنصيرية على إنشاء قنوات فضائية بلغات مختلفة، والاستفادة منها في إيصال رسائلها التنصيرية، وهو ما يفسر ظهور نحو خمسين قناة فضائية وأرضية تنصيرية جديدة (حمدان، ١٩٩٩ م، ٢٠٨).

وقد أعلن الفاتيكان عن مشروع يهدف إلى إنشاء أكبر محطة تلفزيونية تنصيرية لنقل تعاليم المسيح إلى شتى بقاع الأرض، ويعتمد المشروع على ثلاثة أقمار صناعية كبيرة للبث التلفزيوني المباشر، وقد أطلق عليه اسم مشروع لومين. وتعتمد الفضائيات العربية، من أجل تحقيق أهدافها التنصيرية، على طريقتين أساسيتين:

الطريقة الأولى: بث برامج دينية نصرانية داخل قنوات عامة سواء كانت إخبارية أو

اجتماعية، فمثلاً قناة LBC اللبنانية تهدف إلى جذب انتباه الشباب والفتيات عن طريق إثارة الشهوات. وتظهر قنوات (MBC) بين الفينة والأخرى بعض شعائر النصارى، فغالبا البرامج لا تكاد تخلو من رؤية الصليب، وكما نشاهد صلاتهم في بعض البرامج ففي فيلم (For Richer or Poorer) ترى العائلة المحافظة تؤدي الصلاة وهم على طاولة الطعام، وحتى الضيوف يؤدونها معهم (السيد صالح، ١٩٨٩ م، ١١٢).

أما الطريقة الثانية: فهي إيجاد قنوات فضائية مستقلة لغرض التنصير ونشر الدين النصراني

وبدأ تنافس المنصرين في إرساء قنوات تنصيرية منذ عام ١٩٩٩م حيث انطلق تلفزيون تيلي لوميار، وتلتها قناة سات ٧ حيث أسست رسمياً في نوفمبر من سنة ١٩٩٥م، وفي سنة ٢٠٠٣م انطلقت قناتا نورسات، وقناة الحياة، وفي عام ٢٠٠٥م انطلقت ثلاث قنوات تنصيرية هي: قناة المحبة، وقناة الكرامة، وقناة الشفاء. ونجد أن محتوى هذه القنوات ديني خالص، حتى علاجهم للظواهر الاجتماعية يأتي من منطلق ديني (السماعي، ١٩٩٧م، ٥١).

هكذا، تستفيد هذه الفضائيات التنصيرية العربية من المساحة التي يتيحها البث الفضائي؛ والذي يصعب التحكم فيه أو منعه من قبل الحكومات أو الأفراد بسبب وجود الاتفاقيات والمبادئ الدولية في إطار الأمم المتحدة اليونسكو واتحاد الإذاعات الإقليمية ونظم استخدام الاتصالات الفضائية؛ والتداول الحر للمعلومات والبرامج، حيث لم يعد البث الفضائي حكرًا على الدول إنما صار متاحاً لكل من يملك رأس المال الكفيل بإنشاء قناة فضائية.

عليه، تسعى القنوات العربية التنصيرية إلى استثمار الإمكانيات التي يوفرها التلفزيون بوصفه وسيلة اتصال متعددة العناصر من أجل تحقيق أهدافها التنصيرية، لذلك فإن المتابع لطبيعة البرامج التي تقدمها هذه القنوات سيجد تنوعاً كبيراً سواء من حيث شكل هذه البرامج أو مضامينها.

ومن خلال تلك المعطيات يمكن القول، بأن النصارى حتى اليوم يحاولون جاهدين زحزحة المسلمين عن دينهم وتشكيكهم في عقيدتهم، ونشر معتقدهم في أنحاء العالم، وقد أقاموا المؤتمرات ورصدوا الأموال ووضعوا الخطط وأجهزوا الكوادر البشرية ودربوها بشتى أساليب المراوغة، حتى يتسنى لهم مجادلة المسلمين ومناظرتهم، ونشر ديانتهم. ولم يترك النصارى في ذلك طريقاً إلا وقد سلكوه، ولا نهجاً إلا اتبعوه، ولا وسيلة إلا استخدموها، يستغلون في ذلك الظروف التي يمر بها المسلمون في بلدانهم وكأن لهم إرادة من حديد ومن آخر الأساليب التي استخدموها

حتى يدخل التنصير في كل بيت من بيوت المسلمين العرب هي القنوات الفضائية التي تعمل بواسطة الأقمار الصناعية. وتعدُّ نايل سات من أخطر القنوات التي تسعى إلى تهديد أطفال المسلمين؛ بل شبابهم وشيوخهم في ظل دعوات المؤاخاة والمواطنة التي يدعونها، ولا ينكر أحد قدرة تأثير الإعلام على سيكولوجية الإنسان، فالإعلام يشكل أحد أعمدة ثقافة كل فرد وهويته التي تؤثر على مستواه الفكري، وعلى علاقاته مع المجتمع المحيط به، خاصة في ظل البطالة التي يعيشها كثير من الشباب في العالم العربي والإسلامي، وكذلك الفراغ الموجود لدى فئة عريضة من الأطفال الذين يتوجهون إلى مشاهدة التلفاز والتنقل بين الفضائيات المختلفة (حمودة، د: ت، ٣١).

وفي خضم هذه الوسيلة المؤثرة، التي استغلها المنصرون استغلالاً ذكياً لنشر تعاليم المسيح، تتجلى خطورتها الكبيرة على المجتمع الإسلامي؛ إذ إن غالبية التعاليم الواردة في الكتاب المقدس اليوم تعرّضت للتحريف، ولا يوجد دليل يثبت أن المسيح عليه السلام قد ذكر هذه التعاليم في زمانه. ومن ناحية أخرى فالنصارى حينما يدعون إلى دينهم ويفسرون معتقداتهم ويشرحونها كما يحلو لهم فإنهم بذلك يضعون تلك المشاهد أمام الأطفال لأجل الشك والريبة، فهم يسعون للنيل من الإسلام ورسوله ﷺ عبر هذه الفضائيات، ففي الوقت التي تعجز فيه الحكومات عن التصدي للبرامج التنصيرية كانت الكنيسة تفرض موقفها على السلطات الحاكمة فتقف السلطات عاجزة أمام الدفاع عن رعاياها، بل كثيراً ما تقوم بتأمين النصارى ولعل أحداث مسرحية الإسكندرية في مصر، وأحداث جمهورية أفريقيا الوسطى خير دليل، وكذلك نشاهد بعض الفضائيات تعرض أناشيد عن المسيح عليه السلام طبقاً لمعتقد النصارى، والدليل الملموس على هذا أن قناة طيور الجنة الفضائية جذبت الكثير من المشاهدين المتدينين من مختلف الفئات العمرية رغم تحذير البعض منها لاحتواء أناشيدها على موسيقى تنسب إلى النصارى، ووجود بعض السلبات والمخالفات الشرعية (العسكر، ١٤١٤هـ، ٥٤).

وفي ظل هذه الحملة التنصيرية البشعة لا يملك المسلمون أية خطة مدروسة لمواجهة هذا الخطر الداهم. وبالرغم من كثرة الفضائيات الإسلامية، وكثرة العلماء الذين يظهرون على الفضائيات الإسلامية أو غيرها. وكثيراً ما تهتم الفضائيات بنشرات الأخبار التي تولي رأس السنة الميلادية اهتماماً كبيراً وتنقل صوراً حية من داخل الكنيسة وتبادل التهاني والتبريكات وعرض أفلام تتحدث صراحة عن النصرانية والكنيسة والصليب، وهذا يتنافى مع ما قاله عيسى عليه السلام حين سأله المولى عز وجل بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة: ١١٦). وباستخدام البريد الإلكتروني وشبكة الانترنت أصبح البث الفضائي المباشر هو أحد أدوات العمل التنصيري. ولتحقيق تلك الآمال زودت شركة مايكروسوفت عدداً من المؤسسات والهيئات والمنظمات التنصيرية العالمية ببرامج مجانية بقيمة خمسة ملايين دولار خلال عام ١٩٩٣م (الأشقر، ١٩٨٨م، ١٢٧). ومن الفئات المستهدفة في هذا المجال:

النساء: تُعدّ المجموعات السكنية إحدى بؤر الوجود النصراني للممارسة كل ما يخالف العقيدة الصحيحة، كشرب الخمر، وتعاطي المخدرات، وانتهاك الأعراض. إذ يدخلون إلى البيوت بدعوى نشر ثقافة التعايش والتآلف، غير أن هدفهم يتمثل في دس السموم في العقائد، وهو ما أكدته بعض النشرات والبرامج الإعلامية، مثل برنامج عالم عافية للسيدات الذي يُبث عبر عدد كبير من الفضائيات العالمية المختلفة. ومن خلال هذه البرامج، تمكن المنصرون من تكوين علاقات غير شرعية مع النساء، تبدأ باللقاءات، ثم الاهتمام بالمظاهر والتسريحات، وصولاً إلى تنظيم الرحلات الترفيهية إلى الخارج، حيث يتم الاستقبال بواسطة منصرات يسعين إلى التأثير في ذهنية المرأة المسلمة، من خلال نشر ثقافة تحديد النسل، والدعوة إلى حرية المرأة، وحققها في الميراث، وغيرها (محمد عمارة، ١٩٩٧م، ٣٥٣).

وللأسف، توجد العديد من المحال التي تُباع فيها الصليبان، وصور السيدة مريم وابنها عيسى عليه السلام، إلى جانب مستلزمات شجرة الميلاد التي تمثل أحد شعاراتهم، كما يوظفون رجالاً ونساءً يعلّقون الصليبان على صدورهم، إضافة إلى تقديم الوجبات السريعة والعديد من الهدايا المرتبطة بهذه المناسبة شكلاً ومضموناً.

وهكذا أولى المنصرون المرأة اهتماماً كبيراً؛ لأنها كثيراً ما تتعرض للفقر، والحاجة، والتمل أكثر من الرجل، فضلاً عن انتشار الأمية والتخلف بين بعض النساء. كما أن المرأة تُعدّ البيئة الأولى التي ينشأ فيها الأبناء، فإن كانت صالحة أنشأت ذرية صالحة، كالبلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه، وإن كانت غير ذلك فلا يخرج منها إلا الفساد، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِذَا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٨).

وبناءً على المخطط التنصيري تخطت المرأة المسلمة عتبة دارها وخرجت إلى الهواء حرة طليقة نزعت عنها حجابها، الأمر الذي مكن المنصرين أن يتغلغلوا في جوانح الأسرة المسلمة، ولا يخفي كيدهم وقوة تأثيرهم حتى ظهرت آثار ذلك التغير عند شباب المسلمين اليوم، ويقول أحد المنصرين: "بما أن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها ذكوراً وإناثاً حتى سن العاشرة من عمرهم بالغ الأهمية، وبما أن النساء هن العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة، فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية". (الطهطاوي، ١٩٩١م، ٢٠٣).

الشباب: أكد بعض الباحثين على أن الشباب المسلم اليوم يشكلون الفئة الأكثر استهدافاً من قبل المؤسسات الكنسية التنصيرية، على الرغم من غياب إحصائيات ومعلومات دقيقة تؤكد ذلك (النملة، ١٩٩٣م، ١٩٤).

نظراً لحساسية الموضوع، وغياب المعطيات الإحصائية الدقيقة حول أعداد الذين تم تنصيرهم، تُرك الباب مفتوحاً أمام مختلف الهيئات التنصيرية لإيراد إحصائيات تتسم بعدم الدقة والتباين. ومع ذلك، فإن هذه الإحصائيات تُعد في نهاية المطاف مؤشراً على وجود حقيقي وواقعي لهذه الظاهرة، وهو وجود تعززه الآليات والأساليب التنصيرية المختلفة، التي تدل على أن ظاهرة التنصير تشهد تزايداً مستمراً في كثير من البلدان العربية والأفريقية على حد سواء. ويفرض ذلك عدم الاستهانة بما يحدث في الوقت الحاضر، خاصة أن موجة التنصير التي يتعرض لها المسلم خلال السنوات الأخيرة تزداد شراسةً وحدّة، وتتجاوز في أساليبها ما كان معروفاً في الماضي القريب، من خلال الاعتماد على التقنيات الحديثة (السمايلي، ١٩٩٧م، ٣٠)

الأطفال: يعدُّ الأطفال من الشرائح المستهدفة في مجال العمل التنصيري، إذ أخذ المنصرون يدخلون عالم الطفل من خلال مسلسلاتهم التي تحتوي على القصص والروايات التي تحكي عن ألوهية عيسى وأمه مريم العذراء وأحوال الرسل، فإذا تأملنا فإننا نجد هنالك تأثيراً بالغاً في سلوك الأطفال وقيمهم ومثلهم عندما يشاهدون تلك الأفلام والروايات القصصية وغيرها.

ومن أهم الوسائل التي استخدمها المنصرون هي:

الدعوة إلى بناء الكنائس: إن غالبية الدول الإسلامية لم تحصل على استقلالها إلا بعد ظهور ما يعرف بالنصارى الوطنيين، والذين تعاهدوا ألا يعترفوا بالقوانين والتشريعات الدينية لتبقى علمانية الدولة هي السمة الغالبة عند الكثيرين، وأن وضع القوانين واللوائح يجب أن تفصل لخدمتهم، فاختاروا أفضل المواقع لإقامة الكنائس وأداء الطقوس، بل تطالب كل طائفة لتكون لها كنائس وفروعاً وشققاً لإقامة محافلها وطقوسها.

السياحة: عندما أدركت الدول الغربية أهمية السياحة في حياة الإنسان، بدأ جيل من المفكرين الذين

يعملون في الحقل التنصيري على الترويج في السفر والسياحة. وكان الغرض المخفي زيارة الكنائس والبابوات والبطارقة، وتعليم تاريخ الكنيسة ودورها في تعظيم الشعائر الدينية، ومطالبة بعض المسلمين بالمساهمة في بناء أرض للكنيسة أو ترميمها أو شرائها. وها هم اليوم استطاعوا تجميد أنشطة العمل الخيري في كثير من الأحيان. كما سعوا في إقامة التحالف والتعاون بين السفارات الخارجية، فلا تكاد تجد سفارة إلا وفيها ملحقية يشرف عليها قساوسة حتى إن أتباعهم سئموا من أعمالهم مما شجع بعض الوزراء الموفدين إلى اتباع سياسة تأسيس منظمات وهيئات نصرانية تعمل في مجال السياحة ليطفئوا نور الله بأفواههم ولكن الله عز وجل متم نوره ولو كره الكافرون لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٨).

المبحث الثالث: الدراسة الميدانية

إجراءات دراسة تحليل المضمون:

لكي يتمكن الباحثون من إجراء التحليل المنهجي والعلمي للمادة البراجمية موضع الدراسة، والوصول إلى نتائج علمية دقيقة حول دور الفضائيات العربية التنصيرية في التأثير على الهوية الدينية للمسلمين، دراسة تطبيقية تحليلية (دراسة حالة: قناة الحياة المسيحية - برنامج ليكن نور)، اعتمد الباحثون على تحليل مضمون عددا من حلقات البرنامج موضوع الدراسة، وذلك وفق ما يلي:

أولاً: التحليل الكيفي - التحليل الكمي

استخدم الباحثون التحليل الكيفي والكمي معاً لتحقيق التالي:

- ١ / التحليل الكيفي: لدراسة مضمون المادة البراجمية في التأثير على الهوية الدينية للمسلمين، بهدف الوصول إلى ملاحظات عامة عن خصائص مضمون المادة البراجمية.

٢/ التحليل الكمي: يهدف من خلاله الباحثون إلى زيادة كفاءة التحليل ودقته وشموله بالنسبة للمادة البراجمية التي يحللها الباحثون.

ثانياً: التحليل المباشر - التحليل غير المباشر

يهدف الباحثون من التحليل المباشر إلى تحليل نصوص المادة البراجمية التي تبثها القناة، والخاصة بالتأثير على الهوية الدينية للمسلمين. كما يهدف من التحليل غير المباشر إلى التعرف على الحقائق الشكلية التي استخدمت في تقديم مضمون المادة البراجمية، والتي تساعد في كشف الجوانب الخفية منه، وذلك من خلال دراسة أساليب العرض والإبراز والتأثير للمادة البراجمية.

ثالثاً: أهداف استخدام تحليل المضمون

استخدم الباحثون تحليل مضمون المادة البراجمية موضع البحث للتعرف على الآتي:

- ١/ التعرف على مضمون المادة البراجمية المتعلقة بالتأثير على الهوية الدينية للمسلمين، وما تضمنته من اتجاهات، وما تحمله من قيم وأهداف.
- ٢/ التعرف على الجوانب الشكلية لإخراج المادة البراجمية الخاصة بالتأثير على الهوية الدينية للمسلمين، من حيث موقع المادة البراجمية وأساليب الإبراز والتأثير المستخدمة.

رابعاً: التساؤلات

هدف الباحثون من تحليل مضمون المادة البراجمية موضع الدراسة، الإجابة على التساؤلات

الآتية:

- ١/ ما اتجاهات وأهداف مضمون المادة البراجمية التي تعرضها هذه الفضائيات التنصيرية؟

٢/ ما أهم القوالب والأشكال البراجمية التي تعرضها هذه الفضائيات التنصيرية؟

خامساً: اختيار العينة

لقد اعتمد الباحثون على برنامج ليكن نور بعد إجراء المسح الشامل للبرنامج موضع الدراسة، واختاروا الحلقات التي سوف يخضع مضمونها للتحليل عن طريق استخدام العينة المتعددة المراحل، ثم بعد ذلك استخدموا عينة الأعداد عن طريق اختيار أسلوب الدورة أو الأسبوع الصناعي في اختيار العينة، حيث أن هذا الأسلوب يعطي فرصاً متساوية لجميع أيام صدور الحلقات التي تمثل العينة، وهذا يساعد في تحقيق المقارنة المنهجية السليمة بين الفترات وبعضها.

العينة الزمنية: وهي الفترة التي بث فيها البرنامج بانتظام.

سادساً فئات التحليل: الفئات هي التصنيفات التي ترتبط بالمشكلة البحثية، ويستند عليها البحث، وتساهم في التعرف على مضمون المادة البراجمية وشكلها، وتتمثل الفئات في التالي:

١. فئات ماذا قيل؟

٢. فئات كيف قيل؟

سابعاً: تصميم استمارة التحليل

صمم الباحثون استمارة تحليل مضمون، وهي أداة منهجية تُجرى من خلالها عملية التحليل عبر دراسة المضمون وتحديد أهدافه وتسأولاته، ثم تسجيل البيانات الأولية في استمارة التحليل. وقد تم تفرغ البيانات الواردة في الاستمارة في جداول إحصائية، كما تم استخدام النسب المئوية

والتكرارات مقياساً إحصائياً للاستدلال على المؤشرات الرئيسة التي تُظهرها نتائج تحليل مضمون المادة البراجمية.

ثامناً: قياس الصدق والثبات

أ. الصدق: الصدق يعني الصحة، واختبار الصدق يقصد به اختبار صدق أداة جمع المعلومات والبيانات، ومدى قدرتها على أن تقيس ما تسعى الدراسة قياسه فعلاً، بحيث تتطابق المعلومات التي تم جمعها بواسطة الدراسة مع الحقائق الموضوعية.

ب. الثبات: الثبات هو القدرة على التكرار والإعادة مع تحقيق نتائج متسقة، وتحقيق الثبات هو أن يحصل الباحثون عند القياس، على ذات النتائج إذا ما تم استخدام ذات الأساليب على نفس المواد التي تتعلق بالفترة الزمنية للبرنامج.

جدول رقم (١) يوضح موضوع البرنامج

الموضوع	التكرار	النسبة المئوية
عقيدة	٥٥	٤٩,١٪
طعن في الإسلام	٤٠	٣٧,٧٪
اجتماعية	١٢	١٠,٧٪
سياسية	٥	٤,٥٪
أخرى	٠	٠٪
المجموع	١١٢	١٠٠٪

يُبين الجدول الخاص بموضوع البرنامج أن برنامج (ليكن نور) ركّز بشكل كبير على موضوعات العقيدة، حيث اتضح ذلك من خلال تحليل بعض حلقات البرنامج، إذ بلغت نسبة

موضوعات العقيدة (١, ٤٩٪). ويتضح ذلك من موضوعات الحلقات؛ حيث يلاحظ في حلقات التحليل أن مقدم البرنامج ركّز مع الضيف على ذكر صفات الرب، وأن (يسوع) هو المنقذ للبشرية من الهلاك والضلال، ويشير الباحثون إلى أن الهدف من ذلك هو التنصير ودعوة المسلمين إلى الدخول في الدين المسيحي. وبلغت موضوعات الطعن في الدين الإسلامي المرتبة الثانية بنسبة (٧, ٣٧٪). وقد اتضح من خلال الاستماع إلى حلقات البرنامج موضع الدراسة أن الهجوم على الإسلام كان عنيفاً من قبل المذيع والضيف معاً، حيث أشار الضيف إلى أن الدين الإسلامي لم يُنصف المرأة، كما ناقش مسائل متعلقة بالعبادات والمعاملات الإسلامية واصفاً إياها بأنها مرهقة للغاية، وقد وردت بعض العبارات مثل: (أن صوت المرأة عورة وضحكتها)، وكذلك (إذا سلّمت على رجل ينقض الوضوء). وجاءت الموضوعات الاجتماعية بنسبة (٧, ١٠٪)، حيث تناولت الحلقات موضوع تحكم الرجل في المرأة في الإسلام، إذ ذُكر أن المرأة تقوم بأعمال المنزل كافة مثل الكنس والمسح والرضاعة وغيرها، وقد أوضحت ضيفة البرنامج أن ذلك كان السبب الرئيسي في خروجها من الإسلام إلى المسيحية. أما الموضوعات السياسية فقد بلغت نسبتها (٥, ٤٪)، مقابل نسبة (٠٪) للموضوعات الأخرى.

جدول رقم (٢) يوضح القالب الفني للبرنامج الدراسة.

القالب الفني	التكرار	النسبة المئوية
حوار	٥٠	٤٤, ٦٪
تقرير	٧	٦, ٣٪
تفاعلي	٢٥	٢٢, ٣٪
مونولوج	٣٠	٢٦, ٨٪
المجموع	١٢	١٠٠٪

من الجدول أعلاه جاء قالب الحوار في المرتبة الأولى بنسبة (٦, ٤٤٪). وتعدُّ البرامج الحوارية أكثر الأنماط ظهوراً في غالبية الفضائيات التي تدعو إلى التنصير، حيث نجد ضمن هذا النمط في برنامج (ليكن نور) والذي ناقش مسائل مختلفة تتعلق بالإيمان المسيحي، ومن أنواع برامج الحوار التي توظفها هذه القنوات نجد الحوارات الشخصية وحوارات تتعلق بالحصول على المعلومة. وقد بلغت برامج مونولوج نسبة (٨, ٢٦٪). أيضاً كثيراً ما استخدم مقدم البرنامج هذا القلب لأنه يعدُّ أداة قوية لافتتاح البرامج الحوارية أو الاجتماعية أو التحليلية أو غيرها. ويؤكد الباحثون أن ذلك يهدف إلى خلق تفاعل مباشر مع الجمهور وتقديم نظرة ساخرة وبسهولة للدين للإسلام والمسلمين. أما قالب البرامج التفاعلية جاء في المرتبة الثالثة بنسبة (٣, ٢٢٪). وقد تم التركيز على هذه القلب بشكل كبير في حلقات البرنامج مقارنة مع بقية القوالب. وخاصة أن الحلقات تتحدث عن تشجيع الممارسات الخاطئة للمرأة خاصة في الجوانب القيمية والسلوكية. حيث أشار مقدم البرنامج لموقف المسيحية بشكل عام اتجاه هذه الأفعال، حيث كان مدير الحوار يردد بشكل مستمر عبارة يجب اضطهاد الدين الإسلامي عبر المرأة. وجاء قالب التقرير في المرتبة الأخيرة بنسبة (٣, ٦٪)، وأشار الباحثون إلى أن هنالك تقارباً كبيراً ما بين قوالب الإنتاج: الحوار والتفاعلي، والمونولوج.

جدول رقم (٣) يوضح الهدف من البرنامج.

الهدف	التكرار	النسبة المئوية
تنصيري	٦٠	٥٣,٥٪
إعلامي	٢٠	١٧,٨٪
شرح وتفسير "دعوة"	٣٢	٢٨,٧٪
أخرى	٠	٠٪
المجموع	١١٢	١٠٠٪

يمثل الجدول أعلاه نتائج الدراسة المتعلقة بفئة الأهداف P والتي تبين الهدف الرئيسي للبرنامج وهو تنصير غير المؤمنين والذي تبين بنسبة (٥, ٥٣٪)، وكان الهدف من البرنامج هو تنصير لغير المؤمنين المسلمين بشكل خاص وذلك من خلال مناقشة الفكر الإسلامي أو توجيه الخطاب للمسلمين بشكل مباشر مثل ما ورد في قول لا يعدُّ القسيس هو الرب المنجي " بل هو خادم مكرس لخدمة الله والكنيسة. والمسيح هو الحياة وما في دون ذلك هو هرطقة. فالخلاص تكمن في الإيمان بالمسيح فقط. وهذا ما يؤكد استراتيجية التعريف بالتنصير عبر الفضائيات، والذي هو بمثابة حملات منظمة فعالة تقوم بها المنظمات الكنسية المختلفة على اختلاف عقائدها وأفكارها لتنصير المسلمين، وبحسب اعتراف الحكيم الإنجليزي صموئيل جونسون فإن الإسلام " هو الديانة الوحيدة التي تعد على الدوام تحدياً أو مناجزة لجهود التبشير والمبشرين ". ويأتي هدف الشرح والتفسير الهدف الدعوي في المرتبة الثانية بنسبة (٧, ٢٨٪). وتبين هذا الهدف بشكل واضح في حلقات الأخت نادية التي كانت على خلفية مسلمة، وذلك من خلال شرح بعض العقائد المتعلقة بالصلب والفداء. وأن يسوع المسيح هو المنقذ، وأن الدين المسيحي هو الخلاص ... وغيرها. وجاء الهدف الإعلامي في المرتبة الثالثة (٨, ١٧٪) ويتضح من خلال ذلك أن أهداف برنامج ليكن نور تنصيرية.

جدول رقم (٤) يوضح اتجاه البرنامج.

اتجاه البرنامج	التكرار	النسبة المئوية
تمثيل الإسلام	١٢	١٠,٧٪
تمثيل المسيحية	١٠٠	٨٩,٣٪
محايد	٠	٠٪
المجموع	١١٢	١٠٠٪

يتضح من خلال الجدول أعلاه الذي يوضح اتجاه برنامج ليكن نور أن اتجاه البرنامج كان تمثيل للمسيحية والتنصير بها وجاءت نسبة تمثيل الدين المسيحي (٣, ٨٩٪). ويعدُّ البرنامج من البرامج اللاهوتية، حيث يركز بشكل كبير على مسائل العقيدة، وخاصة مسائل الألوهية.

ويحاول بشكل مستمر إثبات وتأكيد عقيدة الثالوث، ويعمل البرنامج على تحقيق أهداف وهي الدعوة إلى الدين المسيحي، وتأكيد أن المسيح عليه السلام هو المنجى والمخلص الحقيقي لهذا الكون.

أما تمثيل الإسلام جاء بنسبة (٧, ١٠٪) ويسعى البرنامج إلى أن الدين الإسلام دين ظلم وعنف وخوف وقهر وليست دين محبة وتسامح وإخاء ويشير الباحثون إلى أن الدين الإسلامي دين محبة ومودة وإخاء، وأنه يجمع؛ ولا يفرق، ويؤسس لمجتمع مترابط كالبنيان المرصوص. ويقوم على التراحم والتعاطف ونبذ الكراهية، حيث جعل النبي ﷺ كالجسد الواحد، يرسخ قيم التسامح والعفو ويؤكد الأخوة الإنسانية والايانية لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠).

ويلاحظ من خلال أطراف الحوار في برنامج (ليكن نور) أن مقدم البرنامج عمل على الربط بين إله المسلمين وكل ما يتعلق بالخوف والظلم والعنف.

جدول رقم (٥) يوضح أسلوب البرنامج

أسلوب البرنامج	التكرار	النسبة المئوية
عاطفية	٧٠	٢٥, ٩٪
منطقية	٥٠	١٨, ٥٪
إقناعية	١٥٠	٥٥, ٦٪
المجموع	٢٧٠	١٠٠٪

يتضح من خلال البرنامج إلى أن الأساليب الإقناعية المستخدمة جاءت بنسبة (٦, ٥٥٪) من طرف عناصر الحوار في برنامج (ليكن نور) خلال فترة الدراسة.

ويتضح من نتائج الجدول أعلاه أن ضيوف الحوار كانوا الأكثر استخداماً للأساليب الإقناعية؛ لأنهم كانوا يقومون بعملية الشرح والتفسير والتحليل وتبين الوقائع والأحداث وربطها بحياتهم في الدين الإسلامي، حيث استخدم ضيوف البرنامج الأساليب الإقناعية بطرق مختلفة مثل التمثيل بالدين الإسلامي بأنه دين ظلم وقهر، وأن المسيحية دين محبة وتسامح، واعتبار الكتاب المقدس هو الأوحـد.

أما الأساليب العاطفية جاءت بنسبة (٩, ٢٥٪)، وهي تمثل المرتبة الثانية ويتبين من خلال ذلك أن مقدم البرنامج استخدم أساليب عاطفية للتأثير على الجمهور المستهدف من خلال استخدام عبارات الثواب والعقاب ومعلومات واقعية وقصص وتحذّ... وغيرها من الأساليب. وجاء استخدام الأساليب المنطقية في المرتبة الثالثة بنسبة (٥, ١٨٪).

جدول رقم (٦) يوضح الأدلة والبراهين المستخدمة

الأدلة والبراهين المستخدمة	التكرار	النسبة المئوية
نصوص من القرآن	٥٠	٢٦,٣٪
نصوص من الكتاب المقدس	١٢٠	٦٣,١٪
مراجع تاريخية	٨	٤,٤٪
أقوال العلماء والمفكرين	٧	٣,٦٪
مغالطات منطقية	٥	٢,٦٪
المجموع	١٩٠	١٠٠٪

يتضح من الجدول أعلاه الذي يوضح الأدلة والبراهين المستخدمة في حلقات التحليل من برنامج (ليكن نور)؛ أن الكتاب المقدس قد احتل صدارة المصادر المعتمدة وفق قانون الإيمان المسيحي. وذلك لأن البرنامج يهدف إلى التعريف بالدين المسيحي حيث جاءت نسبة الاعتماد على نصوص من الكتاب المقدس (١, ٦٣٪).

أما الاعتماد على مصادر من القرآن الكريم جاءت بالمرتبة الثانية بنسبة بلغت (٣, ٢٦٪)، هو ما يشير بشكل واضح إلى توجه البرنامج الذي ينطلق في عرض قضاياها من انتقاد بعض الأفكار والعقائد الإسلامية من خلال عرض آيات منتقاة. وبعيداً عن السياق الذي وردت فيه مثل آيات الحجاب والظهار، ومقابلتها بصورة مشرقة عن الدين المسيحي بعرض آيات المحبة والمغفرة التي وردت في الكتاب المقدس.

أما مراجع تاريخية فقد جاءت في المرتبة الثالثة بنسبة (٤, ٤٪) وقد تم الاعتماد بشكل مكثف في الحلقات الآتية: اختبار الأخت نادية، لماذا المسيح، رموز صليب المسيح وتم استثمارها للدلالة على أن الدين الإسلامي ليست دين تسامح وذلك من خلال ذكر بعض أحداث التاريخ الإسلامي، وضمن هذا السياق تم ذكر عدد من الأحداث الواقعية للدلالة على الفكرة نفسها من خلال ذكر بعض الأمثلة مثل حلقة الأخت نادية. أما أقوال العلماء والمفكرين جاءت بنسبة (٦, ٣٪)، مقابل نسبة (٦٥, ٢٪) لفئة مغالطات منطقية.

ويلاحظ من خلال الجدول أنه يوضح الأدلة والبراهين المستخدمة في برنامج (ليكن نور) باستخدام نصوص من الكتاب المقدس؛ ونصوص من القرآن الكريم بنسبة كبيرة.

جدول رقم (٧) يوضح اللغة المستخدمة في البرنامج.

اللغة المستخدمة	التكرار	النسبة المئوية
فصحي	١٠	٨, ٩٪
عامية	٨٢	٧٣, ٣٪
بسيطة	٢٠	١٧, ٨٪
المجموع	١١٢	١٠٠٪

يتضح من خلال الجدول أعلاه نسب اللغة المستخدمة في البرنامج حيث كانت اللغة العامية أكثر استخداماً بنسبة بلغت (٧٣, ٣٪)، ويشير الباحثون إلى أن المقدم استخدم اللغة العامية التي تعدُّ لغة رئيسية في الدول العربية.

ومقابل نسبة (١٧, ٣٪) للغة البسيطة، مقابل نسبة (٨, ٩٪) للغة الفصحى. ويلاحظ من خلال ذلك، أن اللغة التي تم استخدامها في برنامج ليكن نور كانت لغة عامية، وذلك لأن الإعلام العربي يستخدم بشكل أساسي ورئيسي اللهجات واللغات المحلية.

الخاتمة:

أولاً: نتائج الدراسة

١/ أظهرت نتائج الدراسة أن أهم الأهداف التي يسعى برنامج (ليكن نور) لتحقيقها تمثلت أساساً في الهدف التنصيري، حيث جاء في المرتبة الأولى بنسبة (٥٣, ٥٪)، يليه هدف الشرح والتفسير ذي الطابع الدعوي بنسبة (٢٨, ٧٪)، ثم الهدف الإعلامي بنسبة (١٧, ٨٪)، مما يدل على أن التوجه الغالب للبرنامج هو الدعوة إلى اعتناق المسيحية مع توظيف الشرح والتفسير بوصفها وسيلة داعمة لذلك.

٢/ كشفت البيانات الميدانية أن البرنامج ركز بدرجة كبيرة على موضوعات العقيدة بنسبة (١, ٤٩٪)، تلتها موضوعات الطعن في الإسلام بنسبة (٧, ٣٧٪)، ثم الموضوعات الاجتماعية بنسبة (٧, ١٠٪)، وأخيرًا الموضوعات السياسية بنسبة (٥, ٤٪)، وهو ما يشير إلى أن المعالجة الموضوعية للبرنامج تتمحور حول القضايا العقدية مع حضور واضح لخطاب نقدي تجاه الإسلام.

٣/ أظهرت نتائج الدراسة أن الأساليب الإقناعية كانت الأكثر استخدامًا في البرنامج بنسبة (٦, ٥٥٪)، تلتها الأساليب العاطفية بنسبة (٩, ٢٥٪)، ثم الأساليب المنطقية بنسبة (٥, ١٨٪)، مما يعكس اعتماد البرنامج بدرجة أساسية على تقنيات الإقناع المباشر المدعومة بعناصر عاطفية ومنطقية بدرجات متفاوتة.

٤/ أوضحت النتائج أن اللغة العامية كانت هي السائدة في تقديم البرنامج بنسبة (٣, ٧٣٪)، تلتها اللغة البسيطة بنسبة (٨, ١٧٪)، ثم اللغة الفصحى بنسبة (٩, ٨٪)، مما يدل على توجه البرنامج نحو استخدام لغة قريبة من الجمهور المستهدف لتعزيز الفهم والتأثير.

٥/ كشفت نتائج الدراسة أن قالب الحوار جاء في المرتبة الأولى بنسبة (٦, ٤٤٪)، تلاه قالب المونولوج بنسبة (٨, ٢٦٪)، ثم قالب التفاعلي بنسبة (٣, ٢٢٪)، وأخيرًا قالب التقرير بنسبة (٣, ٦٪) وهو ما يشير إلى اعتماد البرنامج بشكل أساسي على الحوار باعتبار أنه إطار رئيسي لعرض محتواه.

٦/ أظهرت نتائج الدراسة أن اتجاه البرنامج كان نحو تمثيل المسيحية بنسبة (٣, ٨٩٪) مقابل (٧, ١٠٪) لتمثيل الإسلام، في حين لم يظهر أي اتجاه محدد، مما يدل على أن البرنامج يتبنى توجهًا واضحًا في عرض المسيحية والترويج لها.

٧/ كشفت البيانات الميدانية أن البرنامج اعتمد بدرجة كبيرة على نصوص من الكتاب المقدس بنسبة (١, ٦٣٪)، تلتها نصوص من القرآن الكريم بنسبة (٣, ٢٦٪)، ثم المراجع التاريخية

بنسبة (٤, ٤٪)، وأقوال العلماء والمفكرين بنسبة (٦, ٣٪)، وأخيراً المغالطات المنطقية بنسبة (٦, ٢٪)، مما يعكس اعتماد البرنامج على النصوص الدينية بشكل رئيسي في بناء حججه.

ثانياً: التوصيات

- ١/ ضرورة تفعيل دور المؤسسات الإسلامية الرسمية في إعداد برامج نوعية تفند الشبهات، وتوضح حقائق العقيدة بأسلوب علمي معاصر.
- ٢/ تكثيف المحتوى الرقمي والفضائي الذي يركز على فقه التحصين العقدي لدى الشباب المسلم، لتمكينهم من التعامل مع الخطاب النقدي الموجه.
- ٣/ نوصي القائمين على الإعلام الإسلامي والتربوي بتبني استراتيجيات إقناعية متطورة تجمع بين الحجة المنطقية والتأثير العاطفي المتزن للوصول إلى الجمهور بفاعلية.
- ٤/ ضرورة استخدام لغة وسيطة (فصحى بسيطة) في البرامج الدعوية والتربوية، لضمان سلاسة الفهم لدى مختلف الفئات الاجتماعية، وتجاوز حاجز اللغة الأكاديمية الجافة.
- ٥/ توصي الدراسة بتبني قالب الحوار في المعالجات الإعلامية الإسلامية كونه الإطار الأكثر جذباً وتأثيراً (٦, ٤٤٪)، مع ضرورة تفعيل الأدوات التفاعلية لفتح مساحات للنقاش الواعي مع الجمهور المستهدف.
- ٦/ إبراز صورة الإسلام بمهنية إعلامية: في ظل غياب الحياد التام في البرنامج، وتوجهه الكلي لتمثيل المسيحية بنسبة (٣, ٨٩٪)، نوصي بضرورة إنتاج محتوى إعلامي احترافي يقدم الصورة الحقيقية للإسلام وقيمه الإنسانية، لمواجهة أحادية الطرح التي تنتهجها الفضائيات التنصيرية.
- ٧/ ضرورة إعداد كوادرات بحثية متخصصة في مقارنة الأديان قادرة على التعامل مع هذه

النصوص وشرح سياقاتها الصحيحة بما يمنع الاجتزاء أو التضييل.

- ٨/ إنشاء مرصد إعلامي بحثي متخصص لتابعة المحتوى الموجه عبر الفضائيات العابرة للحدود ورصده ، لتحليل استراتيجياتها التأثيرية بشكل دوري، وتقديم تقارير استباقية لصناع القرار في الدولة والمجتمع والأسرة.
- ٩/ ضرورة إدراج مادة التربية الإعلامية في المناهج التعليمية، لتدريب الأجيال الناشئة على مهارات التفكير النقدي، وتفكيك الرسائل الإعلامية الموجهة، وحماية الهوية الثقافية والدينية من التأثيرات الخارجية.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

- إسماعيل، بن محمد، صحيح البخاري، دار الجليل، بيروت، ط ٣، ١٤١٢ هـ.
- الأشقر، عمر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، مكتبة الأندلس، الإسكندرية، ط ٢، ١٩٨٨ م.
- بكرلي، عبد الرازق ديار، تنصير المسلمين، دمشق، ط ١، (د: ت).
- التميمي، عبد المالك خلف، التبشير في الخليج العربي، دار الأندلس، القاهرة، ط ١، (د: ت).
- جميل مديك، موسوعة الأديان في العالم، دار الشروق، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٠ م.
- الحاج، سامي سالم، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ١٩٩١ م.
- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الحلبي للنشر، القاهرة، ط ٢، ١٣١٢ هـ.
- حسين، ممدوح، مدخل إلى تاريخ حركة التنصير، دار عمان، عمان، ط ١، ١٩٩٥ م.
- حمدان، نذير، في الغزو الفكري، مكتبة الصديق، الطائف، ط ١، ١٩٩٩ م.
- حمودة، معالي عبد الحميد، التنصير في الخليج، دار الاعتصام، الرياض، ط ١، (د: ت).
- خالد، نعيم، الجذور التاريخية لإرساليات التنصير، مكتبة المختار الإسلامي، القاهرة، ط ١، ١٩٨٨ م.
- السماعيل، محمد أمين، جوانب من الغزو الفكري المعاصر، ط ١، ١٩٩٧ م.

- السيد صالح، سعد الدين، الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، مكتبة الأمل، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٩ م.
- شالتيه، الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، المطبعة السلفية القاهرة، ط ٢، ١٣٨٥ هـ.
- الطهطاوي، محمد عزت، التبشير والاستعمار، المطابع الأميرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٩١ م.
- عبد الوهاب، أحمد، حقيقة التبشير، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٩٨١ م.
- العسكر، عبد العزيز بن إبراهيم، التنصير ومحاولاته في الخليج العربي، مكتبة العبيكان، المدينة المنورة، ط ٤، ١١٤١ هـ).
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار العلم، بيروت، ط ٣، ١٣٧٣ هـ.
- محمد عمارة، معركة المصطلحات، دار الشروق، دمشق، ط ١، ١٩٩٧ م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٣٧٣ هـ.
- النملة، علي إبراهيم، التنصير: مفهومه، أهدافه، ووسائله، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٣ م.

فلسفة الأضداد وفق رؤية العالم والإنسان من خلال رسائل النور

استعادة قراءة النص النورسي فلسفياً

د. عصمت محمود أحمد سليمان

جامعة الخرطوم – كلية الآداب – قسم الفلسفة

المستخلص

تروم هذه الدراسة الكشف عن ثراء الإرث الفلسفي في رسائل النور من خلال بيان تفرد فلسفة الأضداد التي قدمها الإمام النورسي ضمن رؤيته الكلية للعالم ومنزلة الإنسان الوجودية فيه، ومقصد الدراسة استعادة قراءة النص النورسي وتأملاته لأبعاد فلسفة الثنائية الضدية المنبسطة في أرجاء العالم من ضروب المادة وأوجه القيم والمعاني، بما يعزز حضور النورسي في حقل الفلسفي بحسبانه أحد الفلاسفة المحدثين. تعتمد الدراسة منهجاً تحليلياً نقدياً مقارنةً، تتوسل أدواته فتبسط المفاهيم العامة والتصورات الكلية من خلال تحليل النصوص، ومن ثم تعتمد إلى محاولة الربط والتعليل والنقد والاستنتاج لسائر الجزئيات، وإعادة تركيب كل ذلك للخلوص إلى الرؤية الكلية جامعة؛ وفي سبيل الإبانة عن تفرد المنحى الفلسفي وثرائه في رسائل النور فإن الدراسة تنطوي على منحنى المقارنة لإرث النورسي بمدارس واتجاهات فلسفية سابقة تشمل الشرق القديم والفلسفة الإغريقية. خلصت الدراسة إلى تقارب الأسس التي توطدت عليها فلسفة الأضداد عند كل من زرادشت والنورسي من حيث إحقاقها للحقائق الإيمانية، مع مباينة كلية لفلسفة الأضداد عند الإغريق في أساسها المادي، بينما تفردت فلسفة الأضداد عند النورسي بما طرحته من مفهومات تميزت على قدر عالٍ من الوضوح والترابط والجدّة على السواء، وبذلك نستطيع الخلوص إلى الثراء والتفرد الفلسفي للنص النورسي.

الكلمات المفتاحية: فلسفة الأضداد، رسائل النور، النورسي

Abstract

This study explores the philosophical richness of the Risale i Nur by examining Imam Nursi's distinctive philosophy of opposites within his holistic vision of the cosmos and the existential role of humankind. It seeks to recover a nuanced reading of Nursi's reflections on duality as manifested across material phenomena, values, and meanings, thereby affirming his place among modern philosophers. Adopting a critical and comparative methodology, the study analyzes Nursi's texts to unfold general concepts and overarching perspectives, then connects, critiques, and synthesizes particular details into a unified vision. To highlight the originality of Nursi's thought, his philosophy is situated in dialogue with earlier traditions, including Ancient Eastern wisdom and Greek philosophy. The findings reveal a convergence between Nursi and Zoroaster in grounding the philosophy of opposites in faith based truths, while marking a sharp divergence from the Greek legacy, whose dualistic thought was deeply rooted in materialism. Nursi's contribution is distinguished by its articulation of faith centered concepts characterized by clarity, coherence, and originality. The study concludes that the Risale i Nur embodies a unique and philosophically rich contribution, positioning Nursi as a modern thinker whose philosophy of opposites offers fresh insights into the interplay of matter, values, and meaning.

Keywords: Philosophy of opposites, Risale i Nur, Nursi

المفتتح:

لم يكفُ الإنسان يوماً عن التأمل في طبيعة الوجود وفي ذاته، إذ ظل المسعى الإنساني دؤوباً لاستكشاف حقيقة العالم وإدراك ماهيته الإنسانية، وتلمس العلائق بينه والعالم، وعلى الدوام ظلت دراسة الكون والكشف عن عوالمه من أهم ما يتوسل به الإنسان لفهم ذاته وطبيعة علاقته بالوجود ومنزلته فيه، وهو ما ظل يقود ضرورة إلى الانتهاء لطائفة من الإجابات التي تنزل مقاماً يطمئن فيه الفرد ومجتمعه إلى إجاباته، وعبرها تتشكل ما ينظر إليه باعتباره (رؤية كلية) تمثل التصورات الكلية لحقيقة العالم ومنزلة الإنسان فيه.

وبالنظر إلى تمرکز جوهر تلك الرؤية في اشتغالها على خلاصة الإجابات المرتضاة حيال أسئلة الوجود الكبرى، فإنه يتأسس وفق تلك الرؤية الكلية منطق وتفاعل الإنسان وموجهاته على كافة الأصعدة وطبيعة حضوره ومسعاها في سائر الحقول مع العالم والحياة.

لقد نالت مسألة رؤية العالم واستكشاف حقيقة الإنسان حضوراً جذرياً وعريضاً ضمن انشغالات الإمام النورسي الفكرية، إذ حرصت رسائله الموسومة بـ(رسائل النور) أن تكشف المعنى الحقيقي لتلمس الكون وتلمس مغزاه وفق الحقائق الإيمانية، وأن تُجيب عن أسئلة الوجود الكبرى، فجاءت الرؤية الكلية للكون والإنسان من خلال رسائل النور ناطقة وشاهدة على تفرد فكر الإمام النورسي في تصورات الفلسفية التي شملت نسيجاً بديعاً من المفهومات والتصورات الإدراكية الكلية التي تكاملت لتشكيل رؤية جلية ومتماسكة للوجود، وكاشفة عن حقيقة ماهية الإنسان ومنزلته في العالم.

عند تفحص الرؤية الكلية للإمام النورسي للعالم ومنزلة الإنسان الوجودية من خلال التدبر والتفكر متفرداً بتقديم رؤية فلسفية متميزة ومتكاملة، مؤسسة وفق طائفة من المفهومات

والتصورات الإدراكية المضمنة في ثنايا رسائل النور نحو مفهومات تجلي الأسماء الإلهية وتساندها، ومفهوما التحبب الإلهي والإرادة الإلهية، ومفهوم الأضداد وغيرها من المفهومات التي تذخر بها رسائل النور.

وفق هذا السياق فإن مفهوم الأضداد يتبدى بحسبانه واحداً من المفهومات الرئيسة التي تُشكل كمال نسيج الرؤية الكلية للكون والإنسان عند الإمام النورسي، وهو ما نهض حافزاً لهذه الدراسة البحثية، وهي تقصد استكشاف مفهوم الأضداد في رسائل النور وتجليه أبعاده الفلسفية المتفردة على أكثر من صعيد معرفي، وبيان الملامح الفلسفية المتميزة لمفهوم الأضداد في إطار الرؤية الكلية للعالم وعلاقة الإنسان به، ومن ثم الإبانة عن توظيف الإمام النورسي لهذا المفهوم ضمن رؤية كلية جامعة للوجود والإنسان.

تنحو الدراسة منهجاً تحليلياً مقارناً، إذ نعد من خلال توظيف أدوات التحليل سعيّاً لتفكيك مفهوم الأضداد في رسائل النور وفق تجلية أبعاده الفلسفية المختلفة التي يفصح عنها الإمام النورسي، ومن ثم استعادة بناء المفهوم في سياق إبراز الرؤية الكلية للإمام النورسي، بجانب استحضار منحى المقارنة الفكرية التي تتسع لتناول أطروحات فلسفات الشرق القديم وأديانه، وكذلك بعض مدارس فلسفة الإغريق من جهة ومقارنته ذلك بما حفلت الرسائل من الجهة الأخرى، وبيان ما ذخرت به الرسائل من معانٍ تنبسط لتُخبر عن تفرد وتميز بالاستناد إلى الحقائق الإيمانية، والخلوص من كل ذلك إلى القول بأن الإحاطة بمفهوم الأضداد في رسائل النور ينتهي بنا إلى أننا ننتهي إلى التقرير بحقيقة تفرد الأفق الفلسفي عند النورسي في إطار رؤيته الكلية للوجود والإنسان.

تتضمن الدراسة ثلاثة مباحث إلى جانب المفتتح والخاتمة، حيث يوطئ المبحث الأول للدراسة بتقديم الدلالات اللغوية والاصطلاحية للمفاهيم التأسيسية للدراسة، ويعني المبحث

الثاني بعرض بعض الاتجاهات والمدارس الفلسفية القديمة حول الأضداد وعلى نحو أخص بعضاً من أطروحات فلسفات الشرق القديم وكذلك الفلسفة الإغريقية حول الأضداد، ويحيى المبحث الثالث مستفيضاً في مسعى الإحاطة بفلسفة الأضداد في رسائل النور.

المبحث الأول

الدلالات اللغوية والاصطلاحية للمفاهيم التأسيسية للدراسة

توطئة:

تتأسس الرؤية الكلية للوجود وفق طائفة من التصورات والمفاهيم الكلية حول الأصل والغاية للوجود والحياة والإنسان. وهي بذلك رؤية لازمة أن تحيى متضمنة الإجابات التي خلص إليها الإنسان في سعيه الدؤوب وهو يتداول الأسئلة الأولية والنهائية حول قضايا وجوده الكبرى؛ تلك الأسئلة الموصولة بالكون والإنسان والعلاقة بينهما، فالإنسان لم يكف عن طرح أسئلة متى ولماذا وإلى أين، وتلك هي إشكالات المبدأ والغاية والمصير، وعندما يستكمل الفرد والمجتمع تقديم قدر كافٍ من الإجابات ذات الحد المقبول من التماسك والاتساق عن سائر الأسئلة الوجودية الكبرى؛ فإننا نستطيع الإشارة حينها إلى تشكل رؤية كلية للعالم والإنسان، لتتجلى هذه الرؤية ظهوراً في سائر الإدراكات الذهنية والممارسات العملية لأفراد هذا المجتمع.

يتوجب استهلالاً للدراسة أن نأتي على بسط المصطلحات التي تمثل ركيزة الدراسة، وبذلك فنحن نمضي باتجاه تجلية كل من مصطلحي رؤية العالم ومصطلح الأضداد، فنبداً من حيث قراءة دلالة المفردات التي تشكل هذين المصطلحين في اللغة العربية، ومن ثم بيان الدلالة الاصطلاحية ل كليهما.

رؤية العالم - الأصول اللغوية والإصلاحية:

يعود أصل مفردة (الرؤية) في اللغة العربية إلى الفعل (رأى)، وهو فعل موصول بحس العين ورؤيتها الأشياء، ولكنه يتسع إلى ما بعد الحس المباشر فيذكر ابن فارس أن (رأى) يدل على نظر وإبصار بعينٍ أو بصيرة، وكذلك عند ابن سيده: الرؤية بالعين وبالقلب. أورد الراغب الأصفهاني أن الرؤية إدراك المرئي، وذلك بالحاسة وما يجري مجراها نحو العقل والتفكير والتخيل". (الأصفهاني. د.ت، ٢٧٥).

وعلى نحو ما ذكر في اتحاد الرؤية بالحاسة وغيرها؛ جاءت ذات الإشارة متماثلة عند التأمل في دلالة مفردتي (بصر ونظر)؛ وبذلك استقر عند أهل العربية أن سائر المفردات الثلاثة (الرؤية والبصر والنظر) تشارك جميعها في الدلالة على إدراك كل من الأجسام والمعاني على السواء، فما كان إشارة لأداة الحس والأبصار فالمعني به الأجسام، وما كان بالبصائر توجه للمعاني، ومن هنا جاءت دلالة هذه المفردات (رأى وبصر ونظر) ومشتقاتها في الأكثر بما يتجاوز الوقوف عند دلالة حس العين المباشرة فحسب، إذ حملت معاني متكاثرة احتشدت بها معاجم العربية نحو: العلم، والتأمل، والرأي، والاعتقاد، والبصيرة، والفتنة، والإخبار، والإعلام، والتعرف، والتأمل، والتفكير، والتدبير، والبرهان، والحجة، والبيئة، وعقيدة القلب ونفاذه (ابن منظور، ١٩٩٧م، ١٤ / ٣٠٠ - ٣٠٤).

وفق هذا الاستفاضة في إيراد الدلالات المتعددة فإننا نستطيع أن نخلص إلى أن " دلالة مفردة الرؤية لا تقتصر على وظيفة الحس التي تقوم بها العين الباصرة، حين ترسم صورة الأشياء التي تراها، بل تتجاوز ذلك إلى الاستبصار والبصيرة والإدراك العقلي للأشياء والأفكار والظواهر سواء كانت في الماضي أو الحاضر أو المستقبل " (ملكاوي، ٢٠٢١م، ٤٢).

أما (العالم) فيُراد به كل ما خلق الله تعالى، أي أصناف الخلق كله، وذكر الجرجاني (العالم): "كل ما سوى الله تعالى من الموجودات؛ لأنه يُعلم به الله من حيث أسماؤه وصفاته (الجرجاني، د.ت، ١٨٨). وهكذا تتواتر في ثنايا التراث الإسلامي ذكر طائفة من العوالم، فثمة عالم الغيب وعالم الشهادة، وعالم المحسوسات وعالم المعقولات، وعالم الإنس وعالم الجن، وعالم الأمر وعالم الخلق، وهكذا فكل ما يسمى عالم يتضمن معنى كل جنس من الموجودات.

إذن فورود مفردة العالم وتوظيفها في الدلالة تشير إلى أن مراد حقيقتها يظل مفتوحاً على آفاق غير محدودة الدلالة للعوالم التي تتبدى أمام العقل الإنساني في تأملاته وتفكره الدائمين وفق هداية القرآن الكريم عبر عوالم الشهادة وعوالم الغيب على السواء، وبهذا يمكننا الخلوص إلى أن مصطلح (رؤية العالم) ينطوي على طائفة مجتمعة من التصورات والإدراكات التي يحوزها الإنسان، مشكلة الإطار الكلي المتضمن ثلاثة حقول رئيسة للوعي الإنساني هي: الألوهية، والكون وتصورات الإنسان لوجوده فيه ومعه، والإنسان وفق جملة الإجابات التي تُستحضر حيال الأسئلة الوجودية المعبرة عن قضايا الكبرى.

أشيرُ هنا إلى أنه في سياق هذا البحث فإنه يُرادُ لرؤية العالم أن تحييء وفقاً لمنهج رسائل النور الذي عماده وعمدته الحقائق الإيمانية، تلك الحقائق التي مرتكزها الإيمان بوجوب وجود الحق عز وجل والنبوة واليوم الآخر والحشر وسائر الأركان الإيمانية.

الأضداد والتضاد: الأصول اللغوية والاصطلاح

أورد صاحب لسان العرب في مادة ضدد: الضَّدُّ كُلُّ شَيْءٍ ضَادٌّ شَيْئاً لِيُغْلِبَهُ، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، والليل ضد النهار إذا جاء هذا ذهب ذلك، والجمع أضداد (ابن منظور. ١٩٩٧ م. مادة ضدد). وعند ابن فارس: الضَّدُّ ضِدُّ الشَّيْءِ، والمتضادان الشيئان لا يجوز اجتماعهما في

وقتٍ واحدٍ كالليل والنهار (ابن فارس، د.ت، ١/ ٣٦٠)، ويذكر الراغب: "الضدان الشيطان اللذان تحت جنس واحد، وينافي كل واحد منهما الآخر في أوصافه الخاصة وبينهما أبعد البعد كالسواد والبياض والشر والخير" (الأصفهاني، د.ت، ٢٨٣).

وفي علوم اللغة العربية نجد أن الحُذاق من علماء البلاغة يأتون على توظيف التضاد؛ بيد أنهم يكثرون من استخدام مصطلحات مثل الطباق والمطابقة والمطابق، وعلى نحوٍ أقل يأتون على استخدام مصطلح (التضاد) للإشارة إلى مفهوم الطباق، كما نلاحظ أنهم عند إيرادهم لمصطلح (الأضداد) فيصرفون بدلالته إلى اللفظ الواحد الذي يُشار به لمعنيين متضادين، نحو كلمة الجون التي تعني الأبيض والأسود معاً، وكذا الحميم التي تعني البارد والحرار" ونحو الذي من الكلمات التي عنيت طائفة من علماء العربية بجمعها مصنفة في مؤلف واحد، وربما في هذا السياق يُشار إلى عدة مؤلفات تحمل ذات العنوان (الأضداد) لكل من قطرب والأصمعي وابن السكيت أبي حاتم السجستاني.

أما عند تناول مفهوم والتضاد والأضداد في سياق علم المنطق وهو ركيزة هذه الدراسة؛ فإن الأمر يبدو مفارق بعض الشيء؛ إذ يجيء النظر إلى مصطلح التضاد بحسبانه أحد أضرب التقابل Opposition، حيث يشتمل مفهوم التقابل على علاقة بين موضوعين أحدهما في مواجهة الآخر، والتقابل بذلك مفهوم يتسع إذ تنحصر أوجهه في أربعة أقسام هي: تقابل السلب والإيجاب مثل الشعور واللاشعور، وتقابل المتضايين بحيث يكون تعلق كل واحدٍ منهما سبباً بتعلق الآخر به كالأبوة والبنوة (الجرجاني، د.ت، ٨٤)، وتقابل الضدين مثل السواد والبياض، وتقابل العدم والملكة مثل العمى والبصر" (صليبا، ١٩٨٢م، ٣١٩).

تنشأ علاقة التضاد ضمن إطار علاقة التقابل انطلاقاً من تعريف "الضد Contrary هو المخالف والمنافي، ويطلق على موجود في الخارج مساوٍ في قوته لموجود آخر ممانع له، أو على موجود

مشارك لموجود آخر في الموضوع معاقب له، بحيث إذا قام أحدهما بالموضوع لم يقيم الآخر به" (صليبا، ١٩٨٢ م، ٧٥٤). ويُورد الجرجاني قائلاً: "الضدان صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضع واحد يستحيل اجتماعهما، كالسواد والبياض" (الجرجاني، د.ت، ١٧٩)،

جاء في المعجم الفلسفي ما يلي: (الضد Contrary) مصطلح منطقي قديم يدل على تقابل صفتين مختلفتين كل الاختلاف تتعاقبان على موضوع واحد، ولا تجتمعان كالسواد والبياض، كما يكون بين المعاني الكلية والقضايا، والضدان لا يجتمعان وقد يرتفعان، في حين أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان" (مجمع اللغة العربية، ١٩٨٣ م، ١٠٩). "فالتناقض تقابل بين الإيجاب والسلب في حدين أو قضيتين تحتويان على عنصرين لا يجتمعان ولا يرتفعان ولا وسط بينهما" (مجمع اللغة العربية، ١٩٨٣ م، ٥٥).

نستطيع أن نخلص إلى أن "التضاد يكون بين الأشياء الموجودة، وكذلك يكون في الأشياء المتصورة في الأذهان، والتضاد صفة حالتين فكريتين موجودتين معاً، أو متعاقبتين، تتميزان بتقابلهما، مثال ذلك التضاد في الألوان (صليبا، ١٩٨٢ م، ٧٥٥)، كما أن مفهوم التضاد يدل على التباين والتقابل التام أو القطعي، ويشترط في الضدين أن يدخلتا تحت جنس واحد، مثل الألوان، وتشتد درجة التضاد باشتداد درجة التعادل بين الحدين، المرتبطة مع نسبة اقترابهما من الحد الأوسط أو ابتعادهما عنه كما أو كيفاً". (معهد الإنماء العربي، ١٩٨٦ م، ١ / ٢٦٦)

على ذات النحو نجد أن ثمة ما يربط حالات التضاد مع عملية المعرفة والإدراك والشعور، فالمشاعر المضادة توضح الحدود الشعورية لبعضها بعضاً، كذلك الإدراكات الحسية والمتعالية في التصورات العقلية، ولكأن التضاد أحد شروط التميز والوضوح". (معهد الإنماء العربي، ١٩٨٦ م، ١ / ٢٦٦)، وهذا ما يبدو على اتساق مع ما يتواتر شيوعاً في آداب العربية حيث يُسند استبانة الأشياء بأضدادها، وما يذكرونه في ذلك بيتاً لأبي الطيب المتنبي يشهد لهذا المعنى ويعززه:

ونديهم، وبهم عرفنا فضله وبضدها تتبين الأشياء

يذهب طائفة من المشتغلين بنظرية المعرفة إلى القول بأن " التضاد أصبح قانوناً أساسياً من قوانين التداعي في عمليات التمثل المعرفي سواء بالنسبة للمدرسة التجريبية أو المدرسة العقلية، وقد اعتبره أرسطو في مربعه أحد القوانين الأساسية للقضايا" (معهد الإنماء العربي، ١٩٨٦م، ١/ ٢٦٦ - ٢٦٧).

التأمل في رسائل النور للإمام النورسي يلحظ أن مفردة الأضداد ترد بتواتر في عدد من المواضيع في رسائل النور، وعند تأملها يخلص المرء أن مفردة الأضداد في دلالتها تعم حقائق الكون وظواهره، فالدلالة عند الإمام النورسي تسع لتشمل الثنائية الضدية في عالم الوجود الطبيعي والحياة الإنسانية في أبعادها القيمية والاجتماعية والنفسية، فالإمام النورسي يعدد الأضداد في بعض المواضيع فيذكر الخير والشر، والحسن والقيح، والصدق والكذب، والنفع والضرر، والكمال والنقصان، والضيء والظلمة، والهداية والضرورة، والنور والنار، والإيمان والكفر، والطاعة والعصيان، والخوف والمحبة، والبرودة والحرارة (النورسي، ٢٠١١م، ١١١ - ١٤٣).

إذن نستطيع الخلوص إلى أن هذه الدراسة في استهلاكها بسطاً للمعاني والدلالات الاصطلاحية لمفهومٍ رؤية العالم والأضداد، تخلص إلى أن مرادها من مصطلح (رؤية العالم) في سياقه الفلسفي هو جملة ما يؤسس للوعي الإنساني من التصورات والإدراكات الكلية حيال معرفة الحق عز وجل والكون والإنسان، وما يحيط بذلك من علائق وتبديات على كافة حقول الفعل الإنساني، بينما يبدو مفهوم الأضداد وفق هذه الدراسة دالاً ومشتتلاً على الثنائية الضدية لسائر العناصر الوجودية والقيمية والنفسية والاجتماعية، وبذلك فالدراسة تعنى بالتأمل في إدراك مفهوم الأضداد أو الثنائيات الضدية بحسبانها إحدى مركّزات رؤية العالم الكلية وفق ما جاء في رسائل النور؛ بما يعزز الخلوص إلى القول بتفرد الأفق الفلسفي عند الإمام بديع الزمان النورسي.

المبحث الثاني

ملامح فلسفة الأضداد في الأديان والفلسفات القديمة

توطئة:

ما إن بدأ الإنسان مستهلاً خطواته الأولى في الكون؛ حتى أخذت صلاته بالكون وموجوداته تقوى وترسخ عبر وعيه وشعوره، وظل هذا الوعي الإنساني بالكون ملكة ومعطى إنساني شهدناه عبر رحلة الإنسانية يترقى ويتسع باضطراد، بل مضي هذا الوعي متصاعداً باتساع من خلال استيعابه حواس الإنسان كافة وقواه ظاهرها وباطنها، إلى جانب تعزيزه المستمر للملكات الإنسان المعرفية.

كان من نتائج ذلك الوعي أن بزغ في المجتمعات الإنسانية عبر الحقب التاريخية المختلفة أفراداً اجترحوا الأسئلة العميقة حول كنه طائفة من الظواهر الكونية محاولين تلمس حقيقتها، ومن ثم التعبير عما خلصوا إليه من إجابات من خلال معطي فلسفي أو معتقدات دينية، وجدت القبول لدى شعوبهم وما زالت تلقي بآثارها إلى اليوم.

وفق هذا السياق يتناول هذا المبحث ملامح فلسفة الأضداد في أهم أديان وفلسفات الحضارة الفارسية بحسبان ما أنتجته هو الأبرز في هذا السياق، والأكثر تأثيراً على الاتجاهات والمدارس الفلسفية اللاحقة، إلى جانب تناوله لبعض الاتجاهات الفلسفية الإغريقية القديمة.

فلسفة الأضداد في أديان الشرق القديم:

يتجلى حضور مفهوم الثنائية الضدية على نحو أكثر ظهوراً وتمثلاً لدى أديان الفرس

ومدارسها الفلسفية، فالشهرستاني الذي يسمي هذا المفهوم بالثنوية قد جعلها مختصة بهم، إذ يقول: "ثم الثنوية اختصت بالمجوس، حتى أثبتوا أصلين اثنين مديرين قديمين، يقتسمان الخير والشر، والنفع والضرر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما النور، والثاني الظلمة ... " (الشهرستاني، ١٩٩٢ م، ٢ / ٢٦١-٢٦٢)، وجاء دي بور على ذات الأمر مقررًا أن بلاد الفرس هي بلاد مذهب الاثنين Dualism (دي بور، ١٩٨١ م، ١٥). وبذلك نستطيع القول: " بأن بلاد فارس هي بلاد فلسفة الثنوية أو الثنائية الضدية التي تترأى في كل مذاهب الفرس وفلسفاتهم بلا استثناء ". (عليان، ١٩٧٦ م، ١٤٠).

تبدت هذه الثنائية الضدية في تعاليم زرادشت، وكان قد اشتهر بالحكمة ونبغ في الطب وبذل سنيينا من عمره متطوعاً في خدمة المرضى والفقراء وتخفيف آلام الناس، ومن خلال هذه المعاشية للناس استحوذت عليه فكرة ثنائية الخير والشر، فطفق باحثاً عن مصدر هذه الثنائية الضدية القيمة، فاعتزل الناس في جبل سابلان، لتتقدح في ذهنه وهج الفكرة التي رآها تنطوي على العلم بسر الحكمة حول على مصدر الخير والشر.

جوهر فكرة زرادشت تلك استمدها من الثنائية الكونية في الوجود، ذلك أنه كما أن اليوم يتألف من نهار وليل، نور وظلام، وهكذا فإن العالم أيضاً يتألف من الخير والشر، وكما أن الليل والنهار لا يمكن أن تتغير طبيعتهما، النهار منير والليل مظلم، فكذلك كل من الخير والشر أصيلين، فلا يمكن أبداً للخير أن يصبح شراً ولا الشر أن يصبح خيراً، فالخير لا بد أن يكون خيراً دائماً، والشر لا بد أن يكون شراً دائماً، وبذلك آمن زرادشت أن العالم تحكمه قوتان: خير واحد (اهورا مزدا) وشر واحد (اهرمان).

نقرأ لصاحب الملل والنحل نصاً جامعاً يشرح فيه جماع فلسفة الأضداد عند زرادشت إذ

يقول:

"إن النور والظلمة أصلا متضادان، وهما مبدأ موجودات العالم، وحصلت التراكيب من امتزاجهما، وحدثت الصور من التراكيب المختلفة، والباري خلق النور والظلمة، ومبدعهما، وهو واحد لا شريك له ولا ضد، ولا ند، ولا يجوز أن ينسب إليه وجود الظلمة، لكن الخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث، إنما حصلت من امتزاج النور والظلمة، ولو لم يمتزجا لما كان هنالك وجود للعالم، وهما يتقاومان ويتغالبان، إلى أن يغلب النور الظلمة، والخير الشر، ثم يتخلص الخير إلى عالمه، وذلك هو سبب الخلاص، والباري تعالى هو مزجها وخلطهما، لحكمة رآها في التركيب، وربما جعل النور أصلاً، وقال وجوده وجود حقيقي، وأما الظلمة فتبع كالظل بالنسبة إلى الشخص، فإنه يرى أنه موجود وليس بموجود حقيقة فأبدع النور، وحصل الظلام تبعاً، لأن من ضرورة الوجود التضاد، فوجوده ضروري واقع في الخلق لا بالقصد الأول، كما ذكرنا في الشخص والظل" (الشهرستاني، ١٩٩٢م، ٢/٢٦٦).

وهذا النص للشهرستاني يكاد يضع بين أيدينا إجمال وافي لملامح فلسفة زرادشت حول الثنائية الضدية، التي تقارب مفهومات الدين التوحيدي ويفارق الوثنية بالكلية، وهذه المفارقة هي أهم ما أحدثته الزرادشتية في العقائد الفارسية القديمة المتوارثة، فالدعوة أصبحت لإله حكيم واحد، إذ النور صفة للإله الواحد الحكيم، والظلام صفة للمادة الفانية، وبامتزاج النور والظلمة خلقت موجودات هذا العالم وحصلت من تراكيبه المختلفة، وحدثت الصور والألوان والأنواع من هذا التركيب.

إذن ينصرف الإيمان الزرادشتي نحو الله الواحد الموصوف بأشرف صفات الكمال، فهو واحد لا شريك له، "فالله هو الموجود الأعظم والأفضل والأسمى من حيث الفضيلة والاستقامة والخير" (بارندر، ١٩٩٣م، ٩٢)، فهو خير محض لا شرف فيه وهو مصدر كل خير ومجد ونور وسعادة في العالم، وهو المشرع القدسي والقاضي الأسمى العادل الرحيم، والخير عند زرادشت قديم ويعلو

وينتصر على الشر المحدث المغلوب في آخر المطاف، إذ إن قوة الإله الخيرة هي التي ستتصر في النهاية على روح الشر.

وفق هذا السياق جاءت إشارة البعض إلى أن أهم ما يمتاز به الزرادشتية هو كون بناءها الفلسفي جاء "على أساس مبدأ تعميم الخير وإبادة الشر، وهي ترى أن أهم الوسائل الضرورية لتحقيق هذه الغاية هو تقوية النوع البشري ونشر الخصوبة والعمران على سطح الأرض" (غلاب، ١٩٣٨م، ١٨٨).

وكان أن انتهت الثنائية الضدية عند زرادشت إلى تعضيد فكرة الأخلاق، وذلك من خلال التوحيد والمزج الفلسفي بين مفهوم الإله والخير، بحيث جعلها اسمين لمسمى واحد، وبذلك سبق أفلاطون إلى هذا المزج الفلسفي والأخلاقي العظيم، وبذلك كان أهم ما تميزت به الزرادشتية هو تأسيسها على فكرة الخير (غلاب، ١٩٣٨م، ١٨٩).

لعل المرء وهو يتأمل التعاليم الزرادشتية يلحظ المرء أنها أكثر المذاهب المجوسية اعتدالاً على أكثر من منحى فلسفي، "فهي تقر بوجود إله حكيم خالق مبدع لا شريك له ولا ند ولا مثيل له، وهو فوق الخير والشر، ولا ينسب إليه إلا الخير والصلاح، وما الشر والفساد إلا أثر لضرورة امتزاج النور بالظلمة، وما النور والظلمة إلا مبدآن حادثان وضدان مخلوقان". (عليان، ١٩٧٦م، ١٧٦-١٧٧).

وتذهب التعاليم الزرادشتية إلى الإقرار بالنبوة وبيعض الأنبياء، ويرون في زرادشت نبياً رسولاً إلى الخلق أجمعين (العقاد، ٢٠١٧م، ٨٧)، كما تقر الزرادشتية بالبعث والقيامة والحياة الأخروية والحساب والجزاء والصراط الممتد فوق جهنم، والنعيم والعذاب (العقاد، ٢٠١٧م، ٨٨)، وثمة إشارة لدى الكثيرين أن زرادشت قد نجح إلى حد كبير في تنقية العقيدة التقليدية لأبناء وطنه بما

قدمه لهم من تأملات ثابتة حول واحدة الإله وخيريته، واستبعاد الشر والتركيز على أن الشر مصدره الشيطان، وأن ثمة حياة أخرى سيلقى فيها الإنسان الثواب أو العقاب جزاء ما صنعته يده". (النشار، د.ت، ١٧٦-١٧٧).

لقد ظلت التعاليم الزرادشتية المستندة إلى الفلسفة الثنائية الضدية حاضرة بقوة تأثيرها في مسار التطور الديني والفلسفي على امتداد العالم، وربما نشير هنا على سبيل التمثيل فكرة المخلص في الديانة البوذية في صورة متريا بوذا، كما أن هنالك اتفاقاً على التأثير الأكبر للزرداشتية على التصورات اليهودية المتأخرة عن الشيطان والجحيم والحياة الأخرى والبعث ونهاية العالم وصورة المخلص، هذا إلى جانب تأثير لا ينكر للزرداشتية على التصوف الإسلامي (بارندر، ١٩٩٣ م، ١٠٤-١٠٥)، وهناك طائفة من المشتغلين بتاريخ الأديان قد أسهبوا في تقصي أثر الزرداشتية بكل من الدين اليهودي والمسيحي اليهودية والنصرانية (الشتناوي، ١٩٥٣ م، ٥٨-٦٢).

فلسفة الأضداد عند الثنوية مانوية:

يُنظر إلى المانوية باعتبارها أهم العقائد الدينية والمدارس الفلسفية التي أعقبت الزرداشتية في تعبيرها عن تمثيلها لفلسفة الأضداد، وتنسب المانوية إلى ماني بن فاتك الفيلسوف الفارسي الذي ولد عام ٢١٥ م في عهد الملك سابور بن أردشير.

نستطيع القول بأن فلسفة الأضداد عند ماني قد بدت أكثر تجذراً مما كانت عليه عند زرادشت، فماني يرى بأن العالم نشأ عن أصلين هما النور والظلمة، وأن هذين الأصلين قديمان، وهو بذلك يفارق زرادشت الذي يقول بقدّم النور وحدوث الظلام، ولهذا وصفت المانوية بأنها (ثنوية) أي تقول بنشوء العالم عن أصلين مختلفين: النور والظلام، وأن الخير امتزج بالشر امتزاجاً تاماً، وأنها في صراع وامتزاج حتى قيام الساعة" (عليان، ١٩٧٦ م، ١٣٨).

ووفق هذا السياق نستطيع القول بأن فلسفة الأضداد عند ماني مضت أشواطاً أبعد، وربما بدت أكثر غلظة من أطروحة زرادشت، فحيث نلاحظ اتفاقهما بوجود قوتين في الكون؛ قوة الخير (أهورا مزدا) وقوة الشر (أهرمان)، إلا أن زرادشت لم يجعل روح الشر (أهرمان) نداً وشريكاً لله، وهو يثبت الوجدانية والعلو لله الذي أثبت له وحده صفة القدم، فالله واحد حكيم خالق مبدع، وهو الذي مزج النور والظلمة، وأوجد العالم منهما، وهما في صراع، ولكن قوة الخير ستنتصر وقوة الشر ستندحر (عليان، ١٩٧٦ م، ١٣٧).

أما عند ماني الأمر يمضي نحو الاختلاف حيث يقول: "بقدم وأزلية القوتين أو الأصلين اللذين نشأ منهما العالم، وبذلك قال بالثنوية وجعل لله نداً وشريكاً، وأن القوتين في صراع أبدي لا خلاص منه إلا بفناء العالم"، وكان أن انطوت المانوية على ضعف ويأس وتشاؤم وانزواء وحرمان من لذات الحياة المباحة، والاعتقاد بأن التخلص من الشر أمر مستحيل، وأن استمرار العالم في الحياة معناه استمرار الشر، وأن الوسيلة الوحيدة للقضاء على هذا الشر هي تدمير هذا العالم". (غلاب، ١٩٣٨ م، ٢٠٤).

على نحو أكثر وضوحاً يظهر التباين في فلسفة الأضداد بين أطروحتي كل من زرادشت وماني في تضاد ما انتهت إليه خلاصة الفلسفة الأخلاقية عند كليهما، فعند زرادشت انعكست السمة العامة لاستعلاء الخير على الشر في فلسفته الأخلاقية، إذ جاءت دعوة للإنسانية للحياة الطيبة وعمل الخير وعمران الأرض، والحث على الزواج والتناسل لتستمر الحياة ويدوم الكفاح ويتنصر الخير على الشر، ويعيش الناس في سلام ورفاه في ظل مزدا الواحد الحكيم الرحيم (عليان، ١٩٧٦ م، ١٣٨).

أما عند ماني فإن الرؤية حيال الثنائية الضدية بين الخير والشر، حيث القول بأزليتهما والإقرار بالصراع الأبدي الذي لا خلاص ولا فكاك له بينهما إلا بفناء العالم، هذه الرؤية جعلت الفلسفة المانوية ليست موعلة في زهداها في الوجود متلمسة سبل الفرار منه فحسب؛ بل وتعجل

فناءه، وهكذا ظل ماني على النقيض مما كان عليه زرادشت ينفر الناس من العمل والانتاج، ويرغبهم في الزهد والتقشف، ويحثهم على التبتل حتى لا يجنوا على ذرايعهم، وحتى يتعجل انقراض النوع البشري.

نستطيع وفق هذا السياق أن خلص إلى أن الفلسفة الثنائية الضدية عند زرادشت انتهت به متفائلاً بالحياة مترقباً الخلاص بانتصار الخير على الشر، بينما انتهت فلسفة الثنائية الضدية عند ماني لكونه متشائماً بائساً يرى أنه لا خلاص إلا بالموت والفناء، والموقفين الأخلاقيين على تباعدهما لكنهما تأسسا على فلسفة الأضداد عند كليهما.

فلسفة الأضداد في الفلسفة الإغريقية:

امتد تأثير زرادشت وآرائه الفلسفية على نحو خاص فلسفة الأضداد إلى الفكر الإغريقي، وينظر بعض المشتغلين بتاريخ الفكر الفلسفي أن اللاهوت النظري الأفلاطوني ما هو إلا امتداد لزرادشت (بدوي، ١٩٦٤م، ١٠٢)، وفق هذا السياق برزت إشارات مبكرة لمفهوم الأضداد في ثنايا أطروحات المدارس الفلسفية اليونانية، فهناك إشارة خافتة لدي المدرسة الأيونية، وثمة تعرض أكثر لفلسفة الأضداد عند المدرسة الفيثاغورية، ولكن التناول الأبرز كان لدي الفيلسوف هراقليطس، وهذا ما سنأتي عليه أدناه.

المدرسة الأيونية ومفهوم تصارع الأضداد:

أثارت أولى المدارس الفلسفية الإغريقية سؤال الطبيعة النهائية للعالم، وفي سياق تقديم إجابات عن هذه المسألة كان ثمة تصور بين فلاسفة هذه المدرسة يكاد يكون محل اتفاق وهو تصور الأشياء على أنها أشكال مختلفة من عنصر واحد نهائي وهو المبدأ النهائي الأولى، ورغم اختلافهم من بعد على تحديد كنه وماهية ذلك العنصر، وهكذا ترسخت فكرة الوحدة في الاختلاف، مما يجعل من

مهمة الفيلسوف متجه نحو تفسير اختلاف الكثرة الظاهرة من حيث وجودها وطبيعتها واكتشاف الوحدة الكامنة وراء الكثرة أو المبدأ الأول. (كوبلستون، ٢٠٠٢م، ١/٥٧).

ويتفق فلاسفة أيونيا على القول بجوهر واحد وأصل واحد للكون؛ ولئن جرت تعيين المبدأ الأول النهائي عند أول فلاسفة أيونيا طاليس على كونه الماء، فإن انكسمندر وهو الفيلسوف الثاني في هذه المدرسة قد رأى أن المبدأ الأول لا يمكن أن يكون نوعاً معيناً من المادة كالماء مثلاً طالما أن الماء أو الرطوبة واحد من الأضداد وهي عنده الكيفيات الأربع (الحار والبارد واليابس والرطب) التي يحتاج صراعها واعتداء بعضها على بعض إلى تفسير، ليصل انكسمندر إلى فكرة كون المبدأ الأول غير متعين بل هو أكثر بدائية وأولية من الأضداد طالما أنه هو الذي يخرج منه كل شيء وهو الذي يفنى فيه كل شيء.

أقام انكسمندر التفرقة بين الأبيرون وبين العناصر المادية الأخرى، بدأ هذا الأبيرون أو اللا متعين أشبه بالسديم الأول الذي نشأ عنه الكون بالانفصال، وهو لا يتصف بأي صفة معينة، وقد كانت جميع الأضداد كامنة فيه في مرحلة يسودها قانون العدالة حيث يلزم كل عنصر مكانه المحدد له، ولا يتعدى على غيره، ثم حدث انفصال الأضداد عن بعضها البعض بفعل الحركة الأزلية الخالدة.

وتكونت العوالم والكائنات وفق صراع الأضداد الأربعة، إذ يرى انكسمندر أن نشأة أي موجود جزئي من موجودات الطبيعة ظلم وتعدُّ وكسر لنظام العدالة، وذلك لأن تكوين كائن من الكائنات يقتضي أن يتغلب أحد العناصر على غيره، فالكائن يتولد من صراع الأضداد الجاف والرطب والحار والبارد وهي صفات العناصر الأربعة، ولكن قانون العدالة، وما يجب أن يكون يعود فيسري مرة أخرى لأنه عندما يولد عالم جديد من العوالم اللانهائية العدد يقضي على عالم آخر بالفناء؛ لأن كل عالم يولد لا بد أن يكفر عن خطيئة الميلاد بأن يفنى ليولد عالم جديد وهكذا

باستمرار". (مطر، ١٩٩٨ م، ٥٤).

إذن عند انكسمندر فإن نشأة الأضداد ابتداءً من الأصل اللانهائي، وأنها كلها موجودة في كنف الواحد الأصلي، وأنها انفصلت عنه بعد ذلك وفق علة الحركة، وهو يرى أن سيطرة عنصر واحد ظلم، وأنه في مواجهة هذا الظلم يظهر رد فعل هو العقاب لتحقيق المساواة من جديد، ونلمح هنا في نفس الوقت فكرة الصراع وفكرة التوازن" (قرني، ١٩٩٣ م، ٢٧).

نستطيع أن نلاحظ أن مفهوم الأضداد قد برز لأول عهده لدى الفلاسفة الإغريق عند انكسمندر، وأن منزع النظر لفلسفة الأضداد قد نبعت من بواعث الملاحظة المادية لتغير الفصول من صيف جاف وشتاء رطب ومن تناقص الماء والنار... وهكذا مضى يعرض مفهوم الأضداد على نسق موغل في المادة متضمناً بشكل جوهري مبدأ الصراع، وإن جاءت محاولته للتعبير عن الصراع أحياناً وفق مفردات أخلاقية، إذ يعتدي بعضها على بعض، ثم تنال عقابها على ما ارتكبتها من ظلم، وهو ينظر إلى الحرب ما بين الأضداد على أنها ضرب من الفوضى، ولكنها ينبغي ألا تكون، إذ تفسد نقاء الواحد". (كوبلستون، ٢٠٠٢ م، ٧٨/١)

هنا تبرز أهمية ملاحظة أن تجذر الرؤية المادية لفلسفة الأضداد في السياق الغربي تبدت أصولها الأولى مع الطرح الغارق في المادية الذي قدمته المدرسة الأيونية.

فلسفة الأضداد عند المدرسة الفيثاغورية:

لاحقاً اهتمت المدرسة الفيثاغورية بفلسفة الأضداد؛ بيد أن ما أنتجته من أطروحات جاء خافتاً إذ جاء اهتمامها بالأضداد في سياق انشغالها بالتناسب والنظام والتناغم في الكون، وانتهائها إلى أن كل ذلك موصول بالعدد، ومن ثم القول بأن الطابع الجوهري للكون هو العدد، ومن ثم فإن المبدأ الأول للأشياء هو العدد، ولما كان كل الأعداد تنشأ من الوحدة؛ إذن فالوحدة هي الأولى في

نظام الأشياء في الكون، وبما أن الأعداد تنقسم إلى الفردي والزوجي، فكذلك الكون يتألف من أزواج من الأضداد والمتناقضات.

رسم الفيثاغورسيون قائمة من عشرة أضداد يتألف منها الكون وهي: المحدود واللامحدود، والفردي والزوجي، الواحد والكثير، اليمين واليسار، والذكر والأنثى، والسكون والحركة، والمستقيم والمنحني، والنور والظلام، والخير والشر، والمربع والمستطيل". (ستيس، ١٩٨٤م، ٤٠-٤١) وربما يلاحظ المرء أن أطروحة المدرسة الفيثاغورية حول فلسفة الأضداد ليست على نحو من الجدة والعمق الفلسفي.

فلسفة الأضداد عند هيراقليطس:

يُنظر إلى هيراقليطس بحسبانه امتداداً لفلاسفة أيونيا الطبيعيين في قولهم بجوهر وأصل واحد للكون، وهو يتقدمهم حين ينظر للكون المنظم باعتباره وحدة حقيقية، إذ يرى أن جميع الأشياء واحدة بمعنى أن الواقع الحقيقي هو واحد، "فهذا العالم واحد للجميع، لم يخلقه إله أو بشر، ولكنه كان منذ الأزل، وهو كائن وسوف يكون إلى الأبد ناراً حية تشتعل بحساب وتخبو بحساب". (مطر، ١٩٩٨م، ٦٢).

وتستند فلسفة الأضداد عنده من أن حقيقة الوجود تقوم على أساس توتر الأضداد بمعنى أن "صراع الأضداد أساسي لوجود الواحد، وهنا نجده يفارق رؤية انكسمندر الذي نظر إلى تصارع الأضداد ضرب من الاعتداء والظلم والفوضى بحيث يفسد نقاء الواحد؛ ولكن هيراقليطس يرى صراع الأضداد جوهرى لوحدة الواحد، فالواحد لا يوجد إلا في توتر الأضداد، وذلك التوتر الذي هو أساسي وجوهري لوحدة الواحد". (كوبلستون، ٢٠٠٢م، ١\٧٨).

ولهذا يشير البعض إلى أن مركز فلسفة هيراقليطس هي مجموعة أفكار ثلاثة عبرت عن

أطروحته في فلسفة الأضداد، وهي أفكار الائتلاف، السيلان أو التغير المتصل، الصراع (قرني، ١٩٩٣ م، ٤٥)، وبذلك فإن مبدأ الصراع يشغل ركناً جوهرياً في فلسفة الأضداد عند هيراقليطس والصراع بين الأضداد أساسي لوجود الواحد، فهو يقول: " فعلينا أن نعرف أن الحرب هي العامل المشترك في كل شيء، وأن الصراع هو العدالة، وأن جميع الأشياء تظهر وتختفي من خلال الصراع" (كوبلستون، ٢٠٠٢ م، ٧٨\١)، فلو اختفى الصراع لاختفت جميع الأشياء؛ ومن هنا استحق هيراقليطس أن يسمى فيلسوف الصراع عند الكثيرين.

يذهب هيراقليطس إلى أنه على الرغم من وجود الأضداد إلا أن بينها نوعاً من الوحدة، وهي فكرة جوهريّة في فلسفة الأضداد، وهي فكرة اتحاد الأضداد أو ائتلافها أو انسجامها، وهو يجد تمثيل هذه الفكرة في محيط الدائرة حيث تلتقي البدء والنهاية، وكذلك في حال القوس والقيثارة حيث يقوم الائتلاف بين الشد والجذب، ومن ثم فإن فوق الصراع بين الأضداد فإن هنالك الوحدة الجوهرية العميقة (قرني، ١٩٩٣ م، ٤٧). وبذلك فإن الواحد هو اختلافاته، والاختلافات هي الواحد، أو هي أوجه مختلفة للواحد، ومنتهى ذلك أن جميع التوترات تتصالح في الواحد، وجميع الاختلافات تتوافق وتنسجم، وذلك بالطبع يؤدي إلى مذهب معين في النسبية كما الحال في عبارات مثل الخير والشر شيء واحد" (كوبلستون، ٢٠٠٢ م، ٨١).

ضمن فلسفة الأضداد يطرح هيراقليطس فكرة السيلان العام أو التغير الدائم، التي يرمز إليه بسيلان ماء الجدول المنساب على الدوام، " فأنت لا يمكنك أن تنزل مرتين في النهر نفسه لأن مياهاً جديدة تغمر بك باستمرار، فكل شيء لا يكف عن التغير المتصل، وتأمله في التغير المستمر والسيلان الدائم في الطبيعة، اعتبر هيراقليطس أن التغير هو الحقيقة الوحيدة الدائمة، لذلك ردد القدماء عبارته التي يذكر فيها أن كل شيء في تغير ولا شيء ثابت". (أميرة، ١٩٩٨ م، ٦٥).

نستطيع الخلوص إلى أنه مثلما ظل يُنظر إلى التأثير الكبير لفلسفة الأضداد عند زرادشت على

الفلسفات والاتجاهات الدينية والفلسفية اللاحقة، فإن المشتغلين بتاريخ الفكر الفلسفي يقرون بالأثر الضخم الذي تركته أفكار هراقليطس، وعلى نحو أخص ما يلي فلسفة الأضداد لديه، وذلك بالإشارة إلى الجدة والتفرد الذي اتسمت به، مما جعل لها حضوراً على أكثر من نحو في مدارس الفلسفة الإغريقية، وترددت أصداء مقولاته بها حملته من نزوع ماديٍّ متمركز حول فكرة الصراع في اتجاهات الفلسفة المادية الغربية الحديثة، وهو الاتجاه الذي سيكون محلاً للنقد الجذري من قبل الإمام النورسي في رسائل النور.

المبحث الثالث

فلسفة الأضداد في رسائل النور

توطئة:

احتشدت رسائل النور بخلاصات التأمل والتفكير العميقين للإمام النورسي في آيات الوحي القرآني ومشاهد الكون، وقد شغلت تلك التأملات حيزاً مقدراً وليس باليسير من رسائل النور، ومثلما انطوت على انكشافات وإلهامات باهرة لمعاني الوحي القرآني؛ فقد جاءت متماسة ومتعمقة في تداخلها مع طائفة من العلوم الحديثة إنسانية كانت أو تطبيقات للعلوم، ولا غرو في ذلك بحسبان أن رسائل النور تعبر عن نفسها عبر وجهتين، ذلك بكونها تفسيراً معنوياً للقرآن الكريم الآتي من صفة الكلام، وهي كذلك في آنٍ تدبر وقراءة لكتاب الكون الآتي من صفة الإرادة.

وفق هذا السياق نستطيع القول بأن طرائق قراءة القرآن الكريم من قبل الإمام النورسي تحيء عبر مداخل شتى، لعل من أهمها ما هو موصول بالزاوجة التقابلية المتكاملة بين قراءة آيات الله التكوينية في كتاب الكون الكبير من جهة، وقراءة آيات الله التنزيلية في القرآن الكريم من الجهة الأخرى.

ينطلق الإمام النورسي في رسائله من رؤية كلية تأسيسية ترى في القرآن الكتاب الحكيم الترجمة الأزلية لكتاب الكون الكبير، ومن ثم فالآيات التنزيلية هي الترجمان الأبدي للآيات التكوينية، فقراءة القرآن الكريم هي قراءة نوعاً ما لكتاب الكون بإنسانيه الكبير والصغير، من حيث إحاطة الربوبية الإلهية بكل شيء، ومن حيث التعبير عن عظمة تجلياتها (النورسي، ٢٠١٧م، ٦٨)، وبذلك فإن المؤمن ليسمو بتكامل هاتين القراءتين جمعاً بينهما ليبلغ مقاماً في " مراقي الإيمان التحقيقي مرتبة عين اليقين وعندها يستطيع المرء أن يقرأ الكون فيها كالقرآن. (النورسي، ٢٠٠٦م، ٢٩٥).

هذه المزاوجة التقابلية التكاملية المتفردة في قراءة الكتابين تبدى على نحو شديد الجلاء والظهور على امتداد رسائل النور، فتتلمس انبساطاً للكثير من المفهومات والإدراكات التأملية من خلال آيات القرآن المعجز البيان، تقابلها تكاملاً مع المشاهدات العميقة في مرآتي الكون، وكثيراً ما نجد التفكير في الآيات الكونية بعمق العالم المتخصص في هذا العلم أو ذاك على نحو يثير الإدهاش، كما نراه مثلاً في تأملات الإمام النورسي في الكلمة الثلاثين حول الجسم الإنساني وما فيه من الأعصاب والخلايا وكريات الدم الحمراء. (النورسي، ٢٠١٢م، ٣٧٩).

تتجلى هذه الرؤية التقابلية حول المقابلة والمصاحبة في قراءة الكتابين وتدبرهما عندما ندرس فلسفة الأضداد في رسائل النور، إذ تجمع بين انكشافات الوحي وتأملات الكون، فجاءت فلسفة مشتملة أهم العناصر في إطار الرؤية الكلية حيال العالم والإنسان عند الإمام النورسي، بحيث يجد الباحث في رسائل النور أن استخلاص فلسفة الأضداد بما هي عليه من الجدة والعمق الفلسفي من خلال رسائل النور تمثل برهاناً وشاهداً على تفرد الآفاق الفلسفية في رسائل النور.

الثنائية الضدية بين عوالم السماء وعوالم الأرض:

يعمد الإمام النورسي إلى بناء رؤاه الفلسفية على أركان الإيمان، وفي سبيل المسعى الرئيس لرسائل النور الماثل في تجلية تلك الأركان وترسيخ الحقائق الإيمانية على نحو أخص فيما يلي الإيمان بأركان الملائكة والحشر والجزء؛ فإننا نلاحظ أن الإمام النورسي ينطلق ابتداءً من قاعدة المقابلة بين عوالم السماء وسكانها وأحوالهم ووظائفهم وتراتبيتهم من جهة، وعوالم الأرض وسكانها بكل طوائف موجوداتها من جمدت فيهم الحياة أو من وهبوا الروح والحياة فالشعور والوعي الجهة الأخرى.

وتترسخ تأملات الإمام النورسي في هذا الصدد إلى التأكيد والإقرار بأن ثمة ثنائية ضدية على مستوى الوجود، وهي ثنائية بين عوالم السماء والأرض، وهذه الثنائية الضدية بين عوالم الغيب وعوالم الشهادة تكاد تمثل القاعدة المحورية التي تأسس على هداها فلسفة الأضداد في رسائل النور، ومن ثم تشكّل مرتكزا هاما في رؤية الإمام النورسي للوجود والإنسان.

تُصدّر الكلمة الخامسة عشر من رسالة الكلمات بالآية الكريمة من سورة الملك: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ (الملك: ٥) وهكذا يمضي الإمام متأملاً هذه الآية الكريمة فيرى أن السماء مباينة للأرض في سكوتها وسكونها وانتظامها وسعتها ونورانياتها، فسكانها ليسوا سكان الأرض، فجميع أهااليها مطيعون يفعلون ما يؤمرون، ولا ينهض سبب يؤدي إلى المزاحمة والمشادة بينهم، إذ البلد واسع، وفطرتهم صافية، وهم معصومون ومقامهم ثابت". (النورسي، ٢٠١٢م، ٧٢).

هذا المعنى في انتظام عوالم السماء يستدعيه الإمام النورسي للخلوص إلى الحقيقة الإيمانية بأن الحكمة تستدعي وجود سكان مناسبين للسماوات كما هو الحال في الأرض، وتسمى هذه الأجناس

المختلفة على لسان الشرع بالملائكة والروحانيات". (النورسي، ٢٠١٢م، ٧٠) هنا نشير إلى أن الإمام النورسي يأتي على المقارنة بين ساكني السماوات من جهة وساكني الأرض من الجهة الأخرى، وهو على نحو مجرد فيه عوالم السماء من توارد الأضداد فيها، مع ملاحظة أنه على الرغم من ذلك يجعل فيه المركزية للأرض وساكنيها، وهو يشير إلى أن الخطاب القرآني دوماً يتوجه بذكر السماوات بهذا الجمع مقابل الأرض على نحو مفرد.

لعل المرء يلاحظ شدة الوضوح في كون ضدية عوالم السماوات من جهة، وعوالم الأرض من الجهة الثانية تظل ضدية ثنائية ضمن سمات العبودية لله وطبيعة الوظيفة والتكليف، فهي ثنائية بين عوالم المخلوقات وليس ثمة مجال لتعدد في مسألة الألوهية كما انتهت فلسفات الضدية التي انسلت من الزرادشتية كالضدية المانوية.

الأرض مجتمعة الأضداد والحكم من ذلك:

في مقابل عوالم السماء تقف الأرض التي أريد لساكنيها تحقيق مقصد الترقى عبر الابتلاء والاختبار والامتحان، ولذلك جاء تهيئة الأرض بحيث اجتمعت فيها الأضداد من كل ضرب ونوع من المادة والقيم، " فإذا أُمعن النظر في هذا الكون يظهر ويتراءى فيه عنصران اثنان - كالخير والشر، والحسن والقيبح، والنفع والضرر، والكمال والنقصان، والضياء والظلمة، والهداية والضلالة، والنور والنار، والإيمان والكفر، والطاعة والعصيان، والخوف والمحبة - قد امتدأ إلى كل الأطراف، وأرسلا جذورهما في كل الجهات، وتتصادم هذه الأضداد في هذا الكون بآثارها وثمارها، وتظهر عليها التغيرات والتبدلات دائماً، وتتحرك وتدور تروسها لتنتج محاصيل لعالم آخر وكأنها معمل ومصنع". (النورسي، ٢٠١٢م، ٢٩٨).

إذن وفق رسائل النور فإن الأرض قد أراد الخالق عز وجل لها أن تنطوي على الثنائية

الضدية وتقوم عليها، وهي ثنائية ضدية شاملة متضمنة تشخصات المادة وأضرب القيم المعنوية والأخلاقية، وأن الأصل في أحوال الأرض هو مبدأ التحول والتبدل والتغير الناشئ من تصادم هذه الأضداد وهي مبارزة ومصادمة، تنتهي إلى آثار وثمار هي ما تنتهي إليه إلى حال الترقى أو السقوط إلى أسفل.

يرى الإمام النورسي أن الخالق عز وجل أراد أن يكون هذا العالم على هذه الصورة من تراحم الأضداد واختلاطها من أجل حكمٍ كثيرةٍ دقيقة سامية جداً، فأراد تغير العالم وتحوله فخلط ومزج الأضداد بعضها مع بعض بحكمةٍ من أجل التحول والتغير وجعلها في صراع ومواجهة بعضها مع بعض، وجعل هذا الكون تابعاً لقانون التبدل والتغير ودستور التحول والتكامل مازجاً وخالطاً الأضرار بالمنافع، ومدخلاً الشرور في الخيرات، وجامعاً القبائح مع المحاسن". (النورسي، ٢٠١٢م، ٢٩٩).

يُنظر إلى هذا المعنى الراسخ في رسائل النور كونه يجيء إجابةً عن السؤال الفلسفي الوجودي العتيق الذي ظل مدار سؤال الفلسفة منذ بداياتها الأولى حيال ظواهر الثبات والتغير في الكون. فعند الإمام النورسي فإن الحق عز وجل مضت حكمته أن يجعل هذا الكون قائماً بقانون التبدل والتغير ودستور التحول والتكامل بمزج وخلط الأضداد بعضها ببعض". (النورسي، ٢٠١١م، ١٤٤).

الأبعاد الوجودية لفلسفة الأضداد:

عند دراسة النص النورسي فيما يلي تجلّية حقيقة المعنى الوجودي للأشياء والقيم نجد أن فلسفة الأضداد عند الإمام النورسي لا تنفصل عن إبراز الصلة العميقة بأسماء الحق عز وجل وتجلياتها وما تقتضيه من الظهور والفعالية، إذ يرى أن الله تعالى قسمين من الأسماء؛ جمالية وجلالية،

وهذه الأسماء الجمالية والجلالية تقتضي إظهار أحكامها بتجلياتٍ مخصوصة مستقلة، لذا فقد مزج الخالق ذو الجلال الأضداد في الكون بعضها ببعض، فجعلها في حالة مبارزة ذات حكم ومنافع.

هكذا جعل الأضداد يتعدى بعضها حدود بعضها الآخر، وأوجد اختلافاتٍ وتغيراتٍ، فصير الكون تابعاً لقانون التغير والتحول ودستور الترقى والتكامل، ومن أجل ذلك جعل قانون المبارزة بصورة أعجب من غيره في نوع الإنسان الذي هو ثمرة جامعة لشجرة الخلقة، وفتح أمامه باب المجاهدة التي هي مدار لجميع الترقيات الإنسانية، وزود حزب الشيطان ببعض الأجهزة حتى يتمكن من مبارزة حزب الله" (اللمعات، ٢٠٢١م، ١١٢).

وهكذا نجد أنه من المعاني الوجودية المتفردة والمؤسسة في آنٍ لفلسفة الأضداد عند الإمام النورسي تصور التقعيد الانطولوجي لحقيقة تعلق الأضداد بوجه من الوجود موسوم بالأسباب والعلل، فهو يصل مفهوم الأضداد بمعنى وجهيِّ الملك والملكوت، فالنورسي يرى أن لكل شيء في الكون جهتين:

أحدهما: جهة الملك، وهي كالوجه المطلي الملون للمرأة، ترده الأضداد والأسباب كلها قبيحها وحسنها وحقيرها وعظيمها هي في هذه الجهة، إذ حكمة إظهار القدرة وعزته تريد هكذا، أما الجهة الثانية جهة الملكوت، وهي كالوجه الشفاف الصقيل للمرأة، وهذه الجهة جميلة في كل شيء، حتى إن كلا من الحياة والروح والنور والوجود يخرج ملكاً وملكوتاً من يد القدرة مباشرة بلا واسطة إذ إن وجهيه شفافان (النورسي، ٢٠١٢م، ٤١٣).

إذن فعند الإمام النورسي فإن مكان عالم الملك الذي يشبه وجه المرأة المطلي هو ميدان تجوال الأضداد، ومحل ورود أمور كالحسن والقبح والخير والشر والصغر والكبر والصعوبة والسهولة" (النورسي، ٢٠١٢م، ٢٩١)، فوجه الملك هو الميدان الذي تتحقق فيه حقيقة التبدل والتغير وتعمل

فيه الأسباب الظاهرة والعلل، ونقرأ في هذا المعنى: "أما وجه الملكوت فهو نوراني نظيف وطاهر، لا يمكن أن تختلط به ألوان التشخيصات ومزخرفاتها، وهذا وجه متوجه إلى خالقه بلا واسطة، فلا يوجد فيه ترتيب الأسباب وتسلسل العلل، ولا يمكن أن يدخل فيه عليه ولا معلولية، ولا اعوجاج فيه ولا التواء، ولا تستطيع أن تتدخل الموانع فيه، وتصبح الذرة فيه أختاً للشمس" (النورسي، ٢٠١٢م، ٢٩١).

الأبعاد المعرفية والقيمية لفلسفة الأضداد:

إن ظهور مراتب الوجود لكل شيء وتدرجاته وفق رؤية الإمام النورسي تنشأ بتداخل أضداد ذلك الشيء، فمثلاً المراتب التي في الحرارة تظهر بتخلل البرودة فيها، والدرجات التي في الحسن تظهر بتداخل القبح فيها، وهكذا ففس، فتداخل الأضداد منه تولدت المراتب، ونشأت اختلافات العالم وتغيراته". (النورسي، ٢٠١٢م، ٢٩٠).

في رسالة (ذو الفقار) يأتي الإمام النورسي على ذات المعنى بأن "مراتب الشيء من حيث قوته وضعفه تظهر بتداخل الأضداد فيه، فمثلاً درجات الحرارة تظهر بتداخل البرودة، ومراتب الجمال تظهر بتداخل القبح، وطبقات الضياء تظهر بتداخل الظلام". (النورسي، ٢٠١٧م، ٤٠٧).

وفق هذا المعنى المتضمن في فلسفة الأضداد تنفتح تأملات الإمام النورسي على الإشارة للمعنى المعرفي مشيراً أن تحقق إدراك المعاني والأشياء إنما ينشأ من تداخل الأضداد.

وهذا المنظور المعرفي هو ما نلاحظه ماثلاً دلالة الإشارة القرآنية (هداية النجدين) التي هي عنوان الهداية الإلهية الفطرية التي وهبها الحق عز وجل للإنسان عامة وجُبل عليها، وذلك بعض المعاني الواردة ضمن طبقات المعنى في سورة البلد ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: ١٠).

النجدان عند طائفة من العلماء هما نجدا الخير والشر، أو الهداية والضلالة، وهكذا يمكن الإشارة على نحو أعم بأنهما يشيران إلى معنى الضدية والأضداد بحسبانها مرتكز الهداية الفطرية التي سبقت، ومن ثم يذهب الإمام النورسي إلى " أن تقابل الخير والشر واللذة والألم والضيء والظلام والحرارة والبرودة والحسن والقبح والهداية والضلالة، وتداخل كل زوج منهما بعضهما في بعض أدركت اللذة، ولا أهمية للضيء بدون الظلام، وبوجود البرودة تتحقق درجات الحرارة، وحقيقة واحدة للحسن تصبح ألف حقيقة بوجود القبح، وآلاف الأنواع من مراتبه تأتي إلى الوجود، وتبقى لذائد كثيرة للجنة مخفية بدون جهنم، وقياساً على هذا فإن كل شيء يُعرف بضده من جهة، وحقيقة واحدة تتسبب وتكون حقائق كثيرة". (النورسي، ٢٠٠٦ م، ٤٩-٥٠).

فلسفة الأضداد والترقي الإنساني:

يرى الإمام النورسي أن عماد وجود الإنسان في الأرض التي هي محل تجمع الأضداد هو حقيقة ابتلاء الترقّي الإنساني، ذلك " إن الحكيم الأزلي قد خلق هذه الدنيا بمقتضى العناية السرمدية والحكمة والإلهية لتكون محل اختبار، وميدان امتحان، ومرآة لأسماؤه الحسنی، وصحيفة لقلم قدرته". (النورسي، ٢٠١٢ م، ٢٩٨)، وعند تأمل هذه الحكمة يستبين المرء أن جوهر مقصد الامتحان والاختبار تتمثل في تحقيق الترقّي الإنساني وسموه، والبديهي أن كل اختبار وامتحان يكون مقتضاه ومداره التكليف والوظيفة.

بهذا فإن من لوازم ذلك التكليف والوظيفة ومتعلقاته ونتائجه أن يُهيأ الإنسان لذلك بمنحه ما يعينه على ذلك من القابليات والاستعدادات، فكان أن غدا الوجود ذو الماهية الجامعة " فإن جميع ترقّيات البشر المعنوية، وانسباط جميع استعدادات البشر وظهورها وانكشافها، وكون الماهية الإنسانية مرآة جامعة لجميع الأسماء الإلهية، كل ذلك من نتائج تلك الوظيفة". (النورسي، ٢٠١٣ م، ٤٤).

ينهض منظور الترقى الإنساني عند الإمام النورسي في المقابلة بين سكان السماوات من الملائكة والروحانيات الذين لهم مقام ثابت مطرد، أما الإنسان فقد اقتضت الحكمة الإلهية وجوده في دار التكليف، بحيث تنسجم مع استعداد الإنسان الذي سيقطع مقامات لا نهاية لها (النورسي، ٢٠١٣م، ٤٤)، مما يشير إلى أن الحق عز وجل أراد أن تكون عبودية الإنسان على نحو مختلف عن عبودية الملائكة والروحانيات.

في موضع آخر من الرسائل يقف الإمام النورسي متأملاً حول المعاني المتسلسلة من اقتضاء الحق عز وجل أن تكون الأرض هي محل اختبار وميدان امتحان، قائلاً: "أما الاختبار والامتحان فهما سبب النشوء والنمو، وأما ذلك النشوء والنمو فهما سبب انكشاف الاستعدادات، وأما ذلك الانكشاف فهو سبب لظهور القابليات، فهو سبب لظهور القابليات، وأما ظهور تلك القابليات فهو سبب لظهور الحقائق النسبية، وأما ظهور الحقائق النسبية فهو سبب لإظهار الصانع ذي الجلال نقوش تجليات أسمائه الحسنی، ولتحويله الكون إلى صورة مكتوبات صمدانية". (النورسي، ٢٠١٢م، ٢٩٨-٢٩٩).

في موضع آخر من الرسائل نجد الإمام النورسي تعميق لمعنى تفرد الكائن الإنساني وجامعيته، فنقرأ: "كما أن الحق تعالى يخلق بكمال قدرته من شيء واحد أشياء كثيرة ويجعله يؤدي كثيراً من الوظائف، ويكتب ألف كتاب في صفحة واحدة، كذلك فقد خلق الإنسان نوعاً جامعاً بدلاً من أنواع كثيرة، أي أراد أن ينجز بالإنسان الذي هو نوع واحد وظائف بقدر الدرجات المختلفة لجميع أنواع الحيوانات، ولم يضع قيداً فطرياً لقوى الإنسان ومشاعره، بل أطلقها، في حين أن قوى سائر الحيوانات ومشاعرها محدودة، وتحت قيد فطري، إلا أن كل قوة من قوى الإنسان تنصرف إلى نواحي غير متناهية وكأنها تجول في مسافة شاسعة لا حد لها، لأن الإنسان مرآة للتجليات غير المتناهية لأسماء خالق الكون، ولهذا فقد منحت قواه استعداداً لا نهاية له .." (النورسي،

٢٠١٣م، ١٩٦).

وهكذا فإن منتهى هذا التكليف والوظيفة والامتحان إما أن نشهد الترقى الإنساني وتساميه توافقاً مع سبق اختيار أفضل الموجودات من النوع الإنساني، وبذلك فتتصفي وتتصفي جواهر الأرواح السامية كالألماس من مواد الأرواح التي أسقطها الامتحان فغدت سافلة كالفحم.

فلسفة الأضداد والفلسفة الاجتماعية:

تحاجج رسائل النور أن فلسفة الأضداد التي تلونت بالفلسفة المادية كونها انتهت على الصعيد الاجتماعي أن جعلت الصراع دستوراً للحياة الاجتماعية، ومن ثم اتخذت من القوة نقطة استناد لها في الحياة الاجتماعية، ووسمت المنفعة والمصلحة هدفاً للحياة، وعمدت إلى أن جعلت الرابطة المجتمعية لا تتجاوز العنصرية والقومية، وكل هذا صبغ الحياة الاجتماعية بالتجاوز والتنازع والتصادم وتشجيع الهوى والنوازع النفسية، وبهذه الحال انتهى الأمر إلى ما يسميه الإمام النورسي مسخ الإنسان معنوياً. (النورسي، ٢٠١٣م، ٥١٦).

في مقابل ذلك فإن فلسفة الأضداد التي اهتدت بالشرعة المحمدية، فقد اتخذت الحق نقطة ارتكاز في الحياة الاجتماعية، ورامت الفضيلة غاية لا المصلحة، وعمدت إلى التوحد عبر رابطة الدين والوطن فلا عنصرية أو قومية، ووفق هذا اصطبغت الحياة الاجتماعية بالعدالة والتوازن، والمحبة والتجاذب، والأخوة والمسالمة الخالصة الصادقة (النورسي، ٢٠١٣م، ٥١٦).

إذن فإن فلسفة الأضداد عند النورسي وهي تستند إلى الحقائق الإيمانية فترى الكون بحسبانه صنعة إلهية ذات شعور ورحمة، وصبغة رحمانية تُظهر القدرة الإلهية الحكيمة ذات العناية الشاملة، بدلا من القوة العمياء، وتعلو معاني الحق والعدالة لا القوة والصراع في حياة الأفراد والمجتمعات على السواء، فغاية الإنسانية وفق فلسفة النورسي ووظيفة البشرية هي التحلي بالأخلاق

الإلهية، وهكذا فإن من خلاصات فلسفة الأضداد في الحياة الاجتماعية أنها تجافت عن مبدأ الصراع في الحياة الاجتماعية، وأقاموا الحياة الاجتماعية على مبادئ التعاون والكرم والإكرام. (النورسي، ٢٠١٢م، ٣١٣).

مفهوم تصفية الأضداد:

التأمل في رسائل النور على نحو أخص الكلمة التاسعة والعشرين من رسالة الكلمات يتلمس حضور المعنى المتفرد المتمثل في مفهوم تصفية الأضداد بحسابه يتجلى معبراً عن واحدٍ من تفردات فلسفة الأضداد في النص النورسي، وذلك من خلال الوصل بين مفهوم الأضداد وانقضاء وظيفة التكليف والخلوص إلى اليوم الآخر حيث تتصفى الأضداد، إذ يرى النورسي بما أن الله تعالى جعل الأرض مجتمعاً للأضداد من أجل أن تنتهي لتكون محلاً للاختبار والامتحان من خلال التوظيف والتكليف للإنسان، فإنه: " إذا انفض مجلس الامتحان وانتهي زمن الاختبار، وأدت الموجودات وظائفها، فكان لا بد من انكشاف نتائج ذلك الامتحان، وتحقيق فوائد وظائف المخلوقات، وأجور خدمات المخلوقات، وعندها فإن الحكمة الإلهية أرادت تصفية تلك الأضداد لإنقاذ الكون من فوضى التغير والفناء والتحول والزوال، ولجعله أبدياً خالداً، كما أراد تفريق أسباب التغير ومواد الاختلاف، وبذلك جاءت القيامة من أجل تلك التصفية، وستخذ عندها جهنم صورة أبدية هائلة مروعة مخيفة، وتلبس الجنة صورة أبدية في غاية الروعة والجمال ". (النورسي، ٢٠١٢م، ٣٠٠)، وفي موضع آخر نقرأ: " وأعلم أن الخالق جلت قدرته مزج الأضداد في عالم الكون والفساد لحكم دقيقة، ووضع أسباباً ظاهرة ووسائط إظهاراً لعزته، فترتبت سلسلة العلل والمعلولات، ثم لما تصفت الكائنات وتميزت وتحزبت في الحشر ارتفعت الأسباب، وأسقطت الوسائط فارتفع الحجاب وكُشف الغطاء، فيرى كل صانعه ويعرف مالكة الحقيقي ". (النورسي، ٢٠١٠م، ٢٤١).

إذن فإن طبيعة التبدل والتحول الملازمة لهذا الكون ستتلاشى في الآخرة، فليس ثمة انحلال

أو تغير أو زوال، لأنه لا توجد أسباب التغير المؤدية للانقراض، حيث ستكون حالة الأبد والثبات هي الحادثة سواء حين تلبس الجنة صورة أبدية في غاية الروعة والجمال، أو حين تتخذ جهنم صورة أبدية مروعة مخيفة. (النورسي، ٢٠١٢م، ٣٠٠-٣٠١).

وعند النورسي فإن الجنة وجهنم تظلان نتيجتان لتسلسل الأضداد في الكون، وهما مخزان لسيل الشئون والمحصولات المعنوية للأرض وهما حوضان للموجودات السيالة المتموجة الجارية نحو الأبد". (النورسي، ٢٠١٣م، ٧).

وفي موضع آخر يعطي الإمام النورسي صورة مذهشة لتصفية الأضداد، حيث يشير إلى: "أن هذه الموجودات المختلطة تسيل وتمضي من الدار الفانية إلى دار البقاء، وكما أن أشياء كالخير واللذة والضياء والحسن والجمال والإيمان تسيل إلى الجنة، وكذلك المواد المضرة كالشر والألم والظلمة والكفر تسيل إلى جهنم، فلا شك أن سيول هذا الكون الهائج المتماوج دائماً تنصب في ذلكما الحوضين فتتوقف هناك". (النورسي، ٢٠٠٦م، ٥٠)

خلاصة فلسفة الأضداد عند النورسي:

اهتمت رسائل النور بتقديم أطروحة حول فلسفة الأضداد وفق منهجها في المزاوجة التقابلية المتكاملة بين قراءة آيات الله التكوينية في كتابي الكون الكبير وقراءة آيات القرآن الكريم، وعلى نحو جذري يعمد الإمام النورسي إلى بناء رؤاه الفلسفية على أركان الإيمان والحقائق الإيمانية. تفردت فلسفة النورسي في الأضداد إذ جاءت عميقة ومتناسكة تضمنت طائفة من المفهومات ذات الجدة، شملت التأسيس على مفهوم الثنائية الضدية بين الغيب والشهادة، بما ينطوي عليه من سمات العبودية لله الحق من خلال تجلية ماهية الوظيفة والتكليف، فكانت السمة الرئيسة لفلسفة الأضداد عنده أنها ثنائية بين عوالم المخلوقات والمعاني، وليست بحال منحى لتعدد في مسألة الألوهية كما

انتهت بعض الفلسفات الضدية.

تميزت فلسفة النورسي حول الأضداد بتجذر فكرة أن الأرض هي مجتمع الأضداد بما يتضمن ثنائية ضدية شاملة لكل تشخصات المادة وأضرب القيم المعنوية والأخلاقية، وجعل هذا موصولاً بمغزى الترقى الإنساني الموصول بالوظيفة والتكليف عبر الامتحان والاختبار، ومن ثم طغى أثرها مرسله جذورها المتصادمة في أرجاء الكون بآثارها وثمارها، وتصبغ الكون بتوالي التغيرات والتبدلات دائماً، وتتحرك وتدور تروسها لتنتج محاصيل العالم الآخر.

تتجلي في فلسفة الأضداد عند الإمام النورسي وضوح الاتصال بين فلسفة الأضداد والمعاد الأخروي، ويتعمق ذلك بأكثر من وجه هذا الأمر عند تأمل مفهوم تصفية الأضداد، حيث نشهد الخلاص من سمة التبدل والتحول الملازمة لهذا الكون بتلاشيها في الآخرة، إذ ليس ثمة انحلال أو تغير أو زوال، بل ستكون حالة الأبد والثبات هي الحادثة سواء حين تلبس الجنة صورة أبدية في غاية الروعة والجمال، أو حين تتخذ جهنم صورة أبدية مروعة مخيفة.

ويبرز مفهوم الجنة وجهنم باعتبارهما نتيجتين لتسلسل الأضداد في الكون، فهما وفق النص النورسي مخزان لسيل الشئون والمحصولات المعنوية للأرض، أو هما حوضان للموجودات السيالة المتموجة الجارية باتجاهها من دار الفناء حول الأبد.

من زاوية أخرى للنظر تتصل فلسفة الأضداد بالبعد الوجود للأشياء والقيم إذ تبرز على نحو متفرد الصلة العميقة بأسماء الحق عز وجل وتجلياتها وما تقتضيه من الظهور والفعالية، مما يخلص بنا إلى إدراك التأسيس الانطولوجي لحقيقة تعلق الأضداد وتعلقها بوجه من الوجود برؤية النورسي حول حقيقة الأسباب والعلل، ومعرفياً فإن الأبعاد المعرفية والقيمية لفلسفة الأضداد تتحقق عند النورسي وفق الحقيقة الماثلة في أن ظهور مراتب الوجود وتدرجاته إنما تنشأ بتداخل

الأضداد.

لم تتفق رسائل النور مع فلسفات الأضداد ذات الأصول المادية على نحو خاص تمثلاتها على الواقع الاجتماعي، إذ جعلت أعمدة وقوام حياة المجتمع هي القوة والصراع والمنفعة والعصبية، وبذلك اضطبغت الحياة الاجتماعية بالتجاوز والتنازع والتصادم وتشجيع الهوى والنوازع النفسية، وكان أن انتهى كل ذلك بالفرد إلى حالة وسمها النورسي كونها مسخ الإنسان معنوياً.

في مقابل ذلك التصور المادي للحياة الاجتماعية برزت رؤية النورسي للحياة الاجتماعية المستندة إلى معاني وأسس الحق والتعاون والفضيلة والوحدة عبر رابطة الدين والوطن، وبذلك اضطبغت الحياة الاجتماعية بالعدالة والتوازن، والمحبة والتجاذب، والأخوة والمسالمة الخالصة الصادقة.

وفق هذا السياق المتأمل في رسائل النور يخلص المرء إلى القول بتفرد أطروحة النورسي حيال فلسفة الأضداد ضمن رؤيته الكلية للعالم ومنزلة الإنسان الوجودية فيه، حيث تميزت فلسفته بقدر عالٍ من الجدة والوضوح والترابط على السواء، وبذلك نستطيع الخلوص إلى الشراء والتفرد الفلسفي للنص النورسي.

الخاتمة:

ارتكزت فلسفة الأضداد عند زرادشت على إيمان بالله تعالى والنبوة والبعث والقيامة، فجاءت فلسفة الأضداد على أساس مبدأ تعميم الخير وإبادة الشر، وترسخ لديه أن أهم الوسائل الضرورية لتحقيق الخير متمثل في تقوية النوع البشري وعمارة الأرض، وبذلك خلصت ثنائية الضد عند زرادشت إلى تعضيد فكرة الأخلاق الفاضلة.

تلاحقت تحولات فكرية عميقة في تعاليم زرادشت من بعده، وكانت المانوية أعظم تلك التحولات حيث انقلبت إلى ثنوية إلهية، فأقرت وجود قوتين أزلتين بينهما صراع أبدي لا خلاص منه إلا بقاء العالم، ومن ثم اضطبغت فلسفة الأضداد المانوية على الضعف واليأس والتشاؤم والانزواء وحرمان من لذات الحياة المباحة، ونادت بأن التخلص من الشر أمر مستحيل، وأن استمرار العالم في الحياة معناه استمرار الشر، وأن الوسيلة الوحيدة للقضاء على هذا الشر هي تدمير هذا العالم.

استندت فلسفة الأضداد عند هراقليطس على تصور مادي محض للوجود أساسه مبدأ توتر الأضداد بحسابه معطى وجودي جوهري، ومن ثم جاءت فلسفة الأضداد عنده ثلاثية في مرتكزاتها، متضمنة الائتلاف، فالسيلان أو التغير المتصل، ثم الصراع، ووطدت فلسفة هراقليطس آثارها الضخمة على الفكر الغربي المادي في كافة حقول الفلسفة الوجودية والمعرفية والقيمية والاجتماعية، فاسمّت بالنزوع والحضور الطاغي لمبادئ القوة والصراع والنسبية المطلقة.

تلاقت فلسفة الأضداد عند كل من زرادشت والنورسي في انطلاقتها من قاعدة إيمانية راسخة بالإقرار بالخالق البارئ الأحد الموصوف بكل الصفات الأسمى، وبالإيمان بالنبوة والبعث والجزاء، فكان أن تشابهت فلسفتيهما بحضور البعد الأخلاقي والروح المتفائلة تجاه الحياة الاجتماعية والدعوة لإعمار الأرض وإعمارها وفق قيم الخير.

تأسست فلسفة الأضداد عند النورسي على الأركان الإيمانية، وعمد إلى نسج مفهومات ممتدة في ثنايا حقول الفلسفة المختلفة شاملة الانطولوجيا ونظرية المعرفة والقيم المجتمع، ليعبر في كل ذلك عن فلسفة في الأضداد تفردت بتعميق الرؤى الفلسفية واتصال بعضها بعض، فكان أن وقفنا بين يدي أطروحة فلسفية ذات جدة وشمول وثراء.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- إيجي، عبد الرحمن بن أحمد. **المواقف في علم الكلام**، بيروت، عالم الكتب، د.ت.
- بارندر، جفري. **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، الكويت، سلسلة عالم المعرفة ١٧٣، ط١، ١٩٩٣ م.
- بدوي، عبد الرحمن. **الموسوعة الفلسفية**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٤ م.
- دراز، محمد عبد الله. **الدين - بحوث ممهدة لتاريخ الأديان**، بيروت، دار القلم، د.ت.
- دليل أكسفورد، تحرير تد هوندرتش، ترجمة نجيب الحصادي، طرابلس، المكتب الوطني للبحث والتطوير، د.ت.
- دي بور. **تاريخ الفلسفة الإسلامية**، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، بيروت، دار النهضة العربية، ط٥، ١٩٨١ م.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. **الأربعين في أصول الدين**، تحقيق أحمد حجازي السقا، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م.
- ابن رشد. **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الأمة**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٨ م.
- روبرت م. أغروس، وآخرون. **العلم في منظوره الجديد**، ترجمة كمال خلايلي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٣٤، فبراير ١٩٨٩ م.
- سايفرت، يوسف. **البرهان الفينومينولوجي الواقعي على وجود الله**، ترجمة حيد لشهب، بيروت، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٠ م.

- ستيس، ولتر. تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.
- الشنتناوي، أحمد. الحكماء الثلاثة، مصر، دار المعارف، د.ت.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. الملل والنحل، تحقيق أحمد فهمي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٩٢م.
- العقاد، عباس محمود. الله، بيروت، مؤسسة هنداوي، ط ١، ٢٠١٧م.
- عليان، رشدي وسعدون الساموك. الأديان دراسة تاريخية مقارنة، جامعة بغداد، ط ١، ١٩٧٦.
- الغزالي، أبو حامد. الحكمة في مخلوقات الله، تحقيق محمد رشيد قباني، بيروت، دار إحياء العلوم، ط ١، ١٩٧٨م.
- غلاب، محمد. الفلسفة الشرقية، القاهرة، ط ١، ١٩٣٨م.
- فودة، سعيد عبد اللطيف. الأدلة العقلية على وجود الله بين المتكلمين والفلاسفة، منشورات الأصيلين، ط ١، ٢٠١٦م.
- قرني، عزت. الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، الكويت، جامعة الكويت، ط ١، ١٩٩٣م.
- كندي. رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريده، القاهرة، دار الفكر العربي، ط ١، ١٩٥٠م.
- كوبلستون، فردريك. تاريخ الفلسفة، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، ٢٠٠٢م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط ١، ١٩٨٣م.

- مطر، أميرة حلمي. الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، القاهرة، دار قباء للنشر والتوزيع، ١٩٩٨ م.
- النشار، على سامي. نشأة الدين-النظريات التطورية والمؤهلة، القاهرة، مكتبة الخانجي، د.ت.
- النشار، مصطفى حسن. الفلسفة الشرقية القديمة، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢ م.
- النورسي، بديع الزمان:

- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، مركز الترجمة والبحوث العلمية، القاهرة، دار السنابل الذهبية للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٠ م.
- ذو الفقار، مركز الترجمة والبحوث العلمية، القاهرة، دار السنابل الذهبية، ط٢، ٢٠١٧ م.
- الطلاسم، القاهرة، دار السنابل الذهبية، ط١، ٢٠١١ م.
- عصا موسى، مركز الترجمة والبحوث العلمية، القاهرة، دار السنابل الذهبية، ط١، ٢٠٠٦ م.
- الكلمات، مركز الترجمة والبحوث العلمية، القاهرة، دار السنابل الذهبية، ط٢، ٢٠١٢ م.
- اللمعات، مركز الترجمة والبحوث العلمية، القاهرة، دار السنابل الذهبية، ط٢، ٢٠٢١ م.
- المثنوي العربي النوري، مركز الترجمة والبحوث العلمية، القاهرة، دار السنابل الذهبية، ط٢، ٢٠١٢ م.

- المكتوبات، مركز الترجمة والبحوث العلمية، القاهرة، دار السنابل الذهبية، ط١،
٢٠١٣ م.

- وهبة، مراد وآخرون. المعجم الفلسفي، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، ط٢، ١٩٧١ م،

الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا

د. أحمد عبد المنعم محمد أحمد – قسم علم النفس – كلية الآداب – جامعة الخرطوم

أ. عبد الله يوسف عبد الله أبو شوك – وزارة التنمية الاجتماعية ولاية الخرطوم

المستخلص

هدفت الدراسة إلى التعرف على الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا تبعاً لمتغيرات النوع، درجة الإعاقة، الفئة العمرية، المستوى التعليمي. تم استخدام المنهج الوصفي، وتم جمع البيانات بواسطة مقياس الصمود النفسي من إعداد (Conner-Davidson) عام (٢٠٠٥)، ترجمة وتقيين (عبدالعزیز موسى) عام (٢٠١٤)، بلغت حجم العينة (٢٥٠) عضواً من اتحاد المكفوفين، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية البسيطة، وتم معالجة البيانات بواسطة برنامج (SPSS)، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج: يتسم الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا بالارتفاع عند مستوى الدلالة ٠,٠١، توجد فروق دالة في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب النوع لصالح الذكور عند مستوى الدلالة ٠,٠١، توجد فروق دالة في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب درجة الإعاقة لصالح الكفيف جزئياً عند مستوى الدلالة ٠,٠٥، توجد فروق الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب العمر لصالح الفئة العمرية ٤٥ سنة فأكثر، ثم الفئة العمرية ٣٥ إلى ٤٤ سنة عند مستوى دلالة ٠,٠١، لا توجد فروق الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب المستوى التعليمي عند مستوى دلالة ٠,٠٥. أوصت الدراسة بتعزيز الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية من خلال برامج إرشادية وإدماج مهارات الصمود ضمن خطط التأهيل والتعليم.

الكلمات المفتاحية: الصمود النفسي، الإعاقة البصرية، المكفوفون، مدينة كسلا، الفروق الفردية، التأهيل النفسي

Abstract

The study aimed to identify the level of psychological resilience among individuals with visual impairments in Kassala City, according to the variables of gender, degree of impairment, age group, and educational level. The descriptive method was employed, and data were collected using the Psychological Resilience Scale developed by Conner and Davidson (2005), translated and standardized by Abdelaziz Musa (2014). The sample consisted of 250 members of the Blind Union, selected through simple random sampling. Data were analyzed using the SPSS program. The study reached several findings: Psychological resilience among individuals with visual impairments in Kassala City was found to be high at the 0.01 significance level. There were statistically significant differences in psychological resilience according to gender, in favor of males, at the 0.01 significance level. There were also significant differences in psychological resilience according to the degree of impairment, in favor of those with partial visual impairment, at the 0.05 significance level. Additionally, significant differences were found according to age group, in favor of those aged 45 years and above, followed by those aged 35–44 years, at the 0.01 significance level. However, no significant differences were found in psychological resilience according to educational level at the 0.05 significance level. Key recommendation: Enhance psychological resilience through targeted, , and integrate resilience skills into rehabilitation and educational plans.

Keywords: Psychological Resilience, Visual Impairment, Blind Individuals, Kassala City, Individual Differences, Psychological Rehabilitation.

مقدمة:

تُعَدُّ الإعاقة البصرية من أكثر الإعاقات تأثيرًا على التكيف النفسي والاجتماعي للفرد، إذ تحدُّ من قدرته على التفاعل المباشر مع البيئة المحيطة، مما قد يؤثر في إدراكه للعالم، وفي شعوره بالاستقلالية والقدرة على الإنجاز (الشمري، ٢٠١٩)، ورغم ما تفرضه هذه الإعاقة من قيود، إلا أن كثيرًا من الأفراد المكفوفين يُظهرون قدرة ملحوظة على مواجهة التحديات، وتحقيق التوازن النفسي والاجتماعي، وهي السمة التي يُشار إليها في الأدبيات النفسية بمفهوم الصمود النفسي (Connor & Davidson, 2003).

إن الكشف عن الآليات النفسية والاجتماعية التي تمكن هذه فئة المعاقين بصرياً من التكيف مع واقعهم، والاعتماد على قدراتهم الخاصة، ومصادر دعمهم الاجتماعي لمواجهة تحديات الحياة اليومية؛ يعد من أوليات الاهتمام بهذه الفئة (عبد اللطيف، ٢٠٢٠). كما أن فهم طبيعة الصمود النفسي يساهم في تطوير برامج إرشادية وتربوية تستهدف تعزيز الصحة النفسية والاستقلالية لدى المكفوفين، بما ينعكس إيجاباً على جودة حياتهم ومشاركتهم المجتمعية. وفي ظل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الراهنة بمدينة كسلا، وما يواجهه ذوو الإعاقة البصرية من تحديات متعددة تتعلق بضعف الخدمات المساندة، وفرص التعليم والعمل؛ تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على مستوى الصمود النفسي لدى عينة من ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا، محاولة التعرف على العوامل التي تساهم في بنائه وتعزيزه، بما يدعم جهود المختصين والمؤسسات المعنية في مجال الرعاية النفسية والاجتماعية لهذه الفئة.

مشكلة البحث:

يواجه ذوو الإعاقة البصرية تحديات نفسية واجتماعية متعددة تؤثر في قدرتهم على التكيف مع متطلبات الحياة، نظرًا لما يرافق فقدان البصر من صعوبات في الاعتماد على الذات والشعور

بالعجز والحرمان من بعض أوجه التفاعل الاجتماعي (عبد الرحمن، ٢٠٢٠)، كما أن بعضهم يُظهر قدرة لافتة على مواجهة الضغوط وتحقيق التوازن النفسي، وهو ما يعكس مستوى من الصمود النفسي الذي يُعدُّ من المفاهيم الحديثة في علم النفس الإيجابي، ويركّز على قدرة الفرد على التكيف الإيجابي مع الأزمات ومقاومة الآثار السلبية للضغوط (Masten, 2014؛ Seligman & Csikszentmihalyi, 2000). ونظرًا لندرة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع في البيئة السودانية، تحاول مشكلة هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ١/ ما السمة العامة للصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا؟
- ٢/ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب النوع؟
- ٣/ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب العمر؟
- ٤/ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب المستوى التعليمي؟
- ٥/ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب درجة الإعاقة البصرية؟

أهمية البحث:

أولاً: الأهمية النظرية

- ١/ تساهم الدراسة في توسيع الفهم العلمي لمفهوم الصمود النفسي، وتطبيقاته لدى فئة ذوي الإعاقة البصرية.

٢/ تساعد على التعرف على العوامل النفسية والاجتماعية المؤثرة في الصمود النفسي، وربطها بالمتغيرات الديموغرافية.

٣/ تدعم الأدبيات النفسية المحلية بالدراسات التي تركز على فئة ذوي الإعاقة البصرية في السياق السوداني.

٤/ توفر قاعدة علمية لمقارنة نتائج الدراسات المستقبلية حول الصمود النفسي لدى فئات مختلفة من ذوي الإعاقة.

ثانياً: الأهمية التطبيقية

١/ تساعد نتائج الدراسة في تصميم برامج إرشادية ونفسية؛ لتعزيز الصمود النفسي لدى المكفوفين.

٢/ تمكّن المؤسسات التعليمية والاجتماعية من تطوير استراتيجيات دعم فعّالة لهذه الفئة.

٣/ رفع مستوى الوعي المجتمعي حول التحديات النفسية والاجتماعية التي يواجهها ذوو الإعاقة البصرية.

٤/ تقدم توصيات عملية لصانعي السياسات والمختصين في الصحة النفسية؛ لتعزيز التكيف والمرونة النفسية لدى ذوي الإعاقة البصرية.

أهداف البحث:

تهدف هذه الورقة إلى:

١/ التعرف على السمة العامة للصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا.

٢/ الكشف عن الفروق في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب النوع.

٣/ التعرف على الفروق في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب العمر.

٤/ توضيح الفروق في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب المستوى التعليمي.

٥/ معرفة الفروق في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب درجة الإعاقة.

فروض البحث:

- ١/ يتسم الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا بالانخفاض.
- ٢/ توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب النوع.
- ٣/ توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب العمر.
- ٤/ توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب المستوى التعليمي.
- ٥/ توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب درجة الإعاقة.

حدود البحث:

تمثلت الحدود المكانية في المكفوفين بصرياً باتحاد المكفوفين بمدينة كسلا. أما الحدود الزمانية فقد أجريت الدراسة خلال الفترة من ١٥ أكتوبر ٢٠٢٥ م وحتى ١٠ ديسمبر ٢٠٢٥ م.

مصطلحات البحث:

الصمود النفسي:

هو عملية التكيف الجيد مع الشدائد أو الصدمات أو مصادر الضغط الكبيرة مثل المآسي أو المشكلات الأسرية أو الصحية أو الضغوط المهنية. (APA, 2020).

التعريف الإجرائي:

يقصد بالصمود النفسي الدرجة التي يحصل عليها الفرد من ذوي الإعاقة البصرية في مقياس الصمود النفسي المستخدم في الدراسة، والتي تعكس قدرته على التكيف الإيجابي ومواجهة ضغوط الحياة المرتبطة بالإعاقة والبيئة المحيطة.

ذوي الإعاقة البصرية:

يُعرّف ذوو الإعاقة البصرية بأنهم الأفراد الذين يعانون من اضطراب في استقبال المعلومات البصرية، مما يؤثر على تكوينهم المعرفي والنفسي والاجتماعي، ويستدعي تكيفاً خاصاً في البيئة التعليمية والاجتماعية (عبد الحميد، ٢٠٢٠).

التعريف الإجرائي:

يقصد بذوي الإعاقة البصرية الأفراد المسجلين لدى اتحاد المكفوفين، أو المدارس الخاصة بالمكفوفين بمدينة كسلا، ممن لديهم فقدان كلي أو جزئي في البصر ويشملهم مجتمع الدراسة.

الإطار النظري والمفاهيمي

تعريف الصمود النفسي:

يُعرّف الصمود النفسي بأنه القوة التي تمكّن الفرد من تجاوز التحديات والقدرة على النهوض بعد العثرات لتحقيق النمو والكفاءة، ويُنظر إليه بوصفه منظومة متكاملة تجمع بين الصلابة والمرونة والدافعية والقدرة على الوقاية الذاتية والاجتماعية (بدرية وبسمة، ٢٠٢٢)، يشير القدرة الداخلية والخارجية للفرد على التكيف مع الخبرات الصعبة، واستثمارها في عملية النمو والتطوير بدلاً من الاقتصار على العودة إلى الحالة السابقة، أي أنه مفهوم يتجاوز المرونة إلى النمو بعد الشدائد (بزوييري، ٢٠٢٢)، يمثل بنية ديناميكية مرنة تتيح للفرد الحفاظ على اتجاهاته نحو الأهداف الشخصية واستعادتها رغم الشدائد، من خلال استثمار النمو الشخصي وتفعيل التكيف المستمر (Vella & Pai, 2019)، هو نتيجة إيجابية للتكيف مع ظروف الحياة الصعبة، التي تتضمن المرونة في التفكير، وتنظيم العواطف، والقدرة على التعافي بعد الأزمات. (Southwick et al., 2014).

النظريات المفسرة للصمود النفسي

أولاً: نظرية ساكفيتين وآخرين (١٩٩٨) - نموذج التنمية الذاتية البنائية (CSDT)

قدمت كاثير ساكفيتين وزملاؤها نموذج التنمية الذاتية البنائية (CSDT) بوصفه إطاراً يفسّر التأثيرات العميقة للصدمات النفسية المعقدة والممتدة، ويركز على كيفية تغيير بنية الذات والمعنى الشخصي نتيجة التعرض للصدمة. (Foreman, Rankin, & Walsh, 2020) وترى النظرية أن استجابات الصدمة ليست اضطرابات مرضية، بل محاولات تكيف لحماية الذات والبقاء النفسي. كما تؤكد أن فهم الصدمة يتطلب النظر إلى التجربة الذاتية للفرد وسياقه الاجتماعي والثقافي (Cohen & Collens, 2013).

وترتكز النظرية على منظور نمائي معرفي-اجتماعي يفترض أن استجابة الفرد للصدمة تتشكل عبر المرحلة العمرية، التكوين البيولوجي والنفسي، والخبرات البيئشخصية السابقة، إضافة إلى الافتراضات الثقافية التي يحملها الفرد عن ذاته والعالم.(Brockhouse et al., 2011)

وتفسر النظرية الصمود من خلال خمسة مجالات رئيسية للذات تتأثر بالصدمة، ويمكن إعادة بنائها لتعزيز التكيف الإيجابي، وتشمل:

- ١/ الإطار المرجعي: أي منظومة المعنى التي يستخدمها الفرد لفهم الذات والعالم.
- ٢/ القدرات الذاتية: مثل الاندماج الانفعالي والقدرة على التواصل وتنظيم المشاعر.
- ٣/ الموارد النفسية الداخلية: كمراقبة الذات وتلبية الحاجات بطريقة فعّالة.
- ٤/ الحاجات النفسية الأساسية: وتشمل السلامة والثقة والسيطرة والاحترام والعلاقة الحميمة.
- ٥/ الإدراك الحسي والذاكرة: وهي الجوانب البيولوجية والحسية المرتبطة بالاستجابة للصدمة.

وبذلك يفهم الصمود النفسي—وفق CSDT— بأنه نمو للذات المتضررة وإعادة بنائها عبر إعادة تنظيم هذه المجالات الخمسة واستعادة التوازن والانخراط الصحي بعد الصدمة (Brockhouse et al., 2011).

ثانياً: نظرية سونيا لوثار (٢٠٠٠) في الصمود النفسي

قدّمت سونيا لوثار وزملاؤها إطاراً ديناميكياً لفهم الصمود النفسي بوصفه عملية مستمرة تتغير تبعاً للظروف والسياقات، وليس سمة ثابتة لدى الفرد. (Luthar et al., 2000) ويُعرّف الصمود في هذه النظرية بأنه التكيف الإيجابي رغم التعرض للشدائد، مع تأكيد الدور التفاعلي لعوامل الخطر والحماية، حيث تعمل العوامل الوقائية على تعديل أثر الخطر وليس إلغاؤه (Weaver,

(2009).

وتشير النظرية إلى أن الصمود متعدد الأبعاد، إذ قد يظهر في مجال معين دون الآخر، مثل التفوق الأكاديمي رغم ضعف الصحة النفسية. (Shean, 2015) كما تستند إلى نموذج العوامل التفاعلية، حيث يمكن أن تنبع عوامل الحماية من الفرد (كالذكاء وتقدير الذات)، أو من الأسرة (الدعم والاستقرار)، أو من المدرسة والمجتمع (المساندة والعلاقات الإيجابية). في المقابل، تشمل عوامل الخطر عناصر داخلية وأسرية وبيئية مثل الاضطرابات النفسية أو الفقر. (Weaver, 2009)

ويفسّر الصمود من خلال التفاعل بين الحماية والخطر، ومرونة التكيف عبر المجالات، وأهمية الآليات النفسية التي تشرح كيف تؤثر هذه العوامل في النتائج. كما تشدد لوثار على دور السياق الاجتماعي والثقافي في تشكيل معايير الصمود وعملياته (Luthar et al., 2000; Shean, 2015).

ثالثاً: نظرية ريتشاردسون (٢٠٠٢) في الصمود النفسي

يقدم ريتشاردسون (٢٠٠٢) نموذجاً ديناميكياً حديثاً للصمود النفسي يقوم على أن الصمود قوة داخلية قابلة للنمو تعمل على استعادة التوازن الذاتي والتكيف الإبداعي في مواجهة التحديات. ويؤكد النموذج أن تفعيل الصمود يتطلب توافر مصادر داخلية مثل احترام الذات والمهارات الاجتماعية، إضافة إلى دعم خارجي من الأسرة والمجتمع. (Brockhouse et al., 2011)

وترتكز النظرية على ثلاث موجات من تطور بحوث الصمود:

- ١ / الموجة الأولى: التركيز على تحديد خصائص الأفراد الصامدين.
- ٢ / الموجة الثانية: فهم العمليات التفاعلية بين عوامل الحماية والخطر.

٣/ الموجة الثالثة: تعزيز الصمود وتنميته عبر بناء القدرات النفسية والروحية والاجتماعية (Brockhouse et al., 2011).

ويفسّر النموذج الصمود باعتباره عملية إعادة تكامل (Reintegration) تحدث بعد الضغوط، وقد تسفر عن أربعة مخرجات:

١/ إعادة تكامل إيجابية مع نمو أعلى في المرونة.

٢/ العودة إلى خط الأساس.

٣/ إعادة تكامل مختلفة.

٤/ الانهيار أو الانسحاب. (Cohen & Collens, 2013)

ويسعى النموذج إلى تمكين الفرد من تحقيق تكامل نفسي وروحي واجتماعي يرفع قدرته على مواجهة الصعوبات الحياتية بفعالية أكبر.

رابعاً: نظرية العوامل الوقائية وعوامل الخطر في تفسير الصمود النفسي

تُعد نظرية العوامل الوقائية وعوامل الخطر من أكثر النماذج استخداماً في تفسير الصمود النفسي، حيث ترى أن الصمود ليس صفة داخلية ثابتة، بل حصيلة تفاعل ديناميكي بين عوامل تحمي الفرد وعوامل تهدده. (Cutuli & Masten, 2009) وتشير النظرية إلى أن عوامل الوقاية لا تُظهر تأثيرها إلا عند التعرض للشدائد، بينما لا تؤدي عوامل الخطر بالضرورة إلى نتائج سلبية إلا في غياب الوقاية أو ضعفها.

وتشمل عوامل الوقاية مجموعة من الخصائص والظروف التي تخفف أثر الشدائد، مثل الدعم الاجتماعي، الكفاءة الذاتية، مهارات التنظيم الذاتي، المرونة المعرفية، الدافع للإنجاز، والالتزام الاجتماعي والثقافي. في المقابل، تتضمن عوامل الخطر ظروفاً تزيد احتمالية الاضطراب مثل الفقر،

العنف الأسري، التفكك العائلي، الفشل الأكاديمي، العزلة الاجتماعية، والاضطرابات النفسية في البيئة القريبة. (Cutuli & Masten, 2009)

ويحدث الصمود حين تفوق عوامل الوقاية عوامل الخطر، ويتمكن الفرد من تفعيل أدوات داخلية وخارجية للمواجهة، مثل مهارات حل المشكلات، الثقة بالنفس، أو وجود شبكة دعم فعالة. وبذلك، يُفهم الصمود في هذا النموذج بوصفه نتيجة متغيرة تعتمد على نوع الأزمة والسياق، وليس حالة ثابتة أو نمطاً واحداً لدى جميع الأفراد.

خامساً: التحليل النفسي في تفسير الصمود النفسي

تقدّم نظرية التحليل النفسي لفرويد إطاراً لفهم الصمود النفسي بوصفه نتيجة لتوازن ديناميكي داخلي بين مكونات الشخصية ودور الأنا في إدارة الصراعات. وتنطلق النظرية من مبادئ أساسية مثل هيمنة الدوافع والعمليات اللاواعية، تأثير الخبرات الطفولية المبكرة، واستخدام آليات الدفاع النفسية في حماية الذات (Cramer, 2006).

ويُفسّر الصمود النفسي من منظور التحليل النفسي عبر قوة الأنا، وقدرتها على تحقيق التوازن بين الهو والأنا الأعلى، إضافة إلى توظيف آليات دفاع ناضجة تساعد الفرد على التعامل مع الضغوط دون أن تندهور صحته النفسية. كما تؤكد النظرية على أهمية العلاقات المبكرة الآمنة التي تضع أساساً لقدرة الفرد على التنظيم الانفعالي والمرونة النفسية عبر مراحل الحياة (Mikulincer & Shaver, 2012).

وفق هذا التصور، يتحقق الصمود عندما يمتلك الفرد أنا قوية ومتزنة، ويستطيع استخدام آليات دفاع فعالة، وينعم بتاريخ تطوري يوفر له الأمان العاطفي، مما يعزز قدرته على مواجهة المواقف الضاغطة والتكيف معها بشكل صحي.

سادساً: نظرية نورمان جارمیزی

يُعد نورمان جارمیزی من أوائل الباحثين الذين أسسوا الإطار المفاهيمي للصمود النفسي عبر دراسة الأطفال المعرضين للمخاطر، وكيف ينجح بعضهم في التكيف رغم الظروف الصعبة. وتستند نظريته إلى ثلاثة نماذج تفسيرية: نموذج التعويض الذي يفترض أن العوامل الإيجابية تعمل بصورة مستقلة لتعويض أثر المخاطر، ونموذج التحدي الذي يرى أن الضغوط المعتدلة تعزز مهارات المواجهة، ونموذج عامل الحماية الذي يوضح تفاعل العوامل الوقائية مع عوامل الخطورة لتقليل أثارها السلبية (Gardynik, 2008).

وتفسّر النظرية الصمود من خلال تفاعل العوامل الفردية (مثل المهارات المعرفية والمزاج الإيجابي)، والعوامل الأسرية (كالدفع والتماسك الأسري)، والدعم الخارجي من الأقران والمدرسة والمجتمع. ويؤكد جارمیزی أن الصمود عملية ديناميكية تتشكل عبر الزمن، وينتج عن التفاعل المستمر بين عوامل الخطورة وعوامل الوقاية، بحيث يظهر الصمود عندما تقلل العوامل الوقائية من أثر المخاطر أو تعزز قدرة الفرد على التكيف (Cohen & Collens, 2013؛ Gardynik, 2008).

وتبرز النظرية أهمية أن الصمود ليس صفة ثابتة، بل يتطور عبر التجربة والتعلم، وأن التدخل المبكر والبيئات الداعمة يمكن أن تعزز من احتمالات الصمود لدى الأفراد، خاصة في البيئات عالية التعرض للمخاطر (Gardynik, 2008).

العوامل المؤثرة في الصمود النفسي

١. العوامل الشخصية: ويشمل:

أ. السمات النفسية: مثل التفاؤل، الثقة بالنفس، القدرة على التحكم بالعواطف، والمثابرة.

ب. القدرة على حل المشكلات: تمكن الفرد من مواجهة الضغوط بطريقة فعّالة.

٢. العوامل الاجتماعية: ويتضمن:

أ. الدعم الاجتماعي: يشمل الأسرة، الأصدقاء، والزملاء، ويعدُّ من أقوى العوامل المؤثرة في الصمود النفسي.

ب. التواصل الاجتماعي والمجتمعي: يساعد الفرد على الشعور بالانتماء والقدرة على مواجهة التحديات (Southwick et al., 2014).

٣. العوامل البيئية: ويشمل:

أ. الاستقرار الاقتصادي والتعليم: توفر الموارد الأساسية يساهم في تخفيف الضغوط وتعزيز الصمود.

ب. البيئة المكانية والوظيفية: البيئة الآمنة والمحفزة تساعد على تنمية القدرة على مواجهة الصعوبات.

٤. العوامل الثقافية والدينية: ويتضمن:

أ. القيم والمعتقدات: الإيمان والروحانية والممارسات الدينية تساعد على منح معنى للأزمات والشدائد.

ب. الثقافة: الثقافة التي تشجع على التفاؤل والمثابرة والمرونة تعزز الصمود النفسي.

٥. الخبرات الحياتية السابقة: ويشمل:

أ. التجارب السابقة في مواجهة الصعوبات: تساعد الأفراد على تطوير مهارات التكيف وإدارة الأزمات المستقبلية.

أظهرت الأبحاث أن الأفراد الذين اكتسبوا خبرات في مواجهة الضغوط يمتلكون قدرة أكبر على التكيف مع الأحداث المستقبلية (Badria & Bassma, 2022).

مكونات الصمود النفسي

- ١/ المرونة النفسية.
- ٢/ الثقة بالنفس وتقدير الذات.
- ٣/ حل المشكلات واتخاذ القرار.
- ٤/ الدعم الاجتماعي.
- ٥/ التفاؤل والأمل. (Carver, Scheier, & Segerstrom, 2010)
- ٦/ التحكم بالعواطف وإدارة التوتر: القدرة على تنظيم المشاعر والتحكم في ردود الفعل العاطفية أثناء الأزمات. ويقلل التوتر النفسي ويعزز التكيف الصحي مع الصعوبات. وأن القدرة على التحكم بالعواطف وإدارة التوتر من أبرز مكونات الصمود النفسي (Gross, 2015).

أنواع الإعاقة البصرية

تتنوع الإعاقة البصرية من حيث درجة فقدان البصر وشدته، ويمكن تصنيفها على النحو الآتي:

- ١/ العمى الكلي: فقدان تام لحاسة البصر، بحيث يعتمد الفرد كلياً على الحواس الأخرى في التفاعل مع البيئة (World Health Organization, 2023).

٢/ العمى الجزئي: بقاء نسبة بسيطة من الرؤية، لكنها غير كافية لأداء الأنشطة اليومية بصورة طبيعية.

٣/ ضعف البصر: انخفاض في حدة الإبصار رغم استخدام الوسائل التصحيحية كالنظارات أو العدسات الطبية (UNESCO, 2021).

٤/ العمى الليلي أو الألوان: اضطرابات نوعية في الرؤية مثل صعوبة الرؤية في الظلام أو تمييز الألوان (Abdullah & Al-Rashed, 2020).

التحديات المرتبطة بالإعاقة البصرية

يواجه ذوو الإعاقة البصرية مجموعة من التحديات التي تؤثر على جوانب متعددة من حياتهم، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

١/ تحديات نفسية: مثل القلق، تدني الثقة بالنفس، وصعوبة التكيف مع فقدان البصر (Al-Khatib, 2019).

٢/ تحديات اجتماعية: تتعلق بالعزلة الاجتماعية، ضعف العلاقات، ونظرة المجتمع السلبية للإعاقة.

٣/ تحديات تعليمية: صعوبة الوصول إلى المواد التعليمية والمناهج البصرية، وضعف الوسائل التكنولوجية الداعمة.

٤/ تحديات مهنية: انخفاض فرص العمل، والحاجة إلى تهيئة بيئة عمل ملائمة ومساعدة فنية خاصة (Musa & Ahmed, 2022).

العلاقة بين الصمود النفسي والإعاقة البصرية

يُعدّ الصمود النفسي من المفاهيم المحورية في تفسير قدرة الأفراد ذوي الإعاقة البصرية على مواجهة التحديات الحياتية والتكيف مع الإعاقة.

فالصمود النفسي يشير إلى قدرة الفرد على العودة إلى التوازن النفسي والاجتماعي بعد التعرض للضغوط أو الصدمات، ويُنظر إليه بوصفه آلية وقائية تعزز من الصحة النفسية والتوافق الاجتماعي. (Connor & Davidson, 2003)

في حالة ذوي الإعاقة البصرية، يمثل الصمود النفسي عاملاً حاسماً في تخفيف الآثار السلبية لفقدان البصر، حيث يساعدهم على تقبل الإعاقة والتعامل الإيجابي مع المواقف الضاغطة. وتشير الدراسات إلى أن الأفراد المكفوفين الذين يتمتعون بمستوى مرتفع من الصمود النفسي يظهرون قدرة أكبر على التكيف، واستقلالية أعلى في إدارة شؤون حياتهم، ومستوى أفضل من الرضا عن الذات مقارنةً بأقرانهم ذوي الصمود المنخفض (Musa & Ahmed, 2022).

كما أن الصمود النفسي يساهم في تعزيز الإحساس بالكفاءة الذاتية والتفاؤل، وهما من المكونات الأساسية للتكيف النفسي، مما ينعكس إيجاباً على إدراك الفرد لجودة حياته رغم الإعاقة (Masten, 2014). وتؤكد بعض الأبحاث أن الدعم الاجتماعي والأسري يلعب دوراً رئيسياً في تنمية الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية، إذ يوفر بيئة داعمة تساعد الفرد على تقبل ذاته والاندماج في المجتمع (Al-Khatib, 2019).

وتشير نتائج دراسات عربية وغربية إلى أن مستوى الصمود النفسي يرتبط ارتباطاً عكسياً بمستوى الضغوط النفسية لدى ذوي الإعاقات البصرية، فكلما ارتفع الصمود النفسي، انخفضت حدة الضغوط والاكئاب، وزادت القدرة على التكيف الإيجابي (Abdullah & Al-Rashed, 2020)؛ (Seligman & Csikszentmihalyi, 2000).

وبناءً على ما سبق، يمكن القول بأن الصمود النفسي يشكل أحد أهم المؤشرات التي تفسر التباين في مدى القدرة على التكيف والتوازن النفسي بين الأفراد ذوي الإعاقة البصرية، وهو ما يجعل

دراسته ضرورية لفهم العوامل النفسية المساندة لهذه الفئة وتعزيز جودة حياتهم.

الدراسات السابقة

١. دراسة: القصري والبياني (٢٠٢١)

هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى إسهام الدعم الاجتماعي في المرونة النفسية لدى الطلبة ذوي الإعاقة البصرية في معهد عمر بن الخطاب للمكفوفين. تكونت عينة البحث من (١٢٠) طالباً وطالبة. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي الارتباطي، كما استخدمت مقياسين: مقياس الصمود النفسي للصلاحي (٢٠١٧)، ومقياس الدعم الاجتماعي للحمري ومدني (٢٠١٦). أظهرت نتائج الدراسة أن أفراد العينة يتمتعون بمستوى متوسط من المرونة النفسية في أبعادها المختلفة. كما بينت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في متوسطات المرونة النفسية. وأشارت النتائج إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة ذات دلالة إحصائية بين المرونة النفسية والدعم الاجتماعي، وأن بُعدي الدعم المقدم من الأصدقاء المكفوفين وغير المكفوفين يسهمان بدرجة معنوية في التنبؤ بزيادة مستوى المرونة النفسية لدى عينة الدراسة.

٢. دراسة: المهايمة وآخرون (٢٠١٨)

دراسة هدفت للتعرف على مستوى الضغوط النفسية، والمرونة النفسية لدى الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة في الجامعة الأردنية، وفق متغيري نوع (الإعاقة والجنس)، وتكونت عينة الدراسة من ٦٠ طالباً، واستخدمت مقياسي الضغوط النفسية والمرونة النفسية. وأشارت النتائج إلى أن مستوى الضغوط النفسية كان منخفضاً في جميع الأبعاد، ما عدا البعد الجامعي لدى عينة الدراسة، والذي جاء متوسطاً، أما بالنسبة لمقياس المرونة النفسية، فقد جاء متوسطاً على جميع الأبعاد، ما عدا البعد الروحي فكان مرتفعاً. كما كشفت نتائج المرونة النفسية تبعاً لمتغير نوع الإعاقة، أن الإعاقة

الحركية، كانت الأقل مرونة، ولم تظهر فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث.

٣. دراسة: الهنساوي وآخرون (٢٠١٨)

هدفت للكشف عن الفروق بين متوسطي درجات المراهقين المعاقين بصرياً على مقياس الصمود النفسي وأبعاده. وتكونت عينة الدراسة من ٧٢ طالباً وطالبةً ٤١ من الذكور، و ٣١ من الإناث. واستخدموا مقياس الصمود النفسي من إعداد الباحثين، وأشارت النتائج إلى وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطي درجات المراهقين المعاقين بصرياً، على مقياس الصمود النفسي وأبعاده باستثناء متغير الجنس. كما أشارت النتائج إلى وجود فروق لصالح الإناث. واختلاف المراحل التعليمية لصالح بعد المرحلة الجامعية. وكانت النتائج غير دالة إحصائياً عند المقارنة بين عينة الدراسة، باختلاف متغير نوع الإعاقة.

٤. دراسة: هبة وآخرين (٢٠٢٣)

هدف البحث الحالي إلى التعرف على فعالية برنامج إرشادي لتعزيز الصمود النفسي للمراهقين ذوي الإعاقة البصرية، وتكونت عينة الدراسة من (١٦) طالب وطالبة من المراهقين ذوي الإعاقة البصرية. تم تقسيمهم إلى مجموعتين تجريبية (٨) طلاب، وضابطة (٨) طلاب. وتراوح أعمارهم الزمنية ما بين (١٣-١٥) سنة بمتوسط عمري (٠٦, ١٤) عاماً، وانحراف معياري قدره (٠, ٧٧)، واستخدمت الباحثة المنهج التجريبي وتم استخدام الأدوات التالية: مقياس الصمود النفسي (إعداد الباحثة)، والبرنامج الإرشادي لذوي الإعاقة البصرية (إعداد الباحثة). وأسفرت النتائج عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند (٠, ٠١) بين متوسطي رتب درجات المجموعتين التجريبية والضابطة على مقياس الصمود النفسي في القياس البعدي لصالح المجموعة التجريبية، كما أسفرت النتائج عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند (٠, ٠١) بين متوسطي رتب درجات

المجموعة التجريبية على مقياس الصمود النفسي في القياسين القبلي والبعدي بعد تطبيق البرنامج لصالح القياس البعدي، وعدم وجود فروق دالة إحصائية للقياسين البعدي والتبعي مما يدل على استمرار فعالية البرنامج الإرشادي.

٥. دراسة: Zegeye (2020)

هدفت هذه الدراسة إلى استكشاف مستوى الصمود النفسي لدى البالغين المكفوفين المقيمين في مدينة أديس أبابا، كما سعت إلى تحديد أثر بعض المتغيرات الديموغرافية مثل الجنس، ووقت الإصابة بالعمى، والحالة الاجتماعية، والمستوى التعليمي في درجة الصمود النفسي لديهم. اعتمدت الدراسة على المنهج المسحي لتحقيق أهدافها، حيث تم جمع البيانات من عينة عشوائية بلغت (٢٢٠) بالغاً مكفوفاً باستخدام مقياس كونور وديفيدسون للصمود النفسي (Connor-Davidson Resilience Scale). وقد جرى تحليل البيانات باستخدام الإحصاءات الوصفية، واختبار (t-test)، وتحليل التباين الأحادي (ANOVA)، متبوعاً باختبار شيفيه للمقارنات اللاحقة. أظهرت النتائج أن مستوى الصمود النفسي لدى البالغين المكفوفين أقل من المتوسط، إذ بلغ متوسط الدرجة (١١، ٤٦). كما بينت النتائج أن الجنس، ووقت الإصابة بالعمى، والحالة الاجتماعية، والمستوى التعليمي تعد من العوامل التي تؤثر في مستوى الصمود النفسي لدى هذه الفئة. وتشير هذه النتائج إلى الحاجة لمزيد من الاهتمام بتعزيز الصمود النفسي لدى الأفراد المكفوفين عبر البرامج الداعمة نفسياً واجتماعياً.

٦. دراسة: Kumar et al (2025)

هدفت هذه الدراسة إلى فحص الفروق بين الجنسين في التفاؤل والمرونة النفسية والتكيف الاستباقي لدى الطلبة ذوي الإعاقة البصرية، إضافة إلى استكشاف العلاقات بين هذه المتغيرات.

شارك في الدراسة (١٠٢) طالبًا وطالبة من ذوي الإعاقة البصرية تراوحت أعمارهم بين (١٨-٣٠) عامًا، حيث تم تطبيق مقاييس خاصة بالتفاؤل والمرونة النفسية والتكيف الاستباقي. استخدمت الدراسة المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (t) ومعامل الارتباط لبيرسون، إلى جانب التحليل الانحداري الهرمي لتحليل الفروق والعلاقات بين المتغيرات. أظهرت النتائج أن الطلبة الذكور ذوي الإعاقة البصرية حصلوا على درجات أعلى دلالةً في التفاؤل والمرونة النفسية والتكيف الاستباقي مقارنةً بالإناث، كما كشفت عن وجود علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائيًا بين التفاؤل والمرونة النفسية والتكيف الاستباقي. وتبين أن التفاؤل والمرونة النفسية يشكلان متغيرين متنبئين أساسيين بالتكيف الاستباقي لدى الطلبة ذوي الإعاقة البصرية. وتشير النتائج إلى أن هؤلاء الطلبة يمتلكون مستوى متوسطًا من آليات التكيف الاستباقي، وأن تعزيز التفاؤل والمرونة النفسية يسهم في تحسين قدرتهم على التكيف النفسي والاجتماعي، مما يدعم رفاههم النفسي ونجاحهم الأكاديمي.

٧. دراسة Sun et al: (2024)

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل خصائص الصمود النفسي لدى المراهقين ذوي الإعاقة البصرية في الصين. شملت العينة ثلاثة عشر مراهقًا من ذوي الإعاقة البصرية بمتوسط عمر بلغ ١٦,٥ سنة، من جامعة نانجينغ للتربية الخاصة، ومدرسة يانغتشو للتربية الخاصة، ومدرسة نانجينغ للمكفوفين في مقاطعة جيانغسو. استخدمت الدراسة المنهج الظاهراتي (الفينومينولوجي) من خلال مقابلات شبه منظمة، وتم تحليل البيانات باستخدام منهج تحليل الموضوعات. توصلت النتائج إلى أربعة محاور رئيسة تمثلت في: تعدد مصادر الصعوبات التي يواجهها المراهقون ذوو الإعاقة البصرية، كصعوبات التنقل والتعلم والتفاعل الاجتماعي والحياة اليومية؛ والحاجة إلى الدعم الخارجي بما يشمل قصور الدعم الأسري والمدرسي والاجتماعي، والحاجة إلى دعم الأقران؛ إضافة إلى التعايش

بين التكيف الإيجابي والسلبي، وكذلك بين أساليب المواجهة الإيجابية والسلبية. وتشير النتائج إلى أن الصمود النفسي لدى المراهقين ذوي الإعاقة البصرية يتأثر بدرجة كبيرة بمصادر الدعم المتاحة لهم وبقدرتهم على التكيف الإيجابي مع تحديات الإعاقة.

٨. دراسة : Gogate et al (2024)

هدفت الدراسة إلى تقييم الضيق النفسي والرضا عن الحياة لدى الأفراد المكفوفين في المجتمع المحلي بالهند. شملت العينة أشخاصاً حددت إصابتهم بالعمى من خلال فحوص سريرية دقيقة، ثم تم تطبيق استبيان الصحة العامة (GHQ-12) ومقياس الرضا عن الحياة (SWLS). أظهرت النتائج أن أغلب المكفوفين كلياً يعانون من ضيق نفسي واضطرابات مصاحبة، وأن أنشطتهم اليومية تأثرت بشكل ملحوظ. كما تبين وجود علاقة طردية بين شدة العمى والضيق النفسي، وعلاقة عكسية بين شدة العمى والرضا عن الحياة، مما يشير إلى أن فقدان البصر الكامل يرتبط بانخفاض الصحة النفسية وجودة الحياة.

منهج البحث وإجراءاته:

مجتمع البحث:

يُعرّف مجتمع البحث بأنه مجموعة الأفراد الذين تتوافر فيهم خصائص محددة تتعلق بموضوع الدراسة، ويُراد تعميم النتائج عليهم (الخطيب، ٢٠١٤). وقد تمثّل مجتمع البحث في ذوي الإعاقة البصرية (المكفوفين) بمدينة كسلا والمسجلين باتحاد المكفوفين.

عينة البحث:

تُعرّف عينة البحث بأنها الجزء أو المجموعة الفرعية التي يتم اختيارها من مجتمع البحث الأصلي، وتمثله تمثيلاً مناسباً، بحيث تُجرى عليها إجراءات الدراسة بهدف تعميم النتائج على المجتمع الأكبر (الخطيب، ٢٠١٤). وتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، وبلغ حجم العينة (٢٥٠) عضواً من اتحاد المكفوفين) تم اختيارها بالطريقة العشوائية البسيطة.

وصف العينة:

جدول رقم (١) يوضح العينة حسب العمر

العمر	التكرار	النسبة المئوية
أقل من ٢٥ سنة	٥٥	٢٢٪
من ٢٥ إلى ٣٥ سنة	٩٠	٣٦٪
من ٣٥ إلى ٤٥ سنة	٤٧	١٨,٨٪
٤٥ سنة فأكثر	٥٨	٢٣,٢٪
المجموع	٢٥٠	١٠٠٪

جدول رقم (٢) يوضح العينة حسب النوع

النوع	التكرار	النسبة المئوية
ذكور	١١٢	٤٤,٨٪
إناث	١٣٨	٥٥,٢٪
المجموع	٢٥٠	١٠٠٪

جدول رقم (٣) يوضح العينة حسب درجة الإعاقة

درجة الإعاقة	التكرار	النسبة المئوية
كفيف جزئي	٩٥	٣٨٪
كفيف كلي	١٥٥	٦٢٪
المجموع	٢٥٠	١٠٠٪

جدول رقم (٤) يوضح العينة حسب المستوى التعليمي:

المستوى التعليمي	التكرار	النسبة المئوية
تعليم عام	١٩٢	٧٦,٨٪
جامعي	٥٤	٢١,٦٪
فوق جامعي	٤	١,٦٪
المجموع	٢٥٠	١٠٠٪

أدوات جمع البيانات:

تم جمع البيانات بواسطة مقياس الصمود النفسي من إعداد (Conner-Davidson) عام (2005)، ترجمه وتقنين (عبد العزيز موسى) عام (٢٠١٤)، ويتكون المقياس من 20 فقرة وتمت إضافة ٣ فقرات بعد تقنيته وترجمته، والفقرات مقسمة على أربعة أبعاد، على النحو التالي:

١. البعد الأول: الكفاءة الشخصية والتماسك (من الفقرة ١ - ٨).
٢. البعد الثاني: التأثيرات الروحية والدينية (من الفقرة ٩ - ١٣).
٣. البعد الثالث: التقبل الإيجابي للتغيير والعلاقات الآمنة (من الفقرة ١٤ - ١٨).
٤. البعد الرابع: التحكم أو الضبط (من الفقرة ١٩ - ٢٣).

يتضمن المقياس ثلاث بدائل للإجابة: (دائمًا، أحيانًا، لا يحدث)، وتتنوع الدرجات على النحو التالي: (٣) دائمًا، (٢) أحيانًا، (١) لا يحدث، حيث صيغت جميع عبارات المقياس بصورة إيجابية.

الخصائص السيكومترية لأدوات جمع البيانات:

الثبات الداخلي لمقياس الصمود النفسي:

تم توزيع المقياس على عينة أولية بنسبة ٣٠٪ من حجم العينة المختارة للتأكد من ثبات المقياس

جدول رقم (٥) يوضح الاتساق الداخلي لبنود مقياس الصمود النفسي باستخدام معامل ارتباط بيرسون العزمي ارتباط كل بند بالدرجة الكلية للمقياس

رقم العبارة	درجة الارتباط	رقم العبارة	درجة الارتباط	رقم العبارة	درجة الارتباط	رقم العبارة	درجة الارتباط	رقم العبارة	درجة الارتباط	رقم العبارة	درجة الارتباط	رقم العبارة	درجة الارتباط
الكفاءة الشخصية والتناسك													
١	٠,٣٦١	٢	٠,٤٨١	٣	٠,٣٤٥	٤	٠,٤٥٥	٥	٠,٣٢١	٦	٠,٥٦١	٧	٠,٣٣٠
٨	٠,٣٤٨	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
التأثيرات الروحية والدينية													
٩	٠,٤٣١	١٠	٠,٣٢٣	١١	٠,٢٣٦	١٢	٠,٣٤٠	١٣	٠,٢٤٩	-	-	-	-
التقبل الإيجابي للتغيير والعلاقات الآمنة													
١٤	٠,٤٧١	١٥	٠,٣٤٩	١٦	٠,٣٤٣	١٧	٠,٣٥٨	١٨	٠,٤٢١	-	-	-	-
التحكم أو الضبط													
١٩	٠,٤٣٠	٢٠	٠,٣٢٣	٢١	٠,٤١١	٢٢	٠,٣٢٤	٢٣	٠,٥٤٧	-	-	-	-

يتضح من الجدول أعلاه والذي يوضح معامل الارتباط درجة كل عبارته بالدرجة الكلية للمقياس، تبين أن ارتباط العبارات ذو دلالة إحصائية وعند مستوى دلالة ٠,٠٥.

جدول رقم (٦) يوضح الثبات بواسطة الفاكرونباخ والصدق الذاتي بواسطة الجذر التربيعي لمقياس الصمود النفسي:

البعد	الثبات بواسطة ألفا كرونباخ	الصدق الذاتي بواسطة الجذر التربيعي
الكفاءة الشخصية والتماسك	٠,٧٥٦	٠,٨٦٩
التأثيرات الروحية والدينية	٠,٧٧٦	٠,٨٨٠
التقبل الإيجابي للتغيير والعلاقات الآمنة	٠,٧٧١	٠,٨٧٨
التحكم أو الضبط	٠,٧٥٦	٠,٨٦٩
المجموع	٠,٧٦٤	٠,٨٧٤

يتضح من الجدول أعلاه والذي يوضح معامل الفاكرونباخ للثبات والذي بلغ (٠,٧٦٤) والصدق الذاتي بواسطة الجذر التربيعي والذي بلغ (٠,٨٧٤) لمعامل ثبات مقياس الصمود النفسي نستنتج أن المقياس يتمتع بمعاملات ثبات عالية ودالة إحصائية وبالتالي يصلح لقياس السمة المدروسة.

أولاً: عرض النتائج:

١. عرض نتيجة الفرض الأول والذي نص على: "يتسم للصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا بالانخفاض".

جدول رقم (١) يوضح اختبار T للعينة الواحدة لمعرفة السمة العامة للصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا

البعد	الوسط الحسابي	الوسط المحكي	الانحراف المعياري	قيمة ت المحسوبة	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
الكفاءة الشخصية والتماسك	٢٠,٦٣	١٦	٣,٣٤٦	٩٧,٤٦٥	٢٤٩	٠,٠٠٠	يتسم بالارتفاع عند مستوى الدلالة ٠,٠١
التأثيرات الروحية والدينية	١٣,٣٧	١٠	٢,١١٩	٩٩,٧٤٤	٢٤٩	٠,٠٠٠	يتسم بالارتفاع عند مستوى الدلالة ٠,٠١
التقبل الإيجابي للتغيير والعلاقات الآمنة	١٣,٠٨	١٠	٢,٣٢٦	٨٨,٨٧٣	٢٤٩	٠,٠٠٠	يتسم بالارتفاع عند مستوى الدلالة ٠,٠١
التحكم أو الضبط	١٣,١١	١٠	٢,٠٣٢	١٠١,٩٩٨	٢٤٩	٠,٠٠٠	يتسم بالارتفاع عند مستوى الدلالة ٠,٠١
المجموع	٦٠,١٩	٤٦	٩,٨٢٣	٣٨٨,٠٨	٢٤٩	٠,٠٠٠	يتسم بالارتفاع عند مستوى الدلالة ٠,٠١

يلاحظ من الجدول أعلاه والذي يوضح اختبار ت للعينة الواحدة لمعرفة السمة العامة للصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا. حيث يلاحظ أن الوسط الحسابي (٦٠,١٩)، وقيمة ت المحسوبة (٣٨٨,٠٨) والقيمة الاحتمالية (٠,٠٠٠) مما يدل على أن السمة العامة للصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا يتسم بالارتفاع وعند مستوى الدلالة ٠,٠١.

٢. عرض نتيجة الفرض الثاني والذي نص على: "توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب النوع".

جدول رقم (٨) يوضح اختبار T لعينتين مستقلتين لمعرفة الفروق في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب النوع.

البعد	مجموعة المقارنة	حجم العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة ت المحسوبة	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
الكفاءة الشخصية والتناسك	ذكور	١١٢	٢٢,٦٩	٣,٤٦٧	٢٤٨	٦,٢٥٣	٠,٠٠٠	توجد فروق دالة إحصائية للذكور عند مستوى الدلالة ٠,٠١
	إناث	١٣٨	١٨,٥٨	٣,٢٥٧				
التأثيرات الروحية والدينية	ذكور	١١٢	١٤,٤٣	٢,١٨٤	٢٤٨	٣,٤١٤	٠,٠٠١	توجد فروق دالة إحصائية للذكور عند مستوى الدلالة ٠,٠١
	إناث	١٣٨	١٢,٣٢	٢,٠٧٢				
التقبل الإيجابي للتغيير والعلاقات الآمنة	ذكور	١١٢	١٤,٢٢	٢,٢٦١	٢٤٨	٣,٢٥٣	٠,٠١١	توجد فروق دالة إحصائية للذكور عند مستوى الدلالة ٠,٠١
	إناث	١٣٨	١١,٩٦	٢,٣٨٠				
التحكم أو الضبط	ذكور	١١٢	١٤,١٣	٢,٠٠١	٢٤٨	٢,٤٠٦	٠,٠١٨	توجد فروق دالة إحصائية للذكور عند مستوى الدلالة ٠,٠١
	إناث	١٣٨	١٢,٠٩	٢,٠٦٤				
المجموع	ذكور	١١٢	٦٥,٤٧	٩,٩١٣	٢٤٨	١٥,٣٢٦	٠,٠٠٧	توجد فروق دالة إحصائية للذكور عند مستوى الدلالة ٠,٠١
	إناث	١٣٨	٥٤,٩٥	٩,٧٧٣				

يلاحظ من الجدول أعلاه الذي يوضح اختبار ت لعينتين مستقلتين لمعرفة الفروق في للصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب النوع، حيث يلاحظ أن القيمة ت المحسوبة

(١٥, ٣٢٦)، والقيمة الاحتمالية (٠, ٠٠٧) مما يدل على أنه توجد فروق دالة في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب النوع لصالح الذكور عند مستوى الدلالة ٠, ٠١.

٣. عرض نتيجة الفرض الثالث والذي نص على: "توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب العمر".

جدول رقم (٩) يوضح اختبار T لعينين مستقلتين لمعرفة الفروق في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب درجة الإعاقة.

البعد	مجموعة المقارنة	حجم العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة ت المحسوبة	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
الكفاءة الشخصية والتأسك	كفيف جزئي	٩٥	٢١, ٦٤	٣, ٣٨٦	٢٤٨	٣, ٧٢١	٠, ٠٠٢	توجد فروق دالة إحصائية لصالح الكفيف جزئي عند مستوى الدلالة ٠, ٠٥
	كفيف كلي	١٥٥	١٩, ٦٢	٣, ٣٣٣				
التأثيرات الروحية والدينية	كفيف جزئي	٩٥	١٥, ١٩	٢, ٢٤٧	٢٤٨	٤, ٦٢٧	٠, ٠٠٠	توجد فروق دالة إحصائية لصالح الكفيف جزئي عند مستوى الدلالة ٠, ٠١
	كفيف كلي	١٥٥	١١, ٤٨	٢, ٠٣٦				
التقبل الإيجابي للتغيير والعلاقات الآمنة	كفيف جزئي	٩٥	١٢, ٨٦	٢, ٥٨٧	٢٤٨	٣, ٦٥٣	٠, ٠٠٨	توجد فروق دالة إحصائية لصالح الكفيف كلي عند مستوى الدلالة ٠, ٠٥
	كفيف كلي	١٥٥	١٣, ٢١	٢, ١٤٩				
التحكم أو الضبط	كفيف جزئي	٩٥	١٤, ٩٧	٢, ١٩٥	٢٤٨	٣, ٩٥١	٠, ٠٠١	توجد فروق دالة إحصائية لصالح الكفيف جزئي عند مستوى الدلالة ٠, ٠١
	كفيف كلي	١٥٥	١١, ١٩	١, ٩٢٨				
المجموع	كفيف	٩٥	٦٤, ٦٦	١٠, ٤١٥	٢٤٨	١٥, ٩٥٢	٠, ٠٠٢	توجد فروق دالة

جزئي						إحصائياً لصالح
كفیف	١٥٥	٥٥,٥٠	٩,٤٤٦			الكفیف جزئي عند
كلي						مستوى الدلالة ٠,٠٥

يلاحظ من الجدول أعلاه الذي يوضح اختبار ت لعيتين مستقلتين لمعرفة الفروق في للصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب درجة الإعاقة، حيث يلاحظ أن القيمة المحسوبة (٩٥٢, ١٥)، والقيمة الاحتمالية (٠, ٠٠٢) مما يدل على أنه توجد فروق دالة في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب درجة الإعاقة لصالح الكفیف جزئياً عند مستوى الدلالة ٠, ٠٥، ما عدا بعد التقبل الإيجابي للتغيير والعلاقات الآمنة الذي وجدت الفروق فيه لصالح كفیف كلياً.

٤. عرض نتيجة الفرض الرابع والذي نص على: "توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب المستوى التعليمي".

جدول رقم (١٠) يوضح اختبار T لعينين مستقلتين لمعرفة الفروق في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب العمر.

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط مجموع المربعات	درجات الحرية	قيمة ف	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
الكفاءة الشخصية والتهاusk	بين المجموعات	٤٩٢,٠٠٢	١٦٤,٠٠١	٣	١٧,٥٦٨	٠,٠٠٠	توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١
	داخل المجموعات	٢٢٩٦,٤٠٢	٩,٣٣٥	٢٤٦			
	المجموع	٢٧٨٨,٤٠٤		٢٤٩			
التأثيرات الروحية والدينية	بين المجموعات	٢٠٥,٥٣١	٦٨,٥١٠	٣	١٨,٤٦٧	٠,٠٠٠	توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١
	داخل المجموعات	٩١٢,٦١٣	٣,٧١٠	٢٤٦			

						المجموعات	
			٢٤٩		١١١٨, ١٤٤	المجموع	
توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١	٠,٠٠٠	٩, ٨٧٦	٣	٤٨, ٢٨٣	١٤٤, ٨٤٩	بين المجموعات	التقبل الإيجابي للتغيير والعلاقات الآمنة
			٢٤٦	٤, ٨٨٩	١٢٠٢, ٧٠٧	داخل المجموعات	
			٢٤٩		١٣٤٧, ٥٥٦	المجموع	
توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١	٠,٠٠٠	٩, ١٤٥	٣	٣٤, ٣٨٣	١٠٣, ١٤٩	بين المجموعات	التحكم أو الضبط
			٢٤٦	٣, ٧٦٠	٩٢٤, ٩٣٥	داخل المجموعات	
			٢٤٩		١٠٢٨, ٠٨٤	المجموع	
توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١	٠,٠٠٠	٥٥, ٠٥٦	٣	٣١٥, ١٧٧	٩٤٥, ٥٣١	بين المجموعات	المجموع
			٢٤٦	٢١, ٦٩٤	٥٣٣٦, ٦٥٧	داخل المجموعات	
			٢٤٩		٦٢٨٢, ١٨٨	المجموع	

يلاحظ من الجدول أعلاه و الذي يوضح تحليل التباين الأحادي لمعرفة ما إذا كانت هنالك فروق في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب العمر، حيث يلاحظ أن قيمة ف (٥٥, ٠٥٦) والقيمة الاحتمالية (٠, ٠٠٠) مما يدل على أنه توجد فروق الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب العمر عند مستوى دلالة ٠, ٠١ .

لمعرفة مصدر الفروق في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب العمر، تم استخدام اختبار توكي البعدي لمعرفة مصدر الفروقات.

جدول رقم (١١) يوضح اختبار توكي البعدي لمعرفة مصدر الفروقات في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب العمر.

العمر	التكرار	الوسط	مستوى الدلالة
أقل من ٢٥ سنة	٥٥	١١, ١٣	٠, ٠٠٦
من ٢٥ إلى ٣٤ سنة	٩٠	١١, ٤٧	٠, ٠٠٥
من ٣٥ إلى ٤٤ سنة	٤٧	١٤, ٧٧	٠, ٠٠٠
٤٥ سنة فأكثر	٥٨	١٥, ٠٠	٠, ٠٠٠
المجموع	٢٥٠	٥٢, ٣٧	٠, ٠٠٢

من الجدول اعلاه والذي يوضح اختبار توكي البعدي لمعرفة مصدر الفروقات في هنالك فروق في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب العمر، يتضح أن أعلى متوسط للفئة العمرية ٤٥ سنة فأكثر بمتوسط (١٥, ٠٠) وبعده الفئة العمرية ٣٥ إلى ٤٤ سنة بمتوسط (١٤, ٧٧) حيث يتضح أن الفروقات في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب العمر للفئتين العمريتين أعلاه وعند مستوى دلالة ٠, ٠٥.

٥. عرض نتيجة الفرض الخامس والذي نص على: "توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب درجة الإعاقة".

جدول رقم (١٢) يوضح اختبار T لعينين مستقلتين لمعرفة الفروق في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب المستوى التعليمي.

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط مجموع المربعات	درجات الحرية	قيمة ف	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
الكفاءة الشخصية	بين	٨٨, ٥٥٤	٤٤, ٢٧٧	٢	١, ٠٥١	٠, ١٥٩	لا توجد فروق ذات

الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب المستوى التعليمي عند مستوى دلالة ٠,٠٥.

ثانياً: مناقشة النتائج

مناقشة نتيجة الفرض الأول:

اتفقت نتيجة الدراسة مع دراسة القصبي والبياني (٢٠٢١)، ودراسة المهيرة وآخرون (٢٠١٨)، التي توصلت إلى إرتفاع مستوى الصمود النفسي لدى أفراد العينة.

في المقابل اختلفت نتيجة الدراسة مع دراسة هبة وآخرون (٢٠٢٣)، ودراسة Zegeye (٢٠٢٠)، ودراسة Sun et al (٢٠٢٤)، ودراسة Gogate et al (٢٠٢٤) التي توصلت إلى انخفاض مستوى الصمود النفسي لدى أفراد العينة.

تشير النتيجة إلى أن السمة العامة للصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا مرتفعة عند مستوى دلالة (٠,٠١). ويمكن تفسير ارتفاع مستوى الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية في مدينة كسلا بتفاعل عدة عوامل، تشمل العوامل الفردية مثل المرونة الشخصية والمهارات التعويضية والروحانية، والعوامل الأسرية كالدعم والتقبل الأسري، إضافة إلى العوامل المجتمعية المتمثلة في التماسك الاجتماعي والخدمات المحلية الداعمة، والعوامل التعليمية والمؤسسية التي توفر برامج تأهيل ودعم نفسي تعزز الشعور بالكفاءة والتكيف.

يرى الباحثان أن ارتفاع الصمود النفسي لدى الأفراد ناتج عن تفاعل عوامل ذاتية واجتماعية وبيئية، تدعمها ثقافة شرق السودان القائمة على الترابط المجتمعي وروح المساندة. كما يشير إلى أن الظروف الاقتصادية والسياسية الصعبة أسهمت في رفع قدرة المجتمع على التكيف،

وهو ما انعكس بدوره على الصمود النفسي لدى الأشخاص ذوي الإعاقة.

تتفق هذه النتيجة مع ما طرحته نماذج الصمود النفسي عند جارمیزی وريتشاردسون التي ترى أن الصمود عملية ديناميكية تتشكل عبر التفاعل بين الفرد وبيئته. ويبدو أن ذوي الإعاقة البصرية في كسلا يستفيدون من شبكات الدعم الاجتماعي والأسري التي تُعد من أقوى عوامل الحماية المساندة للصمود، خاصة في المجتمعات ذات التماسك الاجتماعي المرتفع.

مناقشة نتيجة الفرض الثاني:

اتفقت نتيجة الدراسة مع دراسة الهنساوي وآخرون (٢٠١٨)، ودراسة Kumar et al (٢٠٢٥) التي توصلت إلى وجود فروق في الصمود النفسي لدى أفراد العينة.

بينما اختلفت نتيجة الدراسة مع دراسة القصبي والبياني (٢٠٢١)، ودراسة المهارة وآخرون (٢٠١٨)، التي توصلت إلى عدم وجود فروق في الصمود النفسي لدى أفراد العينة.

أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق دالة إحصائية في مستوى الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا تبعاً للنوع لصالح الذكور، مما يشير إلى تمتع الذكور بقدرة أكبر على التكيف ومواجهة ضغوط الإعاقة مقارنة بالإناث. وتتوافق هذه النتيجة مع ما طرحته الأدبيات السابقة، وبعض الدراسات التي أظهرت تفوق الذكور في الصمود النفسي نتيجة اختلاف الأدوار الاجتماعية وارتفاع فرص المشاركة المجتمعية لديهم. كما تنسجم مع الاتجاهات النظرية لـ Garnezy وRichardson التي تؤكد أن الصمود يتشكل بتأثير العوامل الاجتماعية والثقافية.

ويمكن تفسير تفوق الذكور في السياق المحلي لمدينة كسلا بارتفاع درجة الاعتماد على الذات، واتساع فرص الحركة والانخراط الاجتماعي مقارنة بالإناث، اللواتي قد يواجهن قيوداً

اجتماعية تحد من بناء المرونة. كما قد تسهم مستويات الدعم الاجتماعي المباشر المقدم للذكور في تعزيز صمودهم.

يرى الباحثان أن تفوق الذكور في الصمود النفسي يعود إلى اتساع فرص الخبرة والمشاركة والاستقلالية التي تمنحهم قدرة أكبر على التكيف، إضافة إلى دعم الأدوار الاجتماعية التقليدية لهم في مواجهة الضغوط. في المقابل، تحد القيود الاجتماعية من مشاركة الإناث وفرص اكتسابهن لمهارات الصمود، مما يجعل الفروق ناتجة عن اختلاف الفرص والتجارب أكثر من كونها فروقاً في القدرات الذاتية.

مناقشة نتيجة الفرض الثالث:

اتفقت نتيجة الدراسة مع دراسة Gogate et al (٢٠٢٤) التي توصلت إلى وجود فروق في الصمود النفسي لدى أفراد العينة حسب متغير درجة الإعاقة.

أظهرت الدراسة وجود فروق دالة في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب درجة الإعاقة لصالح ذوي الإعاقة الجزئية، باستثناء بُعدي التقبل الإيجابي للتغيير والعلاقات الآمنة اللذين تفوق فيهما الكفيف كلياً.

يمكن تفسير ارتفاع مستوى الصمود النفسي لدى ضعاف البصر مقارنة بالمكفوفين كلياً باحتفاظهم بجزء من القدرة البصرية، مما يسهل عليهم التكيف الوظيفي والتنقل والتعرف على البيئة، ويقلل اعتمادهم على الآخرين، وهي عوامل تشكّل موارد شخصية تعزز الصمود وفقاً لنموذج Garnezy و Rutter. كما أن اتساع فرص المشاركة الاجتماعية والتعليمية والمهنية لذوي الإعاقة الجزئية يمنحهم خبرات أكبر في التفاعل والتكيف، إضافة إلى انخفاض العبء النفسي مقارنة بمن فقدوا البصر كلياً.

ورغم انخفاض الصمود العام لدى الكفيف كلياً، إلا أن تفوقه في بُعدي التّقبل الإيجابي للتغيير والعلاقات الآمنة يُفسّر باعتياده على مواجهة تحديات أكثر جذرية، وقدرته على إعادة تفسير الواقع وتقبل التغيرات المفروضة عليه، مما يعزز مرونته المعرفية. كما يحظى المكفوف كلياً عادةً بدعم أسري ومجتمعي أقوى بالنظر إلى حاجته الأكبر للرعاية، وهو ما يساهم في ترسيخ علاقات آمنة ومستقرة تُعدّ أحد مكونات الصمود في بعده الاجتماعي.

يرى الباحثان أن النتيجة تعكس صورة مركبة، إذ يمتلك الكفيف جزئياً موارد تكيفية وظيفية تعزز صموداً أعلى في معظم الأبعاد، بينما يظهر الكفيف كلياً قوة في الجوانب الوجدانية المرتبطة بالتقبل والعلاقات نتيجة اعتماده الأكبر على الدعم الاجتماعي. ويمكن أيضاً تفسير هذا النمط من منظور الخبرة الحياتية، إذ إن الكفيف كلياً يطور مهارات مواجهة التحديات الكبرى بمرور الوقت، بينما يكتسب ضعاف البصر ميزة التكيف الوظيفي من خلال الاستقلالية الجزئية، ما يشير إلى أهمية تصميم برامج تدخل تراعي درجة الإعاقة والفروق الفردية لتعزيز الصمود النفسي.

مناقشة نتيجة الفرض الرابع:

أظهرت الدراسة وجود فروق دالة في الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا حسب درجة الإعاقة لصالح ذوي الإعاقة الجزئية، باستثناء بُعدي التّقبل الإيجابي للتغيير والعلاقات الآمنة اللذين تفوق فيهما الكفيف كلياً.

يمكن تفسير تفوق الفئات الأكبر عمراً في الصمود النفسي بعدة عوامل مترابطة. أولاً، توفر لهم الخبرة الحياتية الطويلة احتكاكاً أكبر بالتحديات اليومية المرتبطة بالإعاقة والظروف الاقتصادية والاجتماعية، مما يعزز مرونتهم النفسية وثقتهم في القدرة على التكيف مع المواقف الصعبة. ثانياً، تلعب شبكة الدعم الاجتماعي المستقرة دوراً مهماً، إذ يمنحهم موقعهم الأسري والمجتمعي مكانة

أعلى ودعماً مستمراً يساهم في تعزيز الصمود. ثالثاً، يكتسب كبار السن قدرة أكبر على تقبل الإعاقة والتعايش معها، مما يساعدهم على تطوير استراتيجيات تكيف عملية وفعالة، على عكس الفئات الأصغر التي قد تواجه صعوبة في فهم ظروف إعاقاتها. وأخيراً، يتمتع كبار السن باستقرار انفعالي أعلى وقدرة أفضل على ضبط النفس، ما يمكنهم من مواجهة الضغوط بهدوء واتزان واتخاذ قرارات متوازنة في مواقف التحدي.

يرى الباحثان أن ارتفاع الصمود النفسي لدى الفئات الأكبر عمراً لا يعود فقط إلى تراكم الخبرة أو الدعم الاجتماعي، بل إلى قدرتهم على تحويل التجارب الصعبة إلى فرص للنمو الشخصي، إذ تشكل لديهم مهارات التكيف الاستراتيجي وإدارة الضغوط بشكل أكثر فعالية عبر الزمن. كما يشير إلى أن كبار السن يميلون إلى تقييم المواقف بإيجابية واستخلاص الدروس من التحديات، مما يعزز مرونتهم النفسية ويجعلهم قدوة للفئات الأصغر.

مناقشة نتيجة الفرض الخامس:

اختلفت نتيجة الدراسة مع دراسة الهنساوي وآخرون (٢٠١٨) التي توصلت إلى وجود فروق في الصمود النفسي لدى أفراد العينة حسب المستوى التعليمي.

أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق دالة في مستوى الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا بحسب المستوى التعليمي عند مستوى دلالة ٠,٠٥، مما يشير إلى أن الصمود النفسي قد يكون سمة مستقلة إلى حد كبير عن التحصيل الأكاديمي. ويمكن تفسير النتيجة من خلال عدة عوامل. فالعوامل الشخصية مثل الثقة بالنفس، التفاؤل، والتحكم الذاتي تلعب دوراً مهماً في تحديد قدرة الفرد على الصمود النفسي، كما أن الخبرات الحياتية والتحديات اليومية التي يواجهها المكفوفون تساهم في تعزيز الصمود بغض النظر عن المستوى التعليمي. أما العوامل

الاجتماعية فتمثل في الدعم الأسري والاجتماعي الذي يعد عاملاً أساسياً يعوض أي قصور تعليمي، إضافة إلى مشاركة الأفراد في أنشطة جماعية المكفوفين والمؤسسات المجتمعية التي توفر خبرات عملية لتعزيز الصمود النفسي. ويؤكد الإطار النظري لنموذج Conner-Davidson للصمود النفسي أن الصمود هو القدرة على التعامل مع الضغوط والتحديات والتكيف معها بفاعلية، ويعتمد بشكل رئيسي على مهارات التكيف والمرونة النفسية، وليس على المستوى التعليمي. كما أشارت بعض الدراسات إلى أن الصمود النفسي يتأثر بشكل أكبر بالعوامل البيئية والداعمة، مثل الاستقرار الأسري، الدعم الاجتماعي، والمشاركة في أنشطة بناء المجتمع، مما يفسر عدم وجود فروق دالة حسب المستوى التعليمي لدى أفراد العينة.

يرى الباحثان أن عدم وجود فروق دالة في الصمود النفسي حسب المستوى التعليمي يعكس طبيعة الصمود النفسي باعتبارها ظاهرة ترتبط أكثر بالخصائص الشخصية والاجتماعية للفرد من ارتباطها بالمستوى الأكاديمي. ويشير الباحثان إلى أن الصفات الفردية مثل الثقة بالنفس والتفاؤل والتحكم الذاتي، بالإضافة إلى الخبرات الحياتية والتحديات اليومية، تلعب دوراً محورياً في تعزيز الصمود.

التوصيات:

١/ تعزيز البرامج الإرشادية والتدريبية الهادفة إلى تنمية الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا، وذلك من خلال تبني استراتيجيات منهجية مستدامة تسهم في دعمهم نفسياً واجتماعياً.

٢/ تصميم تدخلات نفسية تراعي الفروق بين الجنسين، عبر تطوير برامج موجهة للإناث لرفع مستوى الصمود النفسي لديهن، بما يتوافق مع الاحتياجات التي أبرزتها النتائج.

- ٣/ تطوير برامج دعم متخصصة تراعي درجة الإعاقة والفئات العمرية المختلفة، من خلال توفير رعاية إضافية لذوي الإعاقة الكلية، وإعداد أنشطة وخدمات ملائمة لفئات العمرية الأكبر سناً التي أظهرت مستويات أعلى من الصمود.
- ٤/ إدماج مهارات الصمود النفسي ضمن خطط وبرامج التأهيل والتعليم الخاصة بذوي الإعاقة البصرية، لضمان تحقيق تنمية متوازنة وشاملة، بالرغم من عدم وجود فروق دالة حسب المستوى التعليمي.

مقترحات لبحوث مستقبلية:

- ١/ فاعلية برنامج سلوكي معرفي لتعزيز الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية.
- ٢/ الدعم النفسي والاجتماعي وعلاقته بالصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية في ولايات السودان المختلفة.
- ٣/ دراسة مقارنة الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقات المختلفة بالسودان.

المصادر والمراجع

- بدرية كمال أحمد، وبسمة عادل عبد المطلب محمد، الصمود النفسي وعلاقته بالذكاء الوجداني لدى طلاب الجامعات، مجلة مستقبل التربية العربية، (١٣٦)، ٢٩، ٢٠٢٢ م.
- بزوبيري، كمال، الصمود النفسي في ضوء التفسيرات العلمية الحديثة، مجلة دراسات نفسية وتربوية، جامعة البليدة (٢)، ٢١، ٢٠٢٢ م.
- الخطيب، سامي محمد، مناهج البحث العلمي: أسسها وتطبيقاتها، دار الفكر، ٢٠١٤ م.
- الشمري، عبد الله، التكيف النفسي والاجتماعي لدى ذوي الإعاقة البصرية في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، (٣)، ٢٠، ٢٠١٩ م.
- عاشور، محمد، الصمود النفسي وعلاقته بالتفاؤل والكفاءة الذاتية لدى طلاب الجامعة، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، (٢)، ٢٩، ٢٠٠٥ م.
- عبد الحميد، نجلاء حسن. سيكولوجية ذوي الإعاقة البصرية، الإسكندرية، دار الوفاء، ٢٠٢٠ م.
- عبد الرحمن، منى، الضغوط النفسية وأساليب التكيف لدى ذوي الإعاقة البصرية، مجلة دراسات التربية وعلم النفس، (٤)، ١٢، ٢٠٢٠ م.
- عبد اللطيف، سامي، دور الدعم الاجتماعي في تعزيز الصمود النفسي لدى الأشخاص ذوي الإعاقة الحسية، مجلة الدراسات النفسية، (١)، ١٥، ٢٠٢٠ م.
- القصبى، خليفة أحمد، والبيمانى، منى حماد، الدعم الاجتماعي وعلاقته بالمرونة النفسية لدى الطلبة ذوي الإعاقة البصرية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد (٥)، العدد (٢)، ٢٠٢١ م. <https://doi.org/10.26389/AJSRP.K04082>

- المهيرة، عبد الله؛ والعدلات، بسام؛ والحويان، علاء والخوانده، مصطفى والخضادات، حسين. مستوى الضغوط النفسية والمرونة النفسية لدى الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة في الجامعة الأردنية. *مجلة العلوم التربوية*، ٤٥ (١)، ٢٠١٨ م.
- هبة عباس زكي وعلي، ولأء ربيع مصطفى ومحمد، منار فتحي عبد اللطيف، فعالية برنامج إرشادي لتعزير الصمود النفسي للمراهقين ذوي الإعاقة البصرية، *مجلة كلية التربية*، مج. ٢٠، ع. ١١٧، ٢٠٢٣ م، <https://search.emarefa.net/detail/BIM>
- الهنساوي، أحمد؛ ومحمود، مجدي؛ وعي، حنان، والحديدي، مصطفى، الصمود النفسي في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية لدى المراهقين بصرياً، *دراسات في الإرشاد النفسي والتربوي*، جامعة أسيوط، (٢)، ٢٠١٨.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Abdullah, H., & Al-Rashed, F. (2020). Psychological adjustment among individuals with visual impairment: A comparative study. *Journal of Special Education Studies*, 8(2), 55–72.
- Al-Khatib, J. (2019). Social integration challenges among persons with visual disabilities in Arab societies. *Middle Eastern Journal of Disability Studies*, 5(1), 23–40.
- American Foundation for the Blind. (2020). *Understanding visual impairment*. New York: AFB Press.
- American Psychological Association. (2020). *Building your resilience*. Washington, DC: APA.
- Badria, K. A., & Bassma, A. M. (2022). Psychological resilience and emotional intelligence among university students. *Arab Journal of Educational Research*, 29(136).
- Brockhouse, R., Msetfi, R. M., Cohen, K., & Joseph, S. (2011). Vicarious exposure to trauma and growth in therapists: The moderating effects of sense of coherence, organizational support and empathy. *Journal of Traumatic Stress*, 24(6), 735–742. <https://doi.org/10.1002/jts.20700>
- Carver, C. S., Scheier, M. F., & Segerstrom, S. C. (2010). Optimism. *Clinical Psychology Review*, 30(7), 879–889.
- Cohen, K., & Collens, P. (2013). The impact of trauma work on trauma workers: A metasynthesis on vicarious trauma and vicarious posttraumatic growth.

Psychological Trauma: *Theory, Research, Practice, and Policy*, 5(6), 570–580. <https://doi.org/10.1037/a0030388>

- Connor, K. M., & Davidson, J. R. T. (2003). *Development of a new resilience scale: The Connor–Davidson Resilience Scale (CD-RISC)*. *Depression and Anxiety*, 18(2), 76–82. <https://doi.org/10.1002/da.10113>
- Cramer, P. (2006). *Protecting the self: Defense mechanisms in action*. Guilford Press.
- Cutuli, J. J., & Masten, A. S. (2009). Resilience in development: A synthesis of research across five decades. In S. J. Lopez & C. R. Snyder (Eds.), *The Oxford handbook of positive psychology* (2nd ed., pp. 117–131). Oxford University Press.
- Fletcher, D., & Sarkar, M. (2013). Psychological resilience: A review and critique of definitions, concepts, and theory. *European Psychologist*, 18(1), 12–23.
- Foreman, M., Rankin, J., & Walsh, J. (2020). Trauma, meaning making, and self-development: Applications of Constructivist Self-Development Theory. *Journal of Aggression, Maltreatment & Trauma*, 29(3), 289–305.
- Gardynik, U. M. (2008). Resilience: A review of the literature. *Psychology Research Journal*, 12(2), 45–60.
- Gogate, P., Phadke, S., Samudra, M., Chaudhury, S., Gogate, S., Shitole, A., Magdum, R., & Radhakrishnan, O. K. (2024). What do the blind feel? Psychological distress and satisfaction with life of blind persons: A community-based study. *Industrial psychiatry journal*, 33(Suppl 1), S90–S96. https://doi.org/10.4103/ipj.ipj_79_24
- Gross, J. J. (2015). Emotion regulation: Current status and future prospects. *Psychological Inquiry*, 26(1), 1–26.
- Kumar, S., Verma, S. & Lata, S. Proactive Coping, Optimism, and Resilience among Students with Visual Disabilities. *Int J Appl Posit Psychol* 10, 39 (2025). <https://doi.org/10.1007/s41042-025-00233-1>
- Luthar, S. S., Cicchetti, D., & Becker, B. (2000). The construct of resilience: A critical evaluation and guidelines for future work. *Child Development*, 71(3), 543–562. <https://doi.org/10.1111/1467-8624.00164>
- Masten, A. S. (2014). *Ordinary magic: Resilience in development*. New York, NY: Guilford Press.
- Mikulincer, M., & Shaver, P. R. (2012). An attachment perspective on resilience. In M. Ungar (Ed.), *The social ecology of resilience: A handbook of theory and practice* (pp. 179–188). Springer. https://doi.org/10.1007/978-1-4614-0586-3_14
- Musa, A., & Ahmed, S. (2022). Psychological resilience and coping strategies among persons with sensory disabilities in Sudan. *Sudanese Journal of Psychology*, 4(1), 41–59.
- Ozbay, F., Johnson, D. C., Dimoulas, E., Morgan, C. A., Charney, D., & Southwick, S. (2007). Social support and resilience to stress: From neurobiology to clinical practice. *Psychiatry (Edgmont)*, 4(5), 35–40.
- Richardson, G. E. (2002). The metatheory of resilience and resiliency. *Journal of Clinical Psychology*, 58(3), 307–321. <https://doi.org/10.1002/jclp.10020>

- Seligman, M. E. P., & Csikszentmihalyi, M. (2000). Positive psychology: An introduction. *American Psychologist*, 55(1), 5–14. <https://doi.org/10.1037/0003-066X.55.1.5>
- Shean, M. (2015). Current theories relating to resilience and young people: A literature review. *Victorian Health Promotion Foundation Journal of Social Policy*, 8(2), 1–23.
- Southwick, S. M., Bonanno, G. A., Masten, A. S., Panter-Brick, C., & Yehuda, R. (2014). Resilience definitions, theory, and challenges. *European Journal of Psychotraumatology*, 5(1).
- Sun, Y., Zhang, Q., Zhang, X., & others. (2024). Psychological resilience characteristics of visually impaired adolescents: A qualitative study. *Chinese Journal of Rehabilitation Theory and Practice*, 30(1), 29–35.
- Vella, S.-L., & Pai, N. (2019). A theoretical review of psychological resilience: Defining resilience and resilience research over the decades. *Archives of Medicine and Health Sciences*, 7(2), 233–240.
- Weaver, J. (2009). Risk and resilience in childhood and adolescence. *Journal of Child and Adolescent Psychiatric Nursing*, 22(3), 172–178.
- Windle, G. (2011). What is resilience? A review and concept analysis. *Reviews in Clinical Gerontology*, 21(2), 152–169.
- World Health Organization. (2019). *World report on vision*. Geneva: WHO.
- World Health Organization. (2023). *World report on vision: Progress towards equitable access to eye care*. WHO Press
- Zegeye, T.G., 2020, 'Aninvestigation on the status of resilience amongst adults with blindness in Addis Ababa', *African Journal of Disability*9(0), a628. <https://doi.org/10.4102/ajod.v9i0.628>.

القصة القصيرة جداً: جذور تراثية وتجليات معاصرة (دراسة موازنة)

د. سلوى عثمان أحمد

أستاذ الأدب والنقد المشارك - كلية الآداب - جامعة النيلين

المستخلص

يهدف هذا البحث الموسوم بـ «القصة القصيرة جداً: جذور تراثية وتجليات معاصرة دراسة موازنة بمنهج وصفي تحليلي» إلى الكشف عن الامتداد الجمالي بين السرد العربي القديم والقصة القصيرة جداً الحديثة، من خلال مقارنة مقارنة تُبرز عناصر الاتصال والتجاوز بين النصين. اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي المقارن، فقام بتتبع جذور القصة القصيرة جداً في التراث العربي من خلال الأمثال والمقامات والنوادر والحكايات وحكاية ابن المقفع، ثم قارنها بالنصوص الحديثة لكتاب مثل زكريا تامر، حسن برطال، عبد الله المتقي، وجميلة زنير. أظهرت النتائج أن القصة القصيرة جداً تمثل استمراريةً فنيةً وفكريةً للسرد العربي القديم، إذ تشترك معه في سمات الإيجاز والمفارقة والدهشة، لكنها تختلف عنه في الغاية الجمالية والدلالة الرمزية. فبينما كان التراث السردى يهدف إلى العبرة والتعليم، تسعى القصة الحديثة إلى إنتاج الدهشة وإثارة التأمل. كما كشفت الدراسة أن هذا الفن الجديد يعيد صياغة البلاغة العربية القديمة في قالب معاصر يجمع بين التكثيف اللغوي والانفتاح التأويلي. خلص البحث إلى أن القصة القصيرة جداً ليست قطيعة مع التراث، بل امتداد واعٍ له، وأنها تسهم في تجديد الوعي السردى العربي وفي ترسيخ صلة الإبداع الحديث بجذوره الثقافية القديمة.

الكلمات المفتاحية: القصة القصيرة جداً، التراث، المعاصرة، الموازنة، الإيجاز، المفارقة

Abstract

This research, entitled "The Very Short Story between Tradition and Modernity: A Comparative Descriptive-Analytical Study", aims to explore the aesthetic continuity between classical Arabic narrative heritage and the contemporary very short story. The study adopts a descriptive and analytical comparative approach, tracing the roots of the very short story in Arabic heritage through proverbs, maqāmāt, anecdotes, and the fables of Ibn al-Muqaffā', and comparing them with modern texts written by Zakaria Tamer, Hassan Bartal, Abdallah Al-Mutqi, and Jamila Znire. The results reveal that the very short story represents an artistic and intellectual extension of classical Arabic narration, sharing with it brevity, irony, and surprise, yet differing in purpose and aesthetic orientation. While the traditional narrative sought moral instruction, the modern form aims for aesthetic tension and interpretive openness. The study concludes that this genre reconfigures classical Arabic rhetoric into a contemporary artistic framework that emphasizes linguistic conciseness and symbolic depth. Ultimately, the research confirms that the very short story is not a rupture with tradition but a conscious renewal of it, contributing to the evolution of Arabic narrative aesthetics and preserving the cultural bond between past and present.

Keywords: Very short story, Arabic heritage, modernity, comparison, brevity, irony.

مقدمة:

يُعدّ فن القصة القصيرة جداً واحداً من أبرز الأجناس السردية التي برزت في الأدب العربي الحديث، واستقطبت اهتمام النقاد والدارسين لما تتميز به من كثافة لغوية، وتكثيف دلالي، وعمق فني في مساحة نصية محدودة.

فهني نصوص سردية موجزة تتأسس على الإيجاء والاختزال، وتُراهن على الدهشة والمفارقة بدل الإسهاب والوصف، مما يجعلها شكلاً تعبيرياً يلائم روح العصر وتسارعه المعرفي والإعلامي.

ومع أنّ القصة القصيرة جداً تُعدّ فناً معاصراً في صورتها الجمالية الحديثة، فإن جذورها العميقة تمتدّ إلى التراث العربي القديم، الذي عرف منذ وقت مبكر أشكالاً من السرد الموجز في الحكايات والأمثال والمقامات والنوادر، وكلّها كانت تقوم على الإيجاز البلاغي، والحكمة المكثفة، والموقف الساخر أو الهادف.

ومن هنا فإنّ هذا الفنّ لا ينفصل عن الذاكرة الثقافية العربية؛ بل يُمثّل امتداداً طبيعياً لروح الإيجاز والبيان التي شكّلت أحد أهم خصائص البلاغة العربية.

لقد ظهر هذا الفنّ في العالم العربي خلال النصف الثاني من القرن العشرين، متأثراً بالتجارب العالمية، خصوصاً في أمريكا اللاتينية وأوروبا، غير أنّ الأدب العربي استطاع أن يمنحه هويّة خاصة متأصلة في لغته وبيئته الثقافية.

فأصبح وسيلة للتعبير عن الهمّ الإنساني والاجتماعي والسياسي، بلغة مكثفة تقوم على الرمز والمفارقة والإيجاء، وتستفيد من طاقات اللغة الشعرية دون أن تفقد طابعها السردية.

وتأتي أهمية هذا البحث من كونه يسعى إلى الموازنة بين القصة القصيرة جداً في التراث العربي القديم ونظيرتها في الأدب العربي المعاصر، للكشف عن عناصر الامتداد والتجديد بين الشكلين، وتبين مدى حضور الموروث السردى في البنية الجمالية الحديثة لهذا الفن، مع تحليل الخصائص اللغوية والدلالية التي منحت القصة القصيرة جداً مكانتها في السرد العربي المعاصر.

إنّ دراسة هذا الفن في ضوء التراث تمثل محاولة لفهم العلاقة بين الأصالة والتحديث في السرد العربي، ولإبراز كيف استطاع الكتاب العرب أن يُعيدوا إنتاج القيم الجمالية القديمة في قوالب فنية معاصرة تعبّر عن الإنسان العربي الراهن وتطلّعاته الفكرية والجمالية.

مشكلة البحث:

تتمثّل مشكلة هذا البحث في التساؤل عن العلاقة بين القصة القصيرة جداً الحديثة وجذورها في التراث السردى العربي، وما إذا كانت القصة القصيرة جداً امتداداً طبيعياً لتلك الأشكال القديمة من الحكاية الموزعة، أم تمثّل قطعة فنية وجمالية معها.

كما يتساءل البحث عن مدى تأثير الخصائص البلاغية والإيقاعية في التراث العربي في تشكيل بنية القصة القصيرة جداً الحديثة، وعن الفروق التي تُميّز السرد التراثي القائم على العبرة والحكمة، عن السرد المعاصر الذي يقوم على المفارقة والانفتاح الدلالي.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- تتبع الجذور التراثية لفن القصة القصيرة جداً في الأدب العربي.

- دراسة خصائص القصة القصيرة جداً الحديثة من حيث البنية الفنية والدلالة الجمالية.
- الموازنة بين النص التراثي الموجز والنص القصير جداً المعاصر في ضوء المنهج الوصفي التحليلي.
- الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين القصة التراثية والقصة الحديثة من حيث الموضوع والبناء واللغة.
- إبراز القيمة الجمالية والإبداعية لهذا الفن في تمثيل روح العصر العربي الحديث.

أهمية البحث:

تتبع أهمية هذا البحث من كونه يسعى إلى التوفيق بين الماضي والحاضر في مجال السرد العربي، إذ يدرس فناً حديثاً من منظور تراثي مقارن، مما يثري مجال الدراسات الأدبية.

كما أن القصة القصيرة جداً تمثل اليوم شكلاً تعبيرياً جديداً يعبر عن تحولات المجتمع واللغة والفكر، ومن ثم فإنّ دراستها في ضوء التراث تكشف عن استمرارية الإبداع العربي عبر العصور.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على وصف الظاهرة السردية وتحليلها فنياً ودلالياً، مع توظيف المقارنة بين النماذج التراثية والمعاصرة للكشف عن أوجه التشابه والتمايز بينها.

ويُعنى التحليل بتفكيك عناصر القصة القصيرة جداً من حيث البنية، اللغة، الإيقاع، المفارقة، والرمز، إلى جانب استحضار النماذج التراثية المقابلة لها في المقامات والأمثال والنوادر وغيرها من الأشكال السردية الموجزة.

الدراسات السابقة:

تناولت العديد من الدراسات موضوع القصة القصيرة جداً في الأدب العربي من زوايا مختلفة، فمنها ما ركّز على التحليل الفني والبنوي، ومنها ما تناول البعد الجمالي والدلالي، إلا أن الدراسات التي تناولت علاقة هذا الفن بالتراث العربي القديم قليلة نسبياً.

ومن هنا تأتي خصوصية هذا البحث في كونه يقدم دراسة موازنة تجمع بين البعدين التراثي والمعاصر في معالجة القصة القصيرة جداً، سعياً إلى بناء رؤية نقدية تُبرز الاستمرارية الإبداعية في السرد العربي، وتربط بين الماضي بوصفه ذاكرة أدبية، الحاضر بوصفه تجديداً لتلك الذاكرة بروح العصر.

مفهوم القصة القصيرة جداً في اللغة والاصطلاح

أولاً: في اللغة:

يرتبط أصل كلمة «القصة» بالفعل قَصَّ، وهو في العربية يدلّ على التَّبَع والسرد والإخبار، كما جاء في لسان العرب: «القَصّ: تتبّع الأثر، والقصص: الخبر يُتَّبَع أثره» (ابن منظور، ١٩٩٠م، ج ٧، مادة قص).

وفي المعجم الوسيط ورد أن القصة هي: «الخبر أو الحديث يُساق على وجه التتابع لبيان حدث أو واقعة» (مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤م، ٧٥٣).

أما لفظ «القصة القصيرة جداً» فيُشير إلى المبالغة في القصر، وهو وصف لغوي يُعبّر عن الإيجاز الشديد في المساحة اللفظية، بحيث يُؤدّي الحدث بأقل عدد من الكلمات مع الحفاظ على البنية

السردية.

وبذلك يمكن القول إن المعنى اللغوي لـ القصة القصيرة جداً هو: خبر أو سرد موجز للغاية يُتَّبَع فيه حدث أو موقف إنساني في لغة مكثّفة ودلالات مركّزة.

ثانياً: في الاصطلاح الأدبي الحديث

القصة القصيرة جداً هي جنس سردي معاصر تطوّر عن القصة القصيرة، ويقوم على التكثيف والإيجاز والمفارقة والرمز، ويُعبّر عن حدث أو موقف بلغة مقتصدة مشحونة بالدلالة. عرّفها عبد العزيز المقالح بأنها: "شكل سردي جديد يقوم على أقصى درجات التركيز، ويعتمد على المفارقة والدهشة كآليتين جماليتين لتوليد المعنى" (المقالح، ١٩٩٩ م، ٤١). أما جميلة زنير فترى أنها: "نص سردي فائق القصر، يكفي بلقطة سردية واحدة تؤدي وظيفة رمزية وجمالية مكثّفة" (زنير، ٢٠١٠ م، ١٨). ويذهب عبد الله إبراهيم إلى أنها: "فن يقوم على الاقتصاد اللغوي والاختزال السردى دون التفريط في عمق الدلالة، ويُعدّ من أبرز تجليات الحداثة السردية في الأدب العربي" (إبراهيم، ٢٠١٨ م، ٤١). كما يرى سعيد يقطين أنّ القصة القصيرة جداً تمثل: "تعبيراً مكثّفاً عن التحولات الثقافية الحديثة، فهي ابنة عصر الصورة والسرعة، وتستجيب لشروط القراءة الجديدة في الثقافة الرقمية" (يقطين، ٢٠١٢ م، ٥٥). ويرى حميد لحداني أنّ هذا الفن لا يُقاس بعدد كلماته فحسب، بل بطاقته الإيحائية، إذ "تُستبدل التفاصيل بالتلميح، والسرد بالرمز، والمشهد بالتكثيف" (لحداني، ٢٠١٥ م، ٢٢).

يتضح من خلال التّبع اللغوي والاصطلاحي أنّ القصة القصيرة جداً، رغم حداثة تسميتها، تمتلك جذوراً راسخة في الوعي العربي، لأنّ اللغة العربية بطبيعتها تميل إلى الإيجاز والكثافة والتكثيف الدلالي. فاللفظة في اللسان العربي تُؤدّي معاني متعددة بأقلّ عدد من الألفاظ، وهو ما

ينسجم تماماً مع طبيعة هذا الفن القائم على الاقتصاد اللغوي والإيجاء البلاغي.

أما في بعدها الاصطلاحي النقدي، فإن القصة القصيرة جداً تمثل صياغة فنية حديثة لمفهوم الإيجاز العربي القديم، لكنها تتجاوز الاختصار اللفظي إلى بناء ومضة سردية مشحونة بالدلالة، تحتفي بالمفارقة والدهشة والانفتاح على التأويل. فهي بذلك تزوج بين اللغة بوصفها نظاماً للتكثيف، والفن بوصفه نظاماً للتعبير الجمالي.

ومن هنا يمكن القول إن القصة القصيرة جداً تحقّق توازناً بين الجذر اللغوي العربي والبعد الجمالي الحديث؛ إذ تنطلق من روح البلاغة العربية القائمة على "الإيجاز والبيان"، لكنها تصوغها في شكلٍ سرديٍّ مكثف يعبر عن إنسان العصر وهمومه.

وبذلك يكون هذا الفن امتداداً للبلاغة العربية القديمة بلغة معاصرة، يجمع بين دقّة اللغة وعمق الدلالة، وبين التكثيف اللفظي والانفتاح التأويلي، مما يؤكد أن القصة القصيرة جداً ليست انقطاعاً عن التراث؛ بل استمرارية واعية له بأساليب جديدة تتجاوز زمنها اللغوي لتصنع هوية سردية حديثة ذات جذور أصيلة.

ثالثاً: القصة القصيرة جداً بوصفها جنساً أدبياً مستقلاً

اتفق معظم النقاد على أن القصة القصيرة جداً أصبحت جنساً أدبياً قائماً بذاته، يتميز عن القصة القصيرة والشذرة الأدبية بعدة خصائص بنيوية.

وقد أكد محمد يوب أنّها: "فن سردي له معايير فنية محدّدة، منها التكثيف الدلالي والاقتصاد اللغوي ووحدة الحدث واللحظة الدرامية المكثّفة" (يوب، ٢٠١٢، ٣٧).

كما يرى عبد الرحمن مجيد الربيعي أنّها "فنّ متجدّد يستفيد من البلاغة العربية القديمة القائمة على الإيجاز والإشارة، ويعيد إنتاجها بروح معاصرة" (الربيعي، ٢٠٠٨م، ٦٤).

وتذهب مي التلمساني إلى أنّ القصة القصيرة جداً "تُعدّ شكلاً من أشكال السرد لما بعد حداثي، تُمارس فيه اللغة أقصى طاقاتها للتعبير عن التجربة الإنسانية في أقل مساحة ممكنة" (التلمساني، ٢٠١٦، ٢١). من ثمّ، يتبيّن أن القصة القصيرة جداً تُجسّد تحولاً في مفهوم الكتابة السردية، إذ تُعبّر عن انزياح من التراكم السردى نحو الاقتصاد الجمالي والدلالي، وتُعيد صوغ العلاقة بين اللغة والمعنى في ضوء شعرية التكثيف.

ال جذور التراثية لفن القصة القصيرة جداً:

على الرغم من حداثة مصطلح القصة القصيرة جداً في النقد العربي المعاصر، فإنّ فكرة السرد الموجز والمكثف ليست جديدة على الثقافة العربية، إذ عرف الأدب العربي منذ نشأته أشكالاً سردية قصيرة اتسمت بالإيجاز والرمز والمفارقة، كالأمثال والنوادر والمقامات والحكم والقصص القرآني، وهي أشكال تؤسس لما يمكن تسميته اليوم البنية الجينية لفن القصة القصيرة جداً. إنّ دراسة هذه الجذور لا تهدف إلى إرجاع الفن الحديث إلى التراث فحسب، بل إلى الكشف عن استمرارية الحسّ السردى العربى في تفضيل الإيجاز والدلالة على الإطناب والإسهاب، وهو ما يجعل القصة القصيرة جداً امتداداً حداثياً لفكرٍ بلاغى وجمالى قديم.

أولاً: السرد الموجز في التراث العربى

تُعدّ الحكاية العربية القديمة من أوائل الأشكال التي اتسمت بالإيجاز والتركيز، فقد انتشر في العصر الجاهلي والإسلامي سردٌ قصير يعتمد على الموقف والعبرة، ويهدف إلى نقل تجربة إنسانية أو حكمة أخلاقية بعبارات موجزة.

وقد أشار طه حسين إلى أنّ العرب القدماء كانوا "أبرع الأمم في فن الحكاية القصيرة المكثفة"، إذ استطاعوا أن يصوغوا في جمل قليلة "صورة كاملة لحادثة ذات مغزى إنساني" (انظر: حسين، ١٩٥٤م، ١١٢).

ويتجلى هذا النمط في القصص القرآني، الذي يُعدّ من أبرز النماذج على الاختصار الدلالي والتكثيف البلاغي، حيث تُروى الحكاية في بضع آيات تحيط بالحدث والشخصيات والدلالة في آنٍ واحد، مثل قصة "أصحاب الكهف" أو "أصحاب الجنة"، وهي قصص قصيرة في حجمها، لكنها غنية بالإيحاء والرمز والمعنى.

وقد رأى محمد عبد المطلب أنّ القصص القرآني قدّم "النواة الأولى للسرد المكثف في الأدب العربي؛ لأنه يقوم على الإيجاز الموحى، والبنية السردية المحكمة، والنهاية المفاجئة أحياناً" (عبد المطلب، ٢٠١٠م، ٤٥).

ثانياً: الإيجاز والتكثيف في الأمثال والحكم

يُعدّ المثل العربي أحد أهم أشكال السرد الموجز في التراث العربي، فهو يقوم على الاقتصاد اللغوي والتركيز الدلالي والدهشة البلاغية.

يقول ابن عبد ربه الأندلسي: "الأمثال وشي الكلام وجوامع الحكم" (ابن عبد ربه، ١٩٨٣م، ٧).

فالمثل يختصر تجربة إنسانية كاملة في جملة أو كلمتين، مثل قولهم: "يداك أوكتا وفوك نفخ"، أو "رجع بخفي حنين".

وهذه الأمثال تحمل في طياتها حكاية كاملة خلف العبارة المختزلة، وهي بذلك تشبه القصة القصيرة جداً في تركيزها على المفارقة والدلالة النهائية.

ويرى صلاح فضل أنّ الأمثال "تمثل أقدم أشكال التكثيف السردى في الأدب العربي، حيث تختزل الحكاية في صورة لفظية موجزة تفتح المجال لتأويلات متعددة" (فضل، ١٩٩٢ م، ٦٣).

ثالثاً: النوادر والمقامات بوصفها نماذج سردية موجزة

قدّمت النوادر والمقامات في الأدب العربي صورة متقدمة من الفن السردى المكثف، إذ تقوم على موقف واحد أو حدثٍ قصير يُعبّر عن معنى اجتماعي أو ساخر أو أخلاقي.

وتُعدّ مقامات بديع الزمان الهمداني (ت ٣٩٨هـ) من أبرز النماذج التي جمعت بين السرد الفني والإيجاز اللغوي، إذ تقوم المقامة على حدثٍ بسيط يتكرر في إطار لغوي محكم.

يقول الهمداني في مقدمة مقاماته: "ابتدعت هذا الفن لما رأيتُ من ميل الناس إلى النوادر والأخبار التي تروق الأسماع وتدهش الألباب" (الهمداني، ١٩٩٧ م، ٤).

ويرى عبد الفتاح كيليطو أنّ المقامات "تمثّل شكلاً مبكراً للسرد القصير المركز، إذ تجمع بين الحيلة السردية والبناء الحكائي المختصر" (كيليطو، ١٩٨٣ م، ٢٧).

كما تُعدّ نوادر الجاحظ مثلاً آخر على الإيجاز الحكائي، فهي قصص قصيرة جداً في حجمها، لكنها تُعبّر عن مواقف إنسانية واجتماعية غنية بالدلالة.

وقد لاحظ يوسف الشاروني أنّ "نواذر الجاحظ تقوم على المفارقة الساخرة والختام المدهش، وهي سمات تتكرر في القصة القصيرة جداً المعاصرة" (الشاروني، ١٩٩٨ م، ١٠٢).

رابعاً: التناص بين السرد التراثي والسرد الحديث

إنّ كثيراً من كتّاب القصة القصيرة جداً في العصر الحديث استلهموا التراث السردى العربى، فأعادوا إنتاجه برؤية فنية جديدة.

وقد أشار ياسين النصير إلى أنّ هذا الفن "يستمدّ روحه من المقامات والنوادر والأمثال ؛ لكنه يعيد صياغتها ضمن حساسية الحداثة المعاصرة "(النصير، ٢٠٠٥م، ٥٨).

فالقصة القصيرة جداً الحديثة تُمارس تناصاً خفياً مع تلك النصوص القديمة، من خلال استحضار أسلوب الحكمة، والمفارقة، والمشهد المكثف، واللغة الرمزية.

وبذلك يُمكن القول إنّ القصة القصيرة جداً ليست انقطاعاً عن التراث؛ بل امتداداً له في شكل جديد يناسب لغة العصر وذائقته الفنية.

يتّضح من هذا العرض أن التراث العربى زاخراً بصيغ سردية موجزة تُعدّ جذوراً فكرية وجمالية للقصة القصيرة جداً المعاصرة. فمن القصص القرآني إلى الأمثال والمقامات والنوادر، نجد أن الاقتصاد اللغوي، والمفارقة، والإيجاز البلاغي كانت سمات أصيلة في السرد العربى.

ومن هنا، فإن القصة القصيرة جداً ليست وافداً غريباً بحثاً؛ بل هي تجديد لتقديم بلغة معاصرة، تُعبّر عن استمرارية الحسّ البلاغى العربى في أشكاله الجديدة.

البنية الحكائية في السرد التراثي:

تتّسم النصوص التراثية القصيرة (الأمثال، المقامات، النوادر) ببنية حكاية مكتملة العناصر رغم قصرها ؛ فهي تبدأ بموقف أو حدث، ثم صراع، فخاتمة ذات مغزى.

وتقوم الحبكة على المفارقة أو الخداع أو الحكمة. وقد لاحظ عبد الله الغدامي أنَّ "النصوص العربية القديمة تمتلك بذور الحبكة القصصية الحديثة، لأنها تُبنى على المشهد الدرامي لا على السرد الخطي" (الغدامي، ٢٠٠٧م، ٥٩). هذه البنية القائمة على الحدث الواحد والشخصية المحدودة والمغزى الختامي، هي ما ستتطور لاحقاً لتصبح القصة القصيرة جداً التي تحتفظ بالبنية نفسها ولكن في إطار لغوي حديث.

أثر البلاغة العربية في القصة القصيرة جداً:

تتجلى العلاقة بين البلاغة العربية القديمة وفن القصة القصيرة جداً في ثلاثة عناصر رئيسية:

- الإيجاز والإيحاء:

وهو من صميم البلاغة، إذ يركّز على المعنى الكامن لا الظاهر.

- المفارقة والانزياح:

فكما في المقامات، تُستخدم اللغة للتورية والتناقض، وهو ما نجده في القصة الحديثة.

- الدهشة والنهاية المفتوحة:

وهي من خصائص النادرة والمثل، وتُعدّ اليوم سمة بنيوية في القصة القصيرة جداً.

ومن ثمّ فإنّ هذا الفن الحديث ليس قطيعة معرفية مع الماضي، بل هو امتداد للجاليات البلاغة العربية في إطار حدثي جديد.

من خلال استعراض النصوص التراثية، يتضح أنّ التراث العربي أسّس مبكراً لفكرة السرد

الموجز، وأن القصة القصيرة جداً ليست وافداً غريباً، بل تحوّل جمالي للتراث السردي العربي؛ فالقصص القرآني قدّم التكثيف الدلالي، والأمثال رسّخت المفارقة الحكيمة، والمقامات والنوادر صاغت البناء القصصي الموجز. وكلّها عناصر تجتمع اليوم في القصة القصيرة جداً، التي تمثّل استمراراً لروح البلاغة العربية القديمة في قالب معاصر.

القصة القصيرة جداً في الأدب العربي المعاصر:

شهد الأدب العربي خلال النصف الثاني من القرن العشرين تحولات نوعية في بنية السرد، إذ بدأت النصوص السردية تتجه نحو التكثيف والإيجاز، لتعبّر عن التحولات الفكرية والاجتماعية التي عرفها العالم العربي.

ومن رحم هذه التحولات وُلد فنّ القصة القصيرة جداً، الذي مثّل أحد أبرز أشكال التجديد في الأدب العربي الحديث.

لقد جاءت القصة القصيرة جداً استجابة لروح العصر، عصر السرعة والصورة والوسائط الرقمية، فقدّم الكتاب نصوصاً صغيرة الحجم، لكنها كبيرة الأثر، تعتمد على الإيجاز والمفارقة والدهشة بدل السرد المطوّل، وتفتح النص على تأويلات غير محدودة.

ويرى عبد الله إبراهيم أن القصة القصيرة جداً هي "فنّ الحدّ الأقصى من الاقتصاد اللغوي، يمتح من الشعر لغته، ومن القصة منطقها السردية، ويعبّر عن انكسارات الواقع الحديث بكثافة رمزية عالية" (عبد الله إبراهيم، ٢٠١٨م، ٤٤).

وفي هذا السياق، أصبحت القصة القصيرة جداً جنساً أدبياً مستقلاً له قواعده الجمالية وسماته الأسلوبية، وأصبح يُدرّس في الجامعات ويُحلّل في المؤتمرات النقدية.

أولاً: نشأة القصة القصيرة جداً في الأدب العربي

يرجع النقاد بدايات هذا الفن إلى الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، حين بدأ عدد من الكتّاب العرب يجربون أشكالاً سردية قصيرة جداً تقوم على المفارقة والاختزال، متأثرين بالنماذج العالمية مثل أوغسطو مونتيروسو وهيمنغواي.

لكنّ الخصوصية العربية لهذا الفن تجلّت في ارتباطه بالبيئة الاجتماعية والسياسية العربية، فقد كانت القصة القصيرة جداً أداة للتعبير عن القمع، والحرب، والانكسار، والأمل في الوقت نفسه.

وقد أشار سعيد يقطين إلى أن ظهور القصة القصيرة جداً في العالم العربي "كان استجابة لتحولات القراءة الحديثة، حيث تغيّرت علاقة القارئ بالنص من التلقّي الطويل إلى التفاعل السريع المكثّف" (سعيد يقطين، ٢٠١٢م، ٦٢).

أما حميد حمداني (٢٠١٥م) فيرى أنّ هذا الفنّ "جاء نتيجة تطور داخلي في السرد العربي، فهو لم يُستورد من الغرب بل وُلد من رحم الحاجة إلى التعبير الموجز" (حميد حمداني، ٢٠١٥م، ٢٤).

ويُعدّ زكريا تامر في سوريا ومحمد زفزاف وحسن برطال وعبد الله المتقي في المغرب من أوائل من رسخوا لهذا الفن في العالم العربي.

ثانياً: الخصائص الفنية والجمالية للقصة القصيرة جداً

تقوم القصة القصيرة جداً على مجموعة من السمات الفنية التي تمنحها خصوصيتها الجمالية،

من أبرزها ما يلي:

١/ التكثيف والإيجاز:

الإيجاز هو السمة المركزية في القصة القصيرة جداً، إذ تُقال الفكرة بأقل عدد ممكن من الكلمات، مع الحفاظ على العمق الدلالي والانفعال الجمالي. يقول محمد يوب "القصة القصيرة جداً هي الاقتصاد في اللغة دون المساس ببراء الدلالة" (يقول محمد يوب، ٢٠١٢ م، ٣٩).

٢/ الدهشة والمفارقة:

تُبنى القصة القصيرة جداً على المفارقة السردية أو اللغوية، التي تُحدث انزياحاً في المعنى وتُولّد الدهشة في نهاية النص. ويرى عبد الرحمن مجيد الربيعي أنّ "المفارقة في القصة القصيرة جداً تُعدّ روحها النابضة، فهي اللحظة التي يتبدّل فيها المعنى وينقلب التوقع إلى صدمة جمالية" (عبد الرحمن مجيد الربيعي، ٢٠٠٨ م، ٧٢).

٣/ الرمزية والانفتاح الدلالي:

تجنح القصة القصيرة جداً إلى الرمز، وتُقدّم الحدث في صورة مكثّفة تفتح النص على التأويل. يقول مي التلمساني "القصة القصيرة جداً نصّ مفتوح بطبيعته، يقوم على الإيحاء، ويجعل المتلقي شريكاً في إنتاج المعنى" (مي التلمساني، ٢٠١٦ م، ٢٣).

٤/ اللغة الشعرية والإيقاع الداخلي:

القصة القصيرة جداً ليست شعراً، لكنها تستعير لغته، فهي تعتمد على الإيقاع، والاختزال، والانزياح اللغوي. ويشير عبد العزيز المقالح إلى أنّ "القصة القصيرة جداً تُعيد للغة بريقها عبر

التكثيف والتصوير والاستعارة" (عبد العزيز المقالح، ١٩٩٩ م، ٤٩).

٥ / النهاية الصادمة أو المفارقة:

غالباً ما تنتهي القصة القصيرة جداً بخاتمة مفاجئة، تُعيد قراءة النص من جديد.

يقول حسن برطال "النهاية المفارقة ليست خاتمة للحدث، بل بداية لمعنى آخر يُخلفه النص

في ذهن القارئ" (حسن برطال، ٢٠١٠ م، ٣١)

ثالثاً: الموضوعات والدلالات في القصة القصيرة جداً

تنوّعت موضوعات القصة القصيرة جداً في الأدب العربي الحديث، لكنها حافظت على

سمة مشتركة هي الانشغال بالإنسان في مواجهة الواقع.

ومن أبرز هذه الموضوعات ما يلي:

١ / الاغتراب والخيبة:

تجسّد كثير من القصص القصيرة جداً مأساة الإنسان العربي المعاصر في ظل التسلّط والقمع

والضيق، كما عند زكريا تامر وعبد الله المتقي.

٢ / المقاومة والسخرية:

استخدم بعض الكتّاب السخرية بوصفها سلاحاً فنياً ضد الواقع السياسي والاجتماعي، كما

فعل برطال في قصصه القصيرة جداً ذات المفارقة الساخرة.

٣/ المرأة والهوية:

رَكَزَت بعض الكاتبات العربيات مثل جميلة زنير وليلى العثمان على معاناة المرأة في مجتمع ذكوري، مستخدمات القصة القصيرة جداً بوصفها مساحة للتعبير المكثف عن الذات.

٤/ الهمّ الوجودي:

تميل القصة القصيرة جداً إلى التعبير عن أسئلة المصير، والموت، والزمن، من خلال مشاهد رمزية قصيرة تنطوي على عمق فلسفي.

رابعاً: البنية السردية للقصة القصيرة جداً

تتميّز القصة القصيرة جداً ببنية سردية خاصة تختلف عن القصة التقليدية. وقد حدّد محمد مفتاح مكوناتها في:

١/ الحدث المفرد المكثف.

٢/ الشخصية الموحية لا المرسومة.

٣/ الزمن الموجز.

٤/ اللغة الشعرية.

٥/ النهاية الانفجارية (محمد مفتاح، ١٩٨٥م، ١٣٩).

وفي دراسة سعيد يقطين ، تُوصف القصة القصيرة جداً بأنها "نصّ سردي يعتمد على

التركيب الدلالي أكثر من التسلسل الزمني، وأن الحدث فيها لحظة إدهاش لا تسلسل سردي".
(سعيد يقطين، ٢٠١٢م، ٧٧).

خامساً: أبرز كتّاب القصة القصيرة جداً في العالم العربي

يمكن تقسيم رواد هذا الفن في العالم العربي إلى مجموعتين أساسيتين:

١/ الجيل المؤسس: (من الستينيات إلى الثمانينيات)

- زكريا تامر (سوريا):

كتب قصصاً قصيرة جداً تحمل نزعة إنسانية ومفارقة قاسية. ومن مجموعاته النمر في اليوم العاشر وربيع في الرماد..

- محمد زفزاف (المغرب):

عبّر عن الطبقات المهمشة بلغة شعرية مكثفة.

- يوسف إدريس (مصر):

رغم شهرته في القصة القصيرة، كتب نصوصاً وجيزة تحمل خصائص القصة القصيرة جداً.

٢/ الجيل الحديث: (من التسعينيات إلى اليوم):

- حسن برطال (المغرب):

يُعدّ من أبرز كتّاب هذا الفن، يمزج بين السخرية والمفارقة والرمز. من أعماله قصص قصيرة

جداً (٢٠١٠م)

- عبد الله المتقي (المغرب):

يمتاز نصّه بالرمزية واللغة الشعرية العالية، كما في قليلاً من الموت (٢٠١٣م).

- جميلة زنير (الجزائر):

تناولت قضايا المرأة والهوية بأسلوب مكثف ومؤلم.

- مي التلمساني (مصر):

قدّمت نصوصاً قصيرة ذات بعد إنساني وفلسفي عميق.

- فاطمة السنوسي (السودان)

- علي إدريس (السودان)

سادساً: البنية الجمالية المقارنة بين القصة القصيرة جداً والتراث

إنّ القصة القصيرة جداً تمثل في جوهرها تحديثاً للتراث السردي العربي، فهي تُعيد إنتاج مبدأ الإيجاز البلاغي والمفارقة الحكيمة في قالب حديث. فالمفارقة التي نجدها في الأمثال والنوادر هي نفسها التي تظهر في القصص الحديثة لكن في سياق واقعي رمزي.

ويؤكد ياسين النصير أنّ القصة القصيرة جداً "استعادت الروح البلاغية للغة العربية، لكنها حملتها أسئلة العصر، فجمعت بين حكمة الماضي وقلق الحاضر". (ياسين النصير، ٢٠٠٥م، ٦١).

وبهذا تُعدّ القصة القصيرة جداً في الأدب العربي المعاصر أحد أبرز مظاهر التجديد السردي، إذ جمعت بين الإيجاز البلاغي التراثي والحدث اللغوية.

وقد أسّس كتّابها لبنية فنية تقوم على المفارقة، والرمز، والدهشة، لتصبح مرآة دقيقة لروح العصر العربي الحديث. كما أنّ هذا الفن أعاد الاعتبار إلى البلاغة العربية بوصفها طاقة جمالية متجددة قادرة على التعبير عن قضايا الإنسان المعاصر.

دراسة تطبيقية مقارنة بين القصة القصيرة جداً في التراث والمعاصرة:

وفي هذا المحور تُجرى الموازنة التطبيقية بين نماذج سردية تراثية قصيرة كالأمثال والمقامات وال نوادر، وبين نماذج من القصة القصيرة جداً الحديثة، بغرض الكشف عن البنية الجمالية والفكرية المشتركة، وملامح التجديد في الشكل والمضمون.

إنّ ما يجمع بين النصين التراثي والمعاصر هو الإيجاز والمفارقة، غير أنّ الفارق الجوهرى بينهما يكمن في الغاية الجمالية ووظيفة اللغة؛ فبينما كان التراث يهدف إلى الحكمة والعبرة، تسعى القصة الحديثة إلى إثارة الدهشة والتأويل والانفتاح المعنوي.

نموذج مثل "رجع بخفي حنين" مقابل قصة "التبديل" لبرطال:

١/ البنية السردية:

يُعدّ هذا المثل من أشهر الأمثال العربية، وتروي الروايات أنّ حُنيماً كان إسكافياً في الحيرة، خدعه أحد الأعراب في صفقة، فأراد الانتقام منه، فترك له خفّاً على طريقه، ثم خفّاً آخر في مكان لاحق، فانشغل الأعرابي بجمعهما، ورجع إلى قومه خالي الوفاض فقيل فيه: "رجع بخفي حنين"

(ابن عبد ربه، ١٩٨٣ م، ٣٧)

٢/ الدلالة:

يحمل المثل معنى الخسارة والمفارقة الساخرة، حيث تتكشف الحكاية في عبارة موجزة ذات طابع تصويري، تحمل حكمة وتجربة إنسانية في بضع كلمات.

وهنا نجد مبدأ الاقتصاد السردى الذي يقوم على الإيجاء بدل السرد المباشر، وهو ما يجعل هذا المثل أقرب إلى القصة القصيرة جداً في بنيته الكلية.

٣/ المقارنة:

في القصة الحديثة، نجد البنية ذاتها عند حسن برطال في قصته "التبديل"، إذ يقول: "دخل إلى السوق لبيع ظله، فعاد بلا جسد." (برطال، ٢٠١٠ م، ١٩).

النصان يتشابهان في المفارقة والدهشة: فكلاهما يقدم مشهداً موجزاً ينتهي بخسارة مضاعفة. لكن الفرق أنّ المثل ينتهي بحكمة اجتماعية واضحة، بينما القصة الحديثة تنتهي بدهشة رمزية مفتوحة الدلالة.

نموذج من مقامات الهمذاني مقابل قصة "الشيخ والطفل" للمتقي :

في مقامة الكوفية يروي بديع الزمان الهمذاني قصة قصيرة عن المحتال أبي الفتح الإسكندري، الذي يتظاهر بالورع والفقر ليستدرّ العطف والمال، ثم يختفي بعد أن يخدع الناس (الهمذاني، ١٩٩٧ م، ص ١١٢).

١/ التحليل البنيوي:

تقوم المقامة على حبكة مفارقة متكررة: خداع + دهشة + حكمة. وفيها يظهر الحدث في مشهد سردي قصير، تتحكم فيه اللغة البلاغية المسجوعة والإيقاع اللفظي المكثف.

٢/ المقارنة:

في المقابل، نجد في القصة القصيرة جداً الحديثة عند عبد الله المتقي في قصته "الشيخ والطفل": "اقترب منه الطفل وسأله: ما الحكمة؟ أجابه الشيخ: أن تموت وأنت تظن أنك حي". (المتقي، ٢٠١٣م، ص ٢٨).

كلتا القصتين تعتمدان على الحوار القصير الذي ينتهي بمفارقة دلالية، إذ يتحول الحوار إلى وسيلة لتعرية الذات. لكن الهمذاني يوظف الحوار للوعظ الأخلاقي، بينما يوظفه المتقي لتفجير الأسئلة الوجودية. وهذا الانتقال من الخطاب الأخلاقي إلى الوجودي هو ما يعبر عن التحول الجمالي في السرد العربي المعاصر.

نموذج نادرة من الجاحظ

في كتاب البخلاء، يروي الجاحظ نادرة بعنوان "بخيل وأضيافه"، يُقدّم فيها مشهداً لبخيل يستضيف ضيوفه دون أن يطعمهم، ويختتم الجاحظ الحكاية بقوله: "فما طعموا شيئاً، وما وُصف لهم إلا الكرم!" (الجاحظ، ١٩٦٥م، ٩٣).

١/ التحليل الجمالي

هنا تتكثف المفارقة الساخرة في النهاية، حيث يتقاطع القول والفعل في صورة تهكمية.

والحكاية قصيرة جداً لكنها تترك أثراً نفسياً عميقاً في المتلقي.

٢/ المقارنة:

يقابلها في القصة القصيرة جداً الحديثة نص جميلة زنير في قصتها "عشاء بارد": "وضع الطعام على المائدة، ثم جلس وحده يتأمل صور أحبائه على الجدار". (زنير، ٢٠١٠م، ٤٤).

النصان متشابهان من حيث الموقف البسيط المكثف، وكلاهما يعكس الوحدة والخيبة الإنسانية. لكن بينما يُعبّر الجاحظ عنها بالسخرية الاجتماعية، تُعبّر زنير عنها بالمفارقة الوجدانية والرمز الهادئ.

نموذج تحليل نص قرآني بوصفه نموذجاً للسرد الموجز مقابل قصة "الضوء" لذكريا تامر:

في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (يس: ٢٠) نجد مشهداً قصصياً متكاملًا في آية واحدة: شخصية، حركة، خطاب، وحبكة.

وهذا النموذج القرآني يُعبّر عن الاقتصاد المعجز في اللغة، إذ تختزل الجملة حدثاً كاملاً في صورة متحركة.

ويرى (عبد المطلب، ٢٠١٠م، ٤٨) أن هذا النمط من السرد "يُقدّم الحدث في ومضة لغوية تجمع بين البيان والإيجاز، وهو ما يجعل القصص القرآني أصلاً جمالياً لفن السرد المكثف الحديث". ويقابله في الأدب الحديث نص ذكريا تامر في قصته "الضوء": "أشعل شمعة في العتمة، فأحرق أصابعه، وضحك." (تامر، ١٩٩٤م، ٢٧).

في كلا النصين الومضة والحركة والمغزى، لكن الفرق أن النص القرآني يوجّه القارئ نحو

الإيمان والعبرة، بينما نص تامر يوجّه نحو الوعي بالخذلان والتمرد الإنساني.

نموذج “النملة والصرصور” بين قصة ابن المقفع والقصة القصيرة جداً الحديثة:

١/ النص التراثي:

يروى ابن المقفع في كلیلة ودمنة قصة قصيرة عن نملة جمعت الطعام طيلة الصيف، بينما قضى الصرصور وقته غناءً وهواً، فلما جاء الشتاء، جاءت الصرصور فطلبت من النملة المساعدة، فقالت له بحدة: “غنّ الآن كما كنت تغني في الصيف”. (ابن المقفع، ١٩٨٦ م، ٤٤).

٢/ التحليل:

النص يقوم على المفارقة الأخلاقية والدرس الاجتماعي، ويُقدّم حبكة قصيرة جداً ذات هدف تربوي. إنه يجمع بين البنية القصصية الموجزة والنهاية الحكيمة المفاجئة.

٣/ المقارنة:

يقابل هذا النص في الأدب الحديث قصة عبد الله المتقي بعنوان “حلم الذبابة:” ووقفت الذبابة على وجه الملك، فابتسم لها، وحين غابت، أمر بقتل كل الذباب. (المتقي، ٢٠١٣ م، ٣٣)

القصة الحديثة تحافظ على الإيجاز والمفارقة، لكنها لا تُقدّم حكمة جاهزة، بل تفتح باب التأمل في السلطة والعنف والنفاق. الفارق أن قصة ابن المقفع تعليمية، بينما القصة القصيرة جداً تأملية رمزية.

نموذج قصة "الصيد والعصفور" (من التراث) مقابل قصة "الفراغ" لزكريا تامر:

١/ النص التراثي:

في التراث الشعبي قصة قصيرة متداولة عن صياد أمسك عصفوراً، فقال له العصفور: "إن تركتني أعلمك ثلاث حكم. "تركه الصياد، فقال له: "لا تندم على ما فات، ولا تصدق ما لا يمكن، ولا تطمع فيما لا تملك". ثم قال له: "في جوفي لؤلؤة تزن مثقال ذهب!" فأخذ الصياد يندم، فقال له العصفور: "قلتُ لك: لا تندم على ما فات". (ابن الجوزي، ١٩٩٢ م، ٧٧).

٢/ التحليل:

القصة موجزة جداً، تنتهي بمفارقة تعليمية واضحة، وتقدم حواراً قصيراً، وشخصيتين، ونهاية مكثفة - أي كل عناصر القصة القصيرة جداً المعاصرة.

٣/ المقارنة:

في المقابل، نجد عند زكريا تامر في قصة "الفراغ": "جلس أمام التلفاز، فامتلاً بالضجيج، وحين أطفأه، وجد أن رأسه فارغ." (تامر، ١٩٩٤ م، ٥٤).

النصان يتشابهان في الهيكل الموجز والنتيجة المفارقة، لكن أحدهما يدعو إلى الحكمة العقلية، والآخر يعبر عن الاغتراب الوجودي في حضارة الاستهلاك. وكلاهما يقدم لحظة وعي مفاجئة تُعيد بناء الموقف داخل ذهن القارئ.

نموذج من الأمثال “سبق السيف العذل” مقابل قصة “رصاصه” (حسن برطال):

١ / المثل التراثي:

المثل العربي “سبق السيف العذل” يُحكى عن رجل قتل غريمه، ثم ندم بعد فوات الأوان، فقليل فيه المثل. (ابن عبد ربه، ١٩٨٣ م، ٤٥).

٢ / التحليل:

النص يحمل حبكة درامية قصيرة جداً تتكوّن من: فعل - ندم - حكمة. وفيها جوهر القصة القصيرة جداً: الحدث المفرد والمفارقة الختامية.

٣ / المقارنة:

يقابله في القصة الحديثة نصّ حسن برطال بعنوان “رصاصه”: “أطلق النار عليه... فأصاب قلبه... ثم اكتشف أنه كان يصوّب إلى مرآته.” (برطال، ٢٠١٠ م، ٢٨).

كلتا القصتين تُعبّران عن الفعل السابق للتفكير، لكن في حين ينتهي المثل بعظة أخلاقية، تنتهي القصة الحديثة بدهشة مأساوية وجودية.

نموذج “العابد واللص” في التراث مقابل “قناع” لعبد الله المتقي:

١ / النص التراثي:

في بعض كتب الزهد تروى حكاية قصيرة عن عابدٍ يظنّ أنه أطهر من الناس، فيسرق اللص طعامه فيقول: “الحمد لله الذي رزقه على يديّ”. (المنقري، ١٩٨٠ م، ١١٤).

٢ / التحليل:

القصة موجزة جداً، تنتهي بمفارقة أخلاقية تدعو إلى التواضع.

٣ / المقارنة:

في قصة عبد الله المتقي "قناع"، يقول: "ابتسم أمام المرأة، فتذكر أن يخلع قناعه قبل النوم." (المتقي، ٢٠١٣ م، ٤١).

النصان يشتركان في التقابل بين الظاهر والباطن، لكنّ القصة الحديثة تقدّم المفارقة في صيغة رمزية نفسية، بينما الحكاية التراثية تقدمها في إطار أخلاقي.

نموذج قصة "الغراب والثعلب" (ابن المقفع) مقابل قصة "الصوت" (جميلة زنير):

١ / النص التراثي:

يحكي ابن المقفع عن غرابٍ سرق قطعة جبن وجلس على غصن شجرة، فجاء الثعلب يمدحه حتى فغر فاه لسمع صوته، فسقطت الجبنة، فأكلها الثعلب (ابن المقفع، ١٩٨٦ م، ٥٥).

٢ / التحليل:

القصة قصيرة جداً، فيها شخصيتان، حدث واحد، مفارقة ختامية، وحكمة واضحة.

٣ / المقارنة:

في قصة جميلة زنير "الصوت" تقول: "غنت كثيراً، فلم يسمعها أحد... حتى ماتت، فصقّوا

طويلاً." (زنير، ٢٠١٠م، ٤٧).

القصة الحديثة تعيد بناء المفارقة ذاتها: الغرور، والخداع، والانكشاف، لكنها تفعل ذلك ضمن رؤية رمزية للزيف الاجتماعي. الاثنان تستعملان آلية المفارقة لإنتاج التأثير النفسي، لكنّ المغزى الأخلاقي القديم تحوّل إلى مغزى اجتماعي حديث.

نموذج "جحا والحمار" مقابل قصة "الظل" (زكريا تامر):

١/ النص التراثي:

يروى عن جحا أنه باع حماره ثم جلس يبكي عليه، فسأله: "لماذا تبكي؟" فقال: "أبكي لأنني لم أبع نفسي معه!" (ابن الجوزي، ١٩٩٢م، ١٣٢).

٢/ التحليل:

النص شديد القصر، يعتمد على المفارقة الساخرة، ويُبرز النزعة الإنسانية في مواجهة العبث.

٣/ المقارنة:

في قصة زكريا تامر "الظل": "هرب من ظله، فاخْتَبَأ خلف نفسه." (تامر، ١٩٩٤م، ٤٢).

القصة القصيرة جداً هنا تستبدل السخرية بالرمز، وتُحوّل المفارقة الكوميديّة إلى مفارقة وجودية. كلاهما يكشف عن مأزق الإنسان في مواجهة ذاته، لكنّ جحا يثير الضحك، وتامر يثير التأمل.

الخاتمة:

من خلال هذه النماذج المتعددة، يمكن ملاحظة ما يلي:

- البنية السردية واحدة: حدث محدود، شخصيتان، نهاية مكثفة.
- آلية المفارقة مستمرة: من الحكمة إلى الرمزية.
- اللغة تطوّرت من البيان إلى الإيحاء.
- الغاية انتقلت من التعليم إلى التلقي الجمالي المفتوح.
- الإنسان ظل محور النص، من العبرة القديمة إلى الوعي الحديث.

وهذا يؤكد أن القصة القصيرة جداً ليست فناً منفصلاً عن التراث، بل هي وريث شرعي للنوادر والأمثال والمقامات، لكنها تُعيد إنتاجها وفق وعي حديث ومناخ فكري جديد.

دراسة موازنة بين القصة القصيرة جداً في التراث والمعاصرة:

تُعدّ الموازنة النقدية بين التراث الأدبي العربي القديم والقصة القصيرة جداً الحديثة مدخلاً أساسياً لفهم العلاقة بين الأصالة والتجديد في السرد العربي. فالفن الحديث - رغم حداثة تسميته ومقاييسه الجمالية - هو استمرار لتقاليد سردية راسخة في الأدب العربي، قامت على الإيجاز والدهشة والحكمة والمفارقة، وهي سمات تتكرر اليوم في نصوص القصة القصيرة جداً المعاصرة. ومن ثم، فإنّ هذه الموازنة لا تقتصر على المقارنة الشكلية؛ بل تسعى إلى إبراز روح السرد العربي الواحد عبر تحولاته التاريخية، وكيف استطاع الكاتب العربي الحديث أن يُعيد توظيف القيم البلاغية التراثية في إطار لغوي حديث يستجيب لأسئلة الواقع المعاصر.

أولاً: الإيجاز بين البلاغة القديمة والتكثيف الحديث

يشكّل الإيجاز القاسم الجمالي المشترك بين القصة التراثية والقصة الحديثة. ففي التراث العربي، يُعدّ الإيجاز من أرقى مقاييس البلاغة، كما ذكر الجرجاني أنّ "الإيجاز من البلاغة بمنزلة الروح من الجسد" (الجرجاني، ١٩٥٩م، ٢١١).

وفي القصة القصيرة جداً الحديثة، تحوّل هذا الإيجاز إلى مبدأ بنائي، إذ أصبحت القصة تُكتب على نحو يوحي أكثر مما يقول. ويرى عبد الله إبراهيم أنّ التكثيف في القصة القصيرة جداً "يمثل تحديثاً لمبدأ الإيجاز البلاغي، لكنه لا يكتفي بالاختصار اللفظي، بل يُحوّل اللغة إلى فضاء تأويلي يتجاوز حدود الكلام المباشر". (عبد الله إبراهيم، ٢٠١٨م، ٤٣) فالفرق بين الإيجاز القديم والتكثيف الحديث هو أن الأول كان بلاغياً تعليمياً يهدف إلى العبرة والحكمة، بينما الثاني جمالي تأويلي يُراد منه إشراك القارئ في بناء المعنى.

ثانياً: المفارقة بين النادرة الحديثة والمثل التراثي

تُعدّ المفارقة مكوّناً بنوياً أساسياً في كلّ من المثل التراثي والقصة القصيرة جداً الحديثة. فالمثل العربي يقوم على الموقف المدهش أو المتناقض الذي يُحتزل في عبارة مكثفة، مثل قولهم: "يُقتل القتل ويمشي في جنازته"، وفيها مفارقة بين الجرم والمظهر الاجتماعي، تشبه إلى حد كبير المفارقة التي ينتهي بها كثير من قصص حسن برطال.

يرى أنّ المثل العربي "يجسد المفارقة الدلالية، حيث يتعايش المعنى الحقيقي والمجازي في لحظة لغوية واحدة (صلاح فضل، ١٩٩٢م، ٦٧)". وهذه الثنائية نفسها نجدها في القصة القصيرة جداً التي "تُبنى على مفارقة تقلب التوقع السردى إلى إدهاش جمالي" (الربيعي، ٢٠٠٨م، ٧١)

فالمثل التراثي والقصة القصيرة جداً يلتقيان في آلية المفارقة، لكن الفرق في المقصد: فالمثل يُراد به الوعظ والتعليم، بينما القصة الحديثة تُراد بها الدهشة الجمالية والانفتاح التأويلي.

ثالثاً: البناء السردى بين المقامة والقصة الحديثة

تقدّم المقامات نموذجاً فنياً للسرد القصير المكثف. فهي تعتمد على حبكة واحدة متكررة، وشخصية ثابتة، ونهاية مفاجئة أو ساخرة. وقد كتب (بدیع الزمان الهمداني، ١٩٩٧ م، ٥) في مقدمة مقاماته أنه أنشأها "للتسلية والعبرة، بما يجمع بين الحيلة والطرافة والبلاغة". وهي مواصفات نجد صداها في القصة القصيرة جداً الحديثة. فشخصية أبي الفتح الإسكندري المتكررة في المقامات تجد مقابلها في الشخصية النمطية في القصة الحديثة، كالرجل المهّمّش، أو المرأة المنكسرة، أو الجندي المهزوم. ويرى يقطين أنّ "المقامات تمثّل الشكل الأول لبنية القصة العربية القصيرة، إذ تجمع بين الحدث الفردي، والسرد الموجز، واللغة الإيحائية"، (سعيد يقطين، ٢٠١٢ م، ٨٥) وأن القصة القصيرة جداً "ورثت من المقامة فكرة المفارقة واللغة المكثفة، لكنها تجاوزتها إلى شعرية الدلالة".

ويؤكد كيليطو أنّ الفرق بين المقامة والقصة الحديثة هو أن الأولى تهدف إلى الإبهام اللغوي، بينما الثانية تهدف إلى الإيحاء الدلالي (انظر: كيليطو، ١٩٨٣ م، ٢٩).

رابعاً: الدهشة بين النوادر القديمة والقصة الحديثة

الدهشة مبدأ فنيّ يجمع بين السرد التراثي والحديث. فالنواذر عند الجاحظ وابن الجوزي تعتمد على الموقف الطريف أو الصادم، الذي ينتهي بخاتمة غير متوقعة، كما في نادرة "البخيل والضيف" في البخلاء.

وقد لاحظ أنّ "نواذر الجاحظ تمتلك روح القصة القصيرة الحديثة، لأنها تقوم على المفارقة

الساخرة والدهشة الختامية التي تعيد تأويل النص بأكمله" (يوسف الشاروني، ١٩٩٨ م، ١٠٣).

وفي القصة القصيرة جداً الحديثة نجد المبدأ نفسه عند زكريا تامر، الذي ينهي قصصه غالباً بجملته خاطفة تخلخل المعنى السائد. ففي قصته "العيون الخضراء" تنتهي الحكاية بجملته واحدة: "وحين فتح عينيه رأى نفسه في القفص الذي بناه لغيره".

وهنا تتولد الدهشة والمفارقة والرمز في عبارة قصيرة تحمل دلالات اجتماعية وإنسانية كثيفة. ومن ثم، فإن الدهشة في التراث كانت أداة لتأكيد الحكمة أو السخرية، بينما في القصة الحديثة أصبحت وسيلة لخلخلة اليقين وكشف المفارقة الوجودية.

خامساً: اللغة بين البلاغة التراثية والانزياح الحديث

تتميّز اللغة في التراث العربي بأنها محكومة بالبيان والوضوح، كما في قول ابن الأثير إن "جمال الكلام في وضوحه وفصاحته" (ابن الأثير، ١٩٨٣ م، ٥٤).

أما القصة القصيرة جداً الحديثة فتميل إلى الغموض الإيحائي والانزياح الشعري. ويرى التلمساني أن القصة القصيرة جداً "تغذى على الطاقة الشعرية للغة، وتنقلها من البيان إلى الإيحاء" (مي التلمساني، ٢٠١٦ م، ٢٥). ومن ثم، فبينما كانت البلاغة القديمة تُقاس بمدى وضوح المعنى، فإن البلاغة الحديثة تُقاس بمدى انفتاح الدلالة وتعدد التأويل. ومع ذلك، يظلّ الرابط قائماً بين الجانبين في اعتماد كليهما على جمال الاقتصاد اللغوي.

سادساً: الغاية الجمالية والفكرية

في التراث، كانت الغاية من السرد القصير تعليمية أو وعظية، كما في الأمثال التي تختم

بالحكمة، والمقامات التي تحمل مغزى أخلاقياً. بينما في القصة الحديثة تحوّلت الغاية إلى جمالية وفكرية، تُعبّر عن قلق الإنسان وتوتره الوجودي في عالم متغيّر.

يقول الربيعي أنّ "القصة القصيرة جداً لم تعد تبحث عن العبرة؛ بل عن السؤال المعلق الذي يثير القارئ ولا يُجيبه".

بينما يرى النصير أنّها "أداة لتفجير الدلالة، لا لاستخلاصها، لأنها تسائل الوعي بدل أن تلقّنه حكمة جاهزة".

وهكذا تتحوّل وظيفة السرد من التوجيه إلى التأمل والانفتاح، وهو ما يعكس تطور الحسّ الجمالي العربي عبر الزمن (ياسين النصير، ٢٠٠٥م، ٦٣).

سابعاً: ملامح التناص والتفاعل النصي

القصة القصيرة جداً الحديثة تمارس تناصاً عميقاً مع التراث، من خلال استحضار الرموز والحكم والمواقف التراثية في بنية جديدة. ففي قصة عبد الله المتقي المعنونة الشيخ والطفل، يتحوّل المشهد القرآني عن "العلم اللدني" إلى موقف وجودي معاصر.

ويشير الحمداني إلى أنّ "القصة القصيرة جداً العربية تعمل على استحضار الذاكرة السردية التراثية وتفكيكها جمالياً في نصوص مغايرة" (لحمداني، ٢٠١٥م، ٢٨).

كما تتناص بعض القصص مع الأمثال مباشرة، مثل قصة برطال بعنوان رجع بخفي حنين، التي تعيد المثل التراثي إلى واقع اجتماعي جديد. وبذلك، يصبح التناص أداة لربط الماضي بالحاضر وإحياء الذاكرة البلاغية في إطار حديثي.

تُبرز الموازنة بين القصة القصيرة جداً في التراث والمعاصرة أنّ العلاقة بينهما علاقة استمرارية لا قطيعة. فمن حيث الإيجاز والمفارقة والدهشة، تتطابق القيم الجمالية، بينما يختلف السياق والدلالة والغاية.

التراث قدّم الإيجاز بوصفه حكمة وبلاغة، والحداثة أعادت صياغته بوصفه تكثيفاً جمالياً وفكرياً. وكما كانت المقامات والأمثال تُعبّر عن روح المجتمع العربي القديم، تُعبّر القصة القصيرة جداً اليوم عن الإنسان العربي الحديث في مواجهته للعالم.

إنّ هذا الفنّ الحديث هو في جوهره استمرار للبلاغة العربية القديمة بلغة العصر، وهو ما يمنحه شرعيته الثقافية وعمقه الجمالي في آنٍ واحد.

الخاتمة

خلص هذا البحث إلى أن القصة القصيرة جداً تمثل جنساً سردياً له امتداداته العميقة في التراث العربي، فقد استندت في بنيتها إلى مبدأ .وليست وليدة اللحظة أو محض تقليد للأدب الغربي الإيجاز وكثافة المعنى، وفي تجلياتها المعاصرة .وهي سمات راسخة في أشكال سردية تراثية متعددة، استطاعت القصة القصيرة جداً أن تواكب تحولات العصر وإيقاعه المتسارع، معتمدة على التكثيف والمفارقة والانفتاح الدلالي، بما يجعل القارئ عنصراً فاعلاً في بناء النص وتأويله. وبذلك تؤكد القصة القصيرة جداً حضورها بوصفها أحد أشكال تطور السرد العربي المعاصر، وجسراً يربط بين أصالة التراث وخصوصية التعبير الحديث.

التائج:

١/ القصة القصيرة جداً ذات جذور تراثية واضحة في السرد العربي القديم.

٢/ يقوم هذا الجنس السردى على الإيجاز، والتكثيف، والمفارقة الدلالية.

٣/ أسهمت التحولات الثقافية والرقمية في انتشار القصة القصيرة جداً وتكريس حضورها المعاصر.

٤/ يعتمد هذا الشكل السردى على إشراك القارئ في إنتاج المعنى بسبب قصره وانفتاحه الدلالي.

التوصية:

يوصى البحث بضرورة تعميق الاهتمام النقدي والأكاديمي بالقصة القصيرة جداً، من خلال دراسات تسعى إلى تأصيلها وتقعيدها منهجياً، والكشف عن آلياتها الفنية والجمالية، مع تشجيع الباحثين على استثمار التراث السردى العربى في مقاربات نقدية حديثة تسهم في إبراز خصوصية هذا الجنس الأدبى ودوره فى تطور السرد العربى المعاصر.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إبراهيم، عبد الله، السرد العربي الحديث، بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٨ م.
- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣ م.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن، الأذكياء، القاهرة، دار الكتب، ١٩٩٢ م.
- ابن المقفع، عبد الله، كلیلة ودمنة، بيروت، دار صادر، ١٩٨٦ م.
- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣ م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، ج ٧، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٩٠ م.
- برطال، حسن، قصص قصيرة جداً جداً، الرباط، دار النشر المغربية، ٢٠١٠ م.
- تامر، زكريا، النمر في اليوم العاشر، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٤ م.
- التلمساني، مي، أشكال السرد الما بعد حدائي، القاهرة، دار العين للنشر، ٢٠١٦ م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، البخلاء، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥ م.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٩ م.
- الربيعي، عبد الرحمن مجيد، كتابات في القصة القصيرة جداً، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ٢٠٠٨ م.
- زهير، جميلة، القصة القصيرة جداً في الجزائر، الجزائر، دار الهدى، ٢٠١٠ م.
- الشاروني، يوسف، فن القصة القصيرة في الأدب العربي الحديث، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨ م.
- عبد الله المتقي، قليلاً من الموت، الدار البيضاء، منشورات الفنك، ٢٠١٣ م.

- عبد المطلب، محمد، بلاغة القص في القرآن الكريم، القاهرة، دار غريب، ٢٠١٠ م.
- فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، بيروت، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢ م.
- كيليطو، عبد الفتاح، الأدب والغربة، الدار البيضاء، دار توبقال، ١٩٨٣ م.
- حمداني، حميد، التحليل النصي وبنية القصة القصيرة جداً، الدار البيضاء، منشورات المدارس، ٢٠١٥ م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤ م.
- مفتاح، محمد، دينامية النص، الدار البيضاء، دار توبقال، ١٩٨٥ م.
- المقالح، عبد العزيز، ظواهر جديدة في الأدب العربي الحديث، صنعاء، دار الفكر، ١٩٩٩ م.
- النصير، ياسين، قراءات في القصة القصيرة جداً، بغداد، دار المدى، ٢٠٠٥ م.
- الهمذاني، بديع الزمان، المقامات، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٧ م.
- يقطين، سعيد، التحليل السردى، المفاهيم والآليات، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٢ م.
- أيوب، محمد، جماليات القصة القصيرة جداً، الرباط، دار النشر المغربية، ٢٠١٢ م.

الشهيناب: الملخص والاستنتاجات

أنطوني جون أركل ١٩٥٣م

ترجمة ودراسة نقدية

أ.د. أزهرى مصطفى صادق

قسم الآثار، كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود

المستخلص

يتناول هذا المقال ترجمة الملخص والاستنتاجات في كتاب أنطوني جون أركل (الشهيناب) والمنشور في ١٩٤٩ م. يُعدّ موقع الشهيناب من أهم مواقع ما قبل التاريخ في السودان، ويحتوي على دلائل أثرية ذات تقاليد متنوعة، بما في ذلك تقاليد الخرطوم المبكرة، والعصر الحجري الحديث في الخرطوم، والعصر الحجري الحديث المتأخر. كان أ. ج. أركل أول عالم آثار ينقب في الموقع (عام ١٩٤٩) بهدف سد الفجوات المتبقية بين تاريخ العصر الحجري الحديث في شمال أفريقيا وغربها. وقد عثر على أدلة ثقافية معقدة وممارسات معيشية متنوعة. وقد زار الموقع منذ ذلك الحين العديد من علماء الآثار الآخرين، ونشروا نتائجهم حول الفخار وإنتاج الغذاء وصناعة الأدوات.. وقد أضيفت في هذا المقال شروحات وتعليقات علمية ودراسة نقدية من المترجم تستند إلى التطورات البحثية اللاحقة التي تناولت الموقع ومحيطه الثقافي والبيئي.

الكلمات المفتاحية: الشهيناب، إنتاج الغذاء، العصر الحجري الحديث، السودان

Abstract

This article presents a translation of the summary and conclusions from Anthony John Arkell's 1949 publication, Shaheinab. As one of the most significant prehistoric sites in Sudan, Esh Shaheinab yields archaeological evidence encompassing diverse cultural traditions, including Early Khartoum, Khartoum Neolithic, and Late Neolithic cultures. A. J. Arkell was the first archaeologist to excavate the site in 1949, seeking to bridge the remaining gaps in the Neolithic history of North and West Africa. His excavations revealed intricate cultural evidence and varied subsistence practices. Since then, numerous archaeologists have revisited the site, publishing further findings on its pottery, food production, and tool manufacturing industries. Additionally, this article incorporates scholarly annotations and commentary by the translator, grounded in subsequent research regarding the site and its cultural and environmental context..

Keywords: Shaheinab, Food production, Neolithic, Sudan

مقدمة:

يُعد كتاب (*Shaheinab: An Account of the Excavation of a Neolithic Occupation Site*) الصادر في عام ١٩٥٣ م، للمؤلف (A. J. Arkell) مرجعاً تأسيسياً حاسماً في علم الآثار الأفريقي والسوداني، حيث وثق عمليات التنقيب التي جرت في موقع "الشهبان" (شمال الخرطوم على الضفة الغربية للنيل).

كان الهدف الرئيسي لأركل هو سد الفجوة الزمنية والثقافية بين مرحلة "الخرطوم المبكرة" (التي أُرخصها سابقاً للمرحلة الميزوليثية/ أو العصر الحجري الوسيط) وبين بداية العصر الحجري الحديث (النيوليثي) في شمال وغرب أفريقيا ومصر (انظر صادق، ٢٠٢٥أ). وأثبتت الاكتشافات أن الشهبان يمثل النموذج المعياري لما يُعرف بـ "عصر الخرطوم الحجري الحديث" (Khartoum Neolithic).

وقد وضع كتاب "الشهبان" حجر الأساس لفهم كيفية انتقال المجتمعات البشرية في حوض النيل الأوسط من حياة الصيد والجمع الصرفة إلى مرحلة الإنتاج الرعوي والاستقرار خلال العصر الحجري الحديث.

تأتي هذه الترجمة لجزء الملخص والاستنتاجات من الكتاب في إطار جهود تعزيز إتاحة المعرفة الأثرية المتخصصة باللغة العربية، وتوفير محتوى علمي رصين يدعم الباحثين والطلاب والمهتمين بتاريخ السودان القديم. وقد رُوِيَ في إعدادها الحفاظ على الدقة المفاهيمية والصرامة المنهجية، مع تبسيط بعض المصطلحات التقنية بما يضمن وضوح الفكرة دون المساس بجوهر المضمون العلمي.

الترجمة:

تم اختيار موقع الاستيطان في الشهبان للتنقيب على أمل أن يقدم معلومات وفيرة عن "ثقافة المقور (Gouge Culture) " أو "العصر الحجري الحديث في الخرطوم" (Khartoum Neolithic) كما أقترح تسميتها الآن. في (Arkell, 1949, 42)، قمت بالإشارة إلى أن الأسماء المبكرة، مثل "ثقافة الخطوط المموجة (Wavy Line Culture) " و "ثقافة المقور" (Gouge Culture)، والقائمة على الفخار في الأولى وعلى أداة حجرية في الثانية، هي تسميات غير مرضية؛ على الرغم من أنه لم يكن مفر من استخدامها في البداية، إذ كان الفخار الفئة الأكثر تمييزاً للثقافة الأولى وكان المقور الأداة الأبرز للثقافة الأخرى، كما أن أعمارها النسبية كانت غير مؤكدة.

إن مصطلح "العصر الحجري الوسيط" (Mesolithic) في تسمية "العصر الحجري الوسيط في الخرطوم" (Khartoum Mesolithic) المقترحة للبقايا المادية للخرطوم المبكرة (Early Khartoum) يهدف إلى الدلالة على ثقافة قائمة على جمع الغذاء (food-gathering culture) أحدث من ثقافات العصر الحجري القديم (Palaeolithic) وأسبق من قيام ثقافة العصر الحجري الحديث (Neolithic) في منطقة الخرطوم.

من ناحية أخرى، ينطوي مصطلح "العصر الحجري الحديث في الخرطوم" (Khartoum Neolithic) والذي يتبين الآن أنه أحدث زمنياً من ثقافة "الخرطوم المبكرة" التي يرتبط بها دون شك، على صلات أشد وثوقاً بـ "العصر الحجري الحديث في الفيوم" (Fayum Neolithic)، بل ويبدو أنه أسبق منه بقليل؛ حيث يمتلك بلطات أو أزامل (celts) مصقولة جزئياً من الحجر والعظم، ودلائل على استئناس بعض الحيوانات، رغم عدم وجود أدلة على الزراعة.

وفي حين يبدو أن اقتصاد ثقافة "الخرطوم المبكرة" كان يعتمد كلياً على الصيد البري وصيد الأسماك، فإن قاطني موقع الشهبان قطعوا شوطاً على الأقل نحو تحولهم إلى رعاة، حتى وإن ظلوا

يعتمدون بشكل أساسي على الصيد البري، وصيد الأسماك، والجمع (hunting, fishing, and gathering).

ورد ذكر وجود "ثقافة المقور"، والمعروفة بالعصر الحجري الحديث في الخرطوم، في دراسة أركل (Arkell, 1949, pp. 93 and 110-12 and pl. 88)، حيث طُرح الافتراض بأنها تتأخر زمنياً عن "ثقافة الخطوط الموجهة" أو العصر الحجري الوسيط في الخرطوم. وقد أوضحت هذه الحفريات التي أُلقت الضوء على الفخار النموذجي للعصر الحجري الحديث في الخرطوم (انظر الصفحة ٦٩ من الكتاب) أنه تطور من فخار الخطوط الموجهة للعصر الحجري الوسيط في الخرطوم، وخاصة من شكله اللاحق، وهو فخار الخطوط الموجهة المنقطة (انظر: Arkell, 1949 A, p. 84 and pl. 72).

وقد تأكدت هذه الأدلة التصنيفية من خلال التنقيب في جزء من موقع استيطان مدمر في القوز قرب الخرطوم، حيث توجد كلتا الثقافتين؛ ورغم أن الاضطراب الناتج عن التعرية وما تلاه من حفر القبور قد أدى إلى اختلاط مخلفات الاستيطان، وهو أمر شائع في مواقع الاستيطان المدمرة في السودان، فقد وُجد (انظر الصفحة ٦٩ من الكتاب) أن معظم شقف الفخار المميزة لثقافة المقور تقع في القوز فوق معظم شقف فخار الخطوط الموجهة، بينما تقع معظم شقف فخار الخطوط الموجهة المنقطة بينهما. وهذا يعني أن التسلسل الزمني كان كالتالي: الخطوط الموجهة، ثم الخطوط الموجهة المنقطة، ثم ثقافة المقور.

لم يظهر ما يدل، كما هو الحال في الخرطوم المبكرة، على أن المستوطنة كانت معسكراً مؤقتاً للصيد غير مأهول طوال العام. ولو كانت كذلك، لكان من المتوقع العثور على موقع آخر يحمل الخصائص الفخارية نفسها على مستوى مختلف قليلاً في المنطقة المجاورة. غير أننا، رغم فحصنا الدقيق لسطح الأرض المحيطة بحثاً عن مدافن معاصرة للمستوطنة، لم نعثر على أي موقع مشابه، بل وجدنا فقط موقعاً يحمل دلائل على فخار الخطوط الموجهة المنقطة (انظر الصفحة ٨ من الكتاب). ولم يبرز أي

دليل على وجود بناء من الطين والقش، بل لم يُعثر على ما يشير إلى مساكن بشرية إطلاقاً، باستثناء المواقع العديدة ذات الثقوب المحفورة في التربة الطينية السوداء، والتي يُرجَّح أنها استُخدمت لإشعال النار تحت أواني طهي كبيرة، إضافة إلى المناطق المرصوفة بكتل صغيرة من الحجر الرملي، والتي - استناداً إلى القياس على الاستخدام الحديث في شرق السودان - كانت مخصصة لطهي اللحوم؛ إذ تُشعل النار فوق الأحجار، وعندما تحمَّر وتصبح شديدة السخونة تُزال النار ويُوضع اللحم عليها. ومن ثم، يبدو مرجَّحاً أن مساكن العصر الحجري الحديث في الخرطوم كانت مبنية من مواد هشة كالحشائش والأغصان، أو ربما من الحصير. ولم تُنصب أعمدة ذات حجم يُعتدَّ به، إذ لم يُعثر على أي أثر لحفر أعمدة، وهي حفر كان يُفترض أن تظهر بوضوح في الطين الأسود الذي أُقيمت عليه المستوطنة أول الأمر.

لم يعد الموتى يُدفنون داخل المستوطنة، وبقيت طريقة التخلص من جثثهم لغزاً محيراً. ويبدو من غير المرجَّح أنهم دُفِنوا؛ إذ لو حدث ذلك، ومع ما طرأ على سطح الأرض المحيطة من تعرية شديدة، لكان من المفترض العثور على المقبرة. ومن الأرجح أن الجثث أُلقيت في النهر أو تُركت للضباع. كان السكان لا يزالون في معظمهم صيادين، وقد ذكرت الأنسة بيت أن ٩٨٪ من بقايا الحيوانات تعود لحيوانات برية. وقد طرأ بعض التغيُّر على أساليب الصيد؛ إذ اختفت رؤوس الرماح العظمية الشائكة ذات المقابض المخددة، بينما أصبحت الحربة العظمية الشائكة - التي لم يُعثر عليها في الخرطوم المبكرة إلا في نماذج قليلة يُحتمل أن تعود جميعها إلى المرحلة الأخيرة من ثقافة الخطوط المموجة المنقطة (انظر Arkell, 1949 A, pl. 48, figs. 3 and 4) شائعة الاستخدام، وظهرت خطافات الصيد التي لوحظ غيابها في الخرطوم المبكرة (Arkell, 1947, p. 176) بوصفها ابتكاراً جديداً. صُنعت هذه الخطافات من الصدف، وهي غير شائكة، ومزوَّدة بشقوق لربط الخيط، وهي طريقة أقدم نمطياً من طريقة ثقب خطافات البداريين التي يبدو أنها لم تُصنع إلا باستخدام مثقب معدني. وفي الشهبان، كانت جميع المثاقب - على الرغم من تطوُّرها مقارنة بما في الخرطوم المبكرة - مصنوعة من الحجر أو العظم.

واستُخدمت شظايا أصداف الرخويات النهرية من نوعي أسباتاريا وإيثيريا (*Aspatharia* and *Aetheria*)، التي كانت تُقطع لصنع صنّارات الصيد، في عمل نقوش على الأواني غير المصقولة لتبدو أشبه بالسلال. وفي الخرطوم المبكرة، كانت أمشاط الخزّافين المستخدمة للغرض نفسه تُصنع غالباً من أشواك سمك السلور (*Synodontis schal*). أما في الشهبان، فقد شكّلت شظايا الأصداف لصنع الأمشاط المعتادة، بينما استُخدمت أشواك سمك السلور نادراً، وفي بعض الأحيان استُخدمت الأصداف الرخوية ذات المصراعين كاملة أو مُقطّعة فقط، مع تسنين حافة المصراع عمداً (اللوحة ٢٨، الشكلان ٥-٦، والصفحة ٦٦) كما شكّلت أصداف إيثيريا (*Aetheria shells*) لتُستخدم بوصفها مغارف أو ملاعق (اللوحة ٢٨، الشكل ١).

كانت الأصداف تُستخدم أيضاً للزينة الشخصية (ص ٢٢)، وقد مثل ذلك ابتكاراً جديداً، إذ لا يبدو أنها استُخدمت في العصر الحجري الوسيط في الخرطوم. غير أن جميع الأصداف التي استُخدمت في العصر الحجري الحديث في الخرطوم كانت من الرخويات البرية أو رخويات المياه العذبة المحلية، ولم يُعثر على أي أصداف بحرية من البحر الأحمر، رغم ظهورها في العصر الحجري الحديث بالفيوم، وفي عصر ثقافة البداري، وفي مدافن العصر ما قبل الأسرات المتأخر (Protodynastic Period) في الشهبان الموصوفة في الفصل العاشر. ومن الابتكارات الأخرى - والتي ظهرت كذلك في العصر الحجري الحديث في الفيوم - استخدام خرزات قرصية صغيرة سميكة، صُنعت محلياً وبجهد كبير باستخدام مثاقب حجرية من فليسبار الميكروكلين (*microcline felspar* / حجر الأمازون)، وسُيُنَاقَش مصدره لاحقاً. وكانت حصى الزيوليت (*scolecite*)، التي يُعتقد أنها ذات أصل بازلتي من الحبشة، وغالباً ما تتآكل طبيعياً لتأخذ أشكالاً تشبه الدبابيس، تُشكّل وتُستخدم سدادات، ولا شك أنها كانت سدادات للشفاه، وربما أحياناً للأنف. كما استُخدمت بلورات الكوارتز المناسبة أحياناً لصنع سدادات للشفاه. وقد وُجدت سدادات مماثلة من السكوليسيت والكوارتز في مواقعها الأصلية في المدافن اللاحقة لجبل مويه "ويكتب موي" (Addison, 1949 pp. 149-50)، حيث وُصف السكوليسيت خطأً

بأنه ناتروليت). ولا تزال سدادات الشفاه المصنوعة من الكوارتز تُرتدى حتى اليوم من قبل نساء المورو الزنجيات في جبال النوبة^(١)، على سبيل المثال. وتنتشر حصى الزيوليت غير المصقولة على سطح مواقع العصر الحجري الحديث في الخرطوم، لكنها لا تظهر في الحصى البكر للنبيل الأزرق، ولا يُعرف حتى الآن من أين حصل عليها سكان العصر الحجري الحديث في الخرطوم.

لقد لاحظنا سابقاً أن أنماط الفخار المميزة للعصر الحجري الحديث في الخرطوم تطورت من نمط الخطوط المموجة المنقطعة، ومن ثم من أنماط الفخار السابقة المميزة للعصر الحجري الوسيط في الخرطوم. ومن الابتكارات غير المعروفة في فخار العصر الحجري الوسيط في الخرطوم صقل الفخار. تُظهر جميع شقف الفخار تقريباً في موقع الشهبان بعض الأدلة على الصقل (أي إعطاء سطح أملس للإناء شبه الجاف، ولكن غير المحروق بعد، باستخدام جسم مثل حصاة مصقولة بالماء). في الواقع، كان الصقل يُطبق غالباً على حساب الأنماط المحفورة التي كان الهدف منها في الأصل إعطاء الإناء مظهراً يشبه السلة. لا شك أن هذا الصقل، بعد عمل نقش محفور على شكل مشط للزخرفة، أدى إلى ظهور الفخار المتموج (rippled pottery) المميز للعصر البداري، والمجموعة (أ)، وفخار مدافن العصر ما قبل الأسرات المتأخر في الخرطوم (فخار جسر أم درمان).

تظهر شقف الفخار المصقول والممشط في العصر الحجري الحديث بالخرطوم (انظر صفحة ٧٦ من الكتاب)، ولم يتطلب الأمر سوى إطالة طفيفة لهذه العملية لإنتاج الفخار المتموج الجذاب الذي يميز عصر البداري وغيره، والذي يُعتقد أن هذا الفخار المصقول والممشط في العصر الحجري الحديث بالخرطوم ينحدر منه. ومن السمات الجديدة الأخرى التي أصبحت لاحقاً سمة مميزة لعصر البداري وما قبل الأسرات في مصر، والتي أدخلها خزافو العصر الحجري الحديث بالخرطوم، الفخار الأحمر ذو

(١) استخدم أركل هنا كلمة (زنجي) هنا بوصفها ترجمة تاريخية تقليدية لكلمة Negro الواردة في النص الأصلي، والتي كانت شائعة الاستخدام في الكتابات الغربية حتى منتصف القرن العشرين. ومع ذلك، فإن هذا المصطلح يُعد اليوم محملاً بدلالات عنصرية ومهينة في العديد من السياقات الثقافية، ويُفضل استبداله بتعبير أكثر احتراماً مثل (أفريقي الأصل) أو (من أصول أفريقية) بحسب السياق. الإبقاء على الترجمة الأصلية هنا يهدف إلى الحفاظ على دقة النقل التاريخي للنص، مع التنبيه إلى ضرورة التعامل النقدي مع المصطلحات ذات الجمولة الثقافية الحساسة (المترجم).

السطح الأسود (صفحة ٧٥ من الكتاب) والفخار الأسود (ص ٧٤ من الكتاب). وتتقارب أنماط الحواف غير المألوفة رقم ٣٤-٣٨ (انظر اللوحة ٣٧) مع بعض الأنماط الموجودة على حواف الأوعية السوداء المحفورة من مقابر عصر ما قبل الأسرات المتأخر في مصر، لكنها ليست مطابقة تماماً (انظر مثلاً Petrie 1921, p1. xxvi, figs. 2 and 20 N) ويبدو أن النمط الأساسي واحد هنا وفي العصر الحجري الحديث بالخرطوم، وهو نمط بالغ التعقيد بحيث لا يمكن ابتكاره بصورة مستقلة مرتين في وادي النيل، مما يشير إلى أن أنماط الشهبان قد تكون أسلافاً لتلك الموجودة على الأوعية السوداء المحفورة، التي لم يُكتشف موطنها الأصلي بعد، ولكن لا بد أنه كان جنوب الشلال الثاني. كما يظهر الآن الفخار الأحمر المصقول البسيط في السودان لأول مرة، وهو نوع من الفخار النموذجي للعصر الحجري الحديث في الفيوم.

لا تزال الأدلة على وجود الزراعة غائبة، رغم أن وجود بذور شجر اللبنة/ السلتيس (Celtis) يُشير إلى استمرار جمع الفاكهة البرية للاستهلاك الغذائي كما كان الحال في الخرطوم المبكرة. ومع ذلك، يبدو أن ما يُسميه تشايلد بثورة العصر الحجري الحديث كان قد بدأ، على الرغم من أنه لم يكن قد بدأ في الخرطوم المبكرة. وعلى أي حال، فقد امتلك السكان قرب نهاية الاستيطان في الشهبان بعض الحيوانات الأليفة - انظر الفصل الثالث حيث سجّلت الأنسة بيت أدلة على وجود نوعين من الماعز والخرفان. كما بدأ استخدام الأدوات الحجرية المصقولة بالظهور؛ فلم تكن أي من الأدوات مصقولة بالكامل، لكن وُجدت الفؤوس الحجرية بنوعها: المشطاة فقط، والمشطاة والمصقولة. ولا تظهر أي علامات على التشظية بعد الصقل، وهو الأسلوب الذي يُقال إنه كان مميزاً للعصر الحجري الحديث في الفيوم وعصر ما قبل الأسرات المتأخر. كما تُظهر المقاور الحجرية، وهي نموذجية لهذه الثقافة، بعض الصقل على الجانب السفلي. ويُعتقد أن هذه الأزاميل استُخدمت فؤوساً لتفريغ جذوع الأشجار لصنع الزوارق المحفورة، وهي زوارق لا يزال يستخدمها سكان النيل في أعالي النيل.

يبدو أن الأزاميل الحجرية استُخدمت في الغالب أدوات قطع، ومن اللافت قلة عددها نسبياً

وظهور آثار إعادة استخدامها بعد تلفها. ويشير ذلك إلى أنه، رغم صنعها من الريوليت المحلي من الشلال السادس، كان عدد الخبراء القادرين على صناعتها قليلاً جداً، ومن المحتمل ألا يكون أي منها قد صُنع في المستوطنة نفسها التي جرى التنقيب عنها في الشهبان. أما الفؤوس العظمية، غير المعروفة عملياً في أفريقيا حتى ذلك الحين، رغم وجود ما يشبهها مصنوعاً من العاج في جبل مويه (انظر Addison, 1949, pl. lvii A)، فقد كانت وفيرة مثل الأزاميل الحجرية، وربما صُنعت في مستوطنة العصر الحجري الحديث في الشهبان. ومن المرجح أيضاً أن معظمها استخدم أدوات للقطع. وربما استخدمت هذه الأدوات لتقطيع الحيوانات الكبيرة، كما هو الحال مع معاول دهن الحيوانات (Blubber mattocks) لدى الإسكيمو، وما إلى ذلك (انظر Grahame Clark, 1947, pp. 95 fr)، أو ربما استخدمت لتفريغ لبّ جذوع الأشجار الرخو لجعلها مجوّفة لصنع الزوارق، إذا كانت أشجار نخيل الدوليب (Borassus flabellifer) موجودة آنذاك في المنطقة؛ فهي الآن شجرة مفضلة لصنع هذه الزوارق نظراً لجذعها الطويل المستقيم ولبّها الرخو.

لا يزال الغرض من حلقات الحجر الرمي النصفية (half sandstone rings) التي تعود إلى العصر الحجري الوسيط في الخرطوم غير واضح. أما حلقات الحجر الرمي الكاملة التي وُجدت نادراً في موقع الشهبان، فيُرجّح أنها كانت رؤوس هراوات. وقد صُنعت هذه الحلقات من مطاحن مغرة الحجر الرمي؛ وأدّى الاستخدام المتقطع لمطاحن المغرة المصنوعة من الجرانيت المحلي المرقط بالأبيض والأسود، والديوريت، وأحجار صلبة مماثلة، إلى إنتاج رؤوس هراوات نادرة من هذه المواد. ويعود سطحها المسطح إلى الاستخدام السابق للحجر في طحن المغرة، بينما صُنعت جوانبها المستديرة بوضوح عن طريق الخراطة في مطاحن أو منصات مجوّفة من الحجر الرمي (انظر اللوحة ٢٣، الشكل ٥، والصفحة ٤٩). وقد وُجدت قطعتان أو ثلاث قطع من رؤوس هراوات قرصية مصنوعة من أحجار صلبة مرقطة مماثلة في الموقع، وإن لم تكن في طبقة غير مضطربة تماماً مثل الموقد؛ إلا أنها تُرجّح أن رؤوس الهراوات القرصية المميّزة لعصر ما قبل الأسرات المتأخر في مصر كانت قيد الاستخدام بحلول نهاية

العصر الحجري الحديث في الخرطوم.

بشكل عام، وكما ورد في الصفحة ٢٥، يتضح أنّ الأدوات الحجرية الأخرى قد شهدت تطوراً طبعياً انطلاقاً من أدوات العصر الحجري الوسيط في الخرطوم. فالأدوات الحجرية الدقيقة ذات السمات القصبية (Capsian)، التي عُثر عليها في تلك الثقافة، لا وجود لها في الشهبان، ويُرجّح أن غيابها يعود إلى تراجع التأثير القبصي مع مرور الزمن، وهو تأثير لا يزال ظاهراً في مرحلة الخرطوم المبكرة. أمّا الأهلّة (Crescents)، التي استُخدمت على الأرجح في تركيب رؤوس السهام، فقد كانت أكثر انتشاراً مقارنة بما كانت عليه في العصر الحجري الوسيط في الخرطوم، حيث لم تُعدّ نادرة. وتبقى المكاشط (Scrapers) قليلة العدد، غير أنّ جودة تصنيعها أفضل؛ كما يزداد عدد المثاقب (Borers) وتنوع أشكالها؛ بينما تبدو مطاحن المغرة المصنوعة من الحجر الرملي أكثر تجانساً وتظهر عليها علامات تنقير أقل؛ في حين تتسم أدوات الطحن المصنوعة من الحجر الرملي بدرجة أعلى من التطور، وتُظهر أشكالاً مخروطية منتظمة.

من اللافت للنظر، ولا شك في أهميته البالغة، أنّ العديد من الابتكارات المذكورة أعلاه، والتي لم تظهر في الخرطوم المبكرة، ولكنها برزت في العصر الحجري الحديث في الخرطوم في الشهبان، تشترك فيها تلك الثقافة مع العصر الحجري الحديث في الفيوم، على سبيل المثال:

- استخدام مواقع النار والمساكن الهشة للغاية، والتخلّص من الموتى خارج المستوطنة، ربما بطريقة أخرى غير الدفن.
- استئناس الحيوانات.
- الفأس الحجري المصقول جزئياً والمقور الحجري.
- صقل الفخار.
- وصناعة الخرز من حجر الأمازون.

من السمات الجديدة الهامة في موقع الشهبان، والتي لا تظهر في العصر الحجري الحديث في الفيوم، سدادات الشفاه المصنوعة من الزيوليت وخطافات صيد الأسماك المصنوعة من الأصداق. كما توجد خصائص بارزة للعصر الحجري الحديث في الفيوم، ولا سيما الزراعة ورؤوس السهام الحجرية المتطورة ذات القواعد الغائرة أو ذات العروة، وهي سمات لا تظهر في العصر الحجري الحديث في الخرطوم، رغم وجودها في العصر الحجري الحديث في مصر في فترة ما قبل الأسرات المبكرة، وكذلك في العصر الحجري الحديث في الفيوم. وفي الواقع، فإن غياب هاتين السمتين الأخيرتين في العصر الحجري الحديث في الخرطوم يشير بوضوح إلى أن العصر الحجري الحديث في الخرطوم، على الرغم من ارتباطه بالعصر الحجري الحديث في الفيوم، يُعدّ أقدم من العصر الحجري الحديث في الفيوم.

تشير عدة حقائق إلى أنّ الأفكار الجديدة التي تشترك فيها ثقافة الخرطوم في العصر الحجري الحديث مع ثقافة الفيوم قد وصلت إلى منطقة الخرطوم من الغرب؛ بينما تبدو إحدى السمتين المميزتين لها، واللّتين لا تشترك فيهما مع ثقافة الفيوم، وهي صنّارات صيد الأسماك المصنوعة من الأصداق، مرتبطة على نحو خاص بوادي النيل، حيث عُدت صنّارات صيد الأسماك البدرية حتى الآن الأقدم في شمال إفريقيا، في حين تشير سدادات الشفاه المصنوعة من حصي الزيوليت من البازلت الحبشي إلى أصل شرقي لا غربي.

وقد نُشرت دراسة حول صناعة حجرية مماثلة لتلك السائدة في الفيوم، بما في ذلك أدوات الحفر ورؤوس السهام المتطورة ذات القاعدة الغائرة أو ذات العروة، في تينيري الواقعة خلف تيبستي وجنوب شرق الأهقار (Vaufrey and Joubert, 1946). كما عُثر على أدوات حجرية مشابهة في مواقع وادي أزواك جنوب الصحراء الكبرى، وتُعدّ رماح العظام من العصر الحجري الحديث في الخرطوم أقرب في نوعها إلى نماذج تلك المواقع منها إلى نماذج عصر ما قبل الأسرات المتأخر في مصر (Harper Kelley, 1934, pl. ix, 8). والرماح العظمية في هذا الموقع، وليست رماح العظام في الخرطوم المبكرة كما اقترح أركل (Arkell, 1949, p. 113)، هي الأقرب صلةً بحراب وادي أزواك من تافرجت وتمايا ملت وما

شابه. ويبدو أن رماح العظام والحربة الفريدة ذات المقبض المتنفخ من الشهبان (اللوحة ٢٥، والشكل ٢) تنتمي إلى خلفية يُفترض أنها موروثه من العصر الحجري القديم الأعلى في شمال إفريقيا وأوروبا (انظر: Arkell, 1951, p. 21).

يُعدّ ممرّ تيرينغي في جبال إيغي شمال تيبستي أحد المصدرين المعروفين لفلسبار الميكروكلين (حجر الأمازون). أمّا المصدر الآخر فهو جبل ميجيف في الصحراء الشرقية بمصر (Lucas, 1948, p. 451). ويذكر مونود (Monod, 1948, pp. 153-4) أنّ موقع إيغي كان يُستخرج منه هذا الحجر على نطاق واسع في العصور القديمة. وقد نُشرت أحجار حفر مشابهة لتلك الموجودة في الشهبان والفيوم من إيغي زيريد بالقرب من بلما، جنوب غرب تيبستي، بقلم ب. نويل (Noel, 1917, pp. 351-68)، ومن إيراسو غرب غورو في جنوب شرق تيبستي، بقلم دالوني (Dalloni, 1936, pp. 183). وقد نشر دالوني أيضاً شقف من الفخار المحفور المبكر، وعلى حدّ علمنا من الوصف والتوضيح غير الكافيين (المصدر السابق، ص ٢٠٥، الشكل ٧٣، ولا سيما o, n, k, g و p)، تحمل أنماطاً زخرفية مماثلة لتلك النموذجية للعصر الحجري الحديث في الخرطوم. كما نشر أريدو ديزيو (Ardito Desio, 1942, pl. xxviii) شقف مماثلة من إنيري تيدي في شمال شرق تيبستي.

اقترحت الأنسة كاتون-تومسون (Caton-Thompson, 1934, pp. 87-88)، أن تيبستي كانت مصدراً لبعض المواد المستخدمة في العصر الحجري الحديث في الفيوم. ويبدو أن المنطقة المحيطة بتيبستي هي الأرجح التي انتشرت منها السمات الحجرية الحديثة المشتركة بين الفيوم والخرطوم وتينيري. وبفضل تضاريسها المتنوعة ووجود أكثر من بحيرة (وانيانغا وبوركو)، لا بدّ أنها كانت مركزاً ملائماً لتطور الثقافة الناشئة. وكان الحيوان المستأنس الرئيسي في الشهبان هو الماعز الصغير (القزمي). وقد لفتت الأنسة بيت الانتباه إلى وجود ماعز قزم في رواسب الكهوف في الجزائر، بحجم مماثل لشكل الشهبان، وإلى حقيقة وجود ماعز قزم مستأنس يعيش في الجزائر اليوم، كما هو الحال أيضاً في جنوب السودان بين "الزنج" النيليين الذين يبدو أنهم، على الأقل، أحفاد سكان العصر الحجري الوسيط

والعصر الحجري الحديث في منطقة الخرطوم.

في كتابي (Arkell, 1949, pp. 112 ff)، أشرتُ إلى وجود دلائل قاطعة على أنّ الصحراء في العصر الحجري الوسيط لم تكن تمتد جنوباً كما هي عليه الآن، وأنه لم يكن هناك آنذاك ما يعيق التواصل بين الشرق والغرب بين الإنسان والحيوان، على الأقل على طول المجاري المائية الرئيسية في البلاد الممتدة لمسافة ٢٠٠٠ ميل غرب الخرطوم. وبالتالي، كان من السهل أن تصل التأثيرات الثقافية من منطقة تيبستي إلى وادي النيل في منطقة الخرطوم. وإذا كانت المنطقة المحيطة بتيبستي قد بدأت، كما هو مرجح، بالجفاف في ذلك الوقت تقريباً، فمن المرجح أن يكون اتجاه الهجرة نحو وادي النيل بموارده المائية الدائمة، لا بعيداً عنه نحو السهوب القاحلة، كما هو الرأي السائد لدى المؤرخين الفرنسيين المختصين بدراسة ما قبل التاريخ في الوقت الحاضر. وإذا كان هناك أي أساس للاقتراح القائل بأنّ الماعز القزم في الشهباناب ربما يكون قد انحدر من الماعز القزم في الجزائر وأنه وصل إلى وادي النيل عبر تيبستي، فلا شكّ في أنّ تقدّم الصحراء في منطقة تيبستي قد تسارع بسبب الماعز.

إن حقيقة شيوع رؤوس السهام المتطورة ذات القواعد الغائرة، وأحياناً ذات العروة، في تينيري وعصر الفيوم الحجري الحديث والبداري في مصر، في حين أنها لا تظهر في عصر الخرطوم الحجري الحديث، لا يبدو أنها تُفسّر إلا بافتراض أنّ السمات الخاصة بالعصر الحجري الحديث في الفيوم قد وصلت إلى الفيوم عبر موجة لاحقة من المهاجرين جاءت من منطقة انتشار تختلف عن تلك التي وصلت منها السمات إلى منطقة الخرطوم، وربما كانت هذه المنطقة هي تيبستي.

ولا توجد فرضية أخرى، غير فرضية منطقة انتشار تقع غرب وادي النيل في منطقة أصبحت صحراء فيما بعد، تُفسّر الحقائق المعروفة حالياً، وكذلك الفجوة التي تبلغ نحو ألف ميل في وادي النيل بين الفيوم والفيوم، حيث لم يُعثر على السمات الثقافية المشتركة بينهما، مثل المقاور وخرز حجر الأمازون وغيرها.

ثمة دليل آخر يشير إلى وجود صلة بالغرب، وهو اكتشاف شظية متفحمة من قشرة نخلة زيتية غرب أفريقية (*Elaeis guineensis*) في أحد المواقع في الشهبان، والتي جرى تحديدها في مركز الحدائق النباتية الملكية في كيو. ويلفت مدير الحدائق الانتباه إلى احتمال أن تكون ثمار هذه النخلة، ذات الأهمية الاقتصادية نظراً لغلافها الزيتي ونواتها الزيتية، قد نُقلت خارج موطنها الطبيعي بفعل الإنسان. ومن المعروف أن الموطن الطبيعي لهذه النخلة هو غرب أفريقيا، كما توجد الآن أيضاً في منطقة أوبانجي-شاري-تشاد في أوغندا، وفي أعالي النيل الأبيض، غير أن وجودها في هذه المناطق الأخرى قد يكون ناتجاً عن نشاط بشري في فترات زمنية حديثة نسبياً. ومع ذلك، لم يُسلط الضوء على هذه النقطة، بل ذُكرت فقط بوصفها جديرة بالاهتمام.

سنبحث الآن ما إذا كان هناك أي دليل لتحديد تاريخٍ مطلق للعصر الحجري الحديث في الخرطوم. فإذا ما قُبل ما ذكر أعلاه، فإن هذا العصر سيكون لاحقاً لعصر الفخار ذو الخطوط المموجة المنقطة، الذي يُمثّل المرحلة المتأخرة من العصر الحجري الوسيط في الخرطوم. ويتّضح ذلك من خلال تصنيف الفخار (انظر الفصل الثامن)، ومن خلال الحفريات التجريبية في القوز، حيث وُجدت الثقافتان معاً (انظر الفصل الثاني عشر). ومن الواضح أيضاً أن العصر الحجري الحديث في الخرطوم أقدم من المدافن التي تُشير إلى عصر ما قبل الأسرات المتأخر أو ما قبلها، والموصوفة في الفصل العاشر، والتي، كما ذُكر في الصفحة ٨٢، قد تعود إلى عصر ما قبل الأسرات المتأخر، ولكنها على الأرجح تعود إلى ما قبل الأسرات (Early Predynastic). وتجدر الإشارة كذلك إلى أن منسوب نهر النيل عند الفيضان كان قريباً من منسوبه الحالي عند دفن تلك المدافن. أمّا كون منسوب النيل في العصر الحجري الحديث أعلى بأكثر من خمسة أمتار عند الفيضان مما هو عليه الآن، فيُعدّ دليلاً على مرور فترة زمنية طويلة (انظر الفصل الثاني).

كان معدلُ الهطول المطري في زمن مستوطنة الشهبان أعلى بكثير مما هو عليه اليوم. فقد كانت حلزونات الأرض الكبيرة (ليميكولاريا فلاماتا - *Limicolaria flammata*) لا تزال تعيش بأعداد

وفيرة في المنطقة، وقد ذكر في كتاب أركل (Arkell, 1949, p. 109) أن وجودها يشير إلى هطول سنوي لا يقل عن ٥٠٠ ملم، مقارنةً بمتوسط الهطول الحالي البالغ ١٦٤ ملم، أو إلى هطول يتراوح بين ٨٠٠ و٩٠٠ ملم، وهو المقدار الذي يحتاجه ظبي النيل (antelope) المحبّ للمستنقعات. كما يدلّ استمرار وجود بذور شجرة السلّيس على هطول لا يقل عن ٥٠٠ ملم سنوياً.

ويبدو أن ظبي النيل، إلى جانب حيوانات أخرى محبة للمستنقعات في الخرطوم القديمة، مثل النمس المائي وجرذ القصب، قد اختفت بحلول العصر الحجري الحديث، مما يشير إلى انخفاض في معدل الأمطار. ويُعدّ هذا التفسير الأكثر منطقية لاختفاء الحلزون البري الصغير (تروكونانينا - *Trochonanina*)، الذي لم يكن ليصمد خلال فترة جفاف طويلة. كما يشير ظهور حلزون (ليميكولاريا كامبيول - *Limicolaria kambeul*) المحبّ للغابات، وحيوانات الغابات مثل ظبي الأدغال وقرد غريفت، إلى تحوّل من بيئات المستنقعات والسهول العشبية التي كان يعشقها ظبي النيل إلى بقع غابية ضمن سهوب البلاد، وهي الموطن المعتاد للزرافة والمها والأسد والأرنب البري والسنجاب الأرضي والجربوع، وجميعها حيوانات موجودة في منطقة الشهباناب، لكنها لم تكن موجودة في الخرطوم القديمة.

وتُظهر الحيوانات التي وصفها الآنسة بيت في الفصل الثالث بوضوح ظروفاً مناخية متوسطة بين ظروف العصر الحجري الوسيط في الخرطوم وظروف العصر الحالي. ويعزّز ذلك ما ورد في الفخار ومستويات النيل (انظر الفصل الثاني)، حيث تبين أن مستوى الفيضان العالي كان أعلى بنحو خمسة أمتار في العصر الحجري الحديث مقارنة باليوم، وربما تجاوز عشرة أمتار في العصر الحجري الوسيط.

للحصول على تاريخٍ للعصر الحجري الحديث في الخرطوم باستخدام طريقة التأريخ بالكربون المشع، أرسلت بذور السلّيس المستخرجة إلى شيكاغو، غير أنّ الكمية كانت غير كافية. وتجدر الإشارة إلى أن بذور السلّيس التي أرسلت أيضاً من الخرطوم القديمة كانت متحجرة تماماً وغير قابلة للاحتراق. وبعد ذلك، أرسلت كمية صغيرة من الفحم من مواقع العصر الحجري الحديث في

الشهبان، إضافة إلى كمية من الأصدا ف من موقع التنقيب؛ ولأن كمية الفحم كانت لا تزال غير كافية، أرسل مفوض الآثار إلى شيكاغو المزيد من الفحم الذي حصل عليه صادق أفندي نور خصيصاً من موقع التنقيب.

وفي يوليو ١٩٥٢، أجرى الدكتور ليبي الاختبارات في شيكاغو، وأسفرت عن النتائج التالية:

- الفحم (رقم الاختبار التسلسلي ٧٥٣): 450 ± 5060 قبل الحاضر
- الأصدا ف (رقم الاختبار التسلسلي ٧٥٤): 380 ± 5446 قبل الحاضر

وباحتساب المتوسط، يكون التاريخ 415 ± 5253 قبل الحاضر، أي ما يقارب ٣٣٠٠ قبل الميلاد.

يُشير التأريخ بالكربون المشع المنشور لعصر الفيوم أ إلى 250 ± 6095 قبل الحاضر (Arnold and Libby, 1950) أي 250 ± 4145 قبل الميلاد. إلا أن الروابط الأثرية الكثيرة بين عصر الفيوم في العصر الحجري الحديث وعصر الخرطوم في العصر الحجري الحديث تجعل من غير المعقول قبول فرق قدره ٨٠٠ سنة بين الثقافتين. ربما يكون قد تسرب خطأ ما بطريقة ما، مما أدى إلى اختلال الحسابات.

وعلى أي حال، قد يكون من المقبول تفضيل التاريخ المستند إلى الصدف من الحفريات الأصلية على التاريخ المستند إلى الفحم المستخرج من الموقع لاحقاً، مع العلم أنه لا شك في بذل كل جهد ممكن للحصول على الفحم فقط من مخلفات العصر الحجري الحديث.

يتداخل الحد الأقصى للتاريخ المستند من الصدف من الشهبان: $380 \pm 5446 = 5826$ قبل الحاضر تقريباً، مع الحد الأدنى للتاريخ المستند من العصر الحجري الحديث في الفيوم: $6095 \pm 250 = 5845$ قبل الحاضر، أي حوالي ٣٩٠٠ قبل الميلاد.

وحتى يتم إجراء المزيد من الاختبارات على المواد من كلا الثقافتين، فإن الروابط بينهما تجعل من الأفضل قبول هذا التاريخ التقريبي لكليهما.

يبقى تحديد العرق الذي ينتمي إليه سكّان الشهبيناب مسألة مفتوحة في الوقت الراهن، لعدم العثور على أي مدافن مؤكدة. فإذا كان مدفن الطفل الذي عُثر عليه في الموقد (K 60 (3) (انظر الصفحة ٨٣) يعود إلى العصر الحجري الحديث وليس إلى عصر ما قبل الأسرات المتأخر، فمن المرجح أن يكون جميع السكان من ذوي الأصول "الزنجية". ويمكن افتراض أنهم كانوا من ذوي الأصول "الزنجية" جزئياً، إذ يشير تطوّر الفخار من فخار العصر الحجري الوسيط في الخرطوم بقوة إلى أن نساء الشهبيناب ينحدرون من نساء الخرطوم القديم، المعروفات بأنهن من ذوات الأصول "الزنجية" (Arkell, 1949)، (الفصل ٤).

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن المورو ذوي الأصول "الزنجية" في جبال النوبة ما زالوا يرتدون سدادات الشفاه الحجرية البيضاء، التي يبدو أنها ظهرت أول مرة في العصر الحجري الحديث في الخرطوم، والتي ارتداها كذلك ذوو الأصول الزنجية في جبل مويه في وقت ما خلال القرون اللاحقة. ومن ناحية أخرى، فإن شعب الكاديرو (Kaderu)، وهم عرق زنجي-بني هجين في شمال شرق جبال النوبة، ما زالوا يصنعون حتى اليوم فخاراً أحمر مصقولاً مزيناً بأنماط من الانطباعات المثثة والدائرية، وهو ما يصعب تصديق أنه ليس الوريث الثقافي لفخار العصر الحجري الحديث في الخرطوم.

لا يُعرف عن العرق "الزنجي" المبادرة أو الأفكار الإبداعية، وهي سمات تُنسب بشكل أكبر إلى العرق الأسمر. ومهما كان المهاجرون الذين جلبوا معهم مجموعة مماثلة من الأفكار الثقافية الجديدة والمتقدمة إلى منطقة الخرطوم والفيوم في العصر الحجري الحديث، فمن المرجح أنهم ينتمون إلى العرق الأسمر أو هجين منه، بدلاً من أن يكونوا "زنوجاً". سيكون من المستغرب أن يستوطن شعب "زنجي"

الفيوم ليصبحوا سكان العصر الحجري الحديث في الفيوم^(١)، الذين لا شك أنهم تبنا ممارسات الزراعة وتربية الماشية، وربما حيواناتٍ أخرى من مصادر آسيوية. سيكون هذا الأمر أكثر طبيعيةً لأفراد العرق الأسمر الذين تشمل منطقتهم شمال إفريقيا وجنوب غرب آسيا. إلى حين اكتشاف عددٍ من جماجمهم، يبدو من المعقول افتراض أنه على الرغم من أن غالبية سكان العصر الحجري الحديث في الخرطوم كانوا "زنوجاً"، إلا أنهم ربما ضموا عدداً من المهاجرين، وربما طبقةً أُرستقراطية، ينتمون إلى العرق الأسمر^(٢).

بحسب ما هو معروف حالياً من اللقى السطحية التي نُقلت إلى متحف الخرطوم والمذكورة في القائمة التالية، فإن العصر الحجري الحديث في الخرطوم يقتصر عملياً على وادي النيل بين جبل أولياء والشلال السادس. ولم يُبلَّغ إلا عن موقع واحد شمال الشلال السادس، هو الفخيرة على الضفة الغربية مقابل كبوشية، حيث عُثر عند الفحص على عددٍ قليل جداً من الشقف الفخارية التي تعود إلى ما قبل العصر المروي. ويبدو أن موقع عد الحراز، الذي لم أتمكن من زيارته، يقع خارج وادي النيل. وتقع معظم المواقع الأخرى على ما كان يُفترض أنه ضفاف النيل المرتفعة في العصر الحجري الحديث. ويبيّن الشكل ٥٧ في الصفحة ١٠٦ توزيع هذه المواقع، وهو توزيع محدود للغاية مقارنةً بتوزيع العصر الحجري الوسيط في الخرطوم (انظر: Arkell, 1949, p. 116).

(١) مع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن البقايا البشرية الوحيدة التي عُثر عليها في الفيوم والتي يُحتمل أن تكون من العصر الحجري الحديث، وُجدت على بُعد نصف كيلومتر فقط من موقع كوم W، وهو موقع عثرت فيه الأنسة كاتون-تومسون على عدد غير عادي من الأدوات الحجرية الموصوفة في الصفحتين ٧٦-٧٧ من كتاب "الفيوم الصحراوي" تحت عنوان "Camp II Basin"، وتضمنت جمجمة "زنجية"، انظر "أخبار لندن المصورة" بتاريخ ٥ فبراير ١٩٣٨، صفحة ٢١٢. ووفقاً للمعلومات التي قدمها لي الدكتور د. إ. دبيري، فقد وُجدت عدة مدافن مُجمعة في الموقع الذي عُثر فيه على هذه الجمجمة؛ ولكنه يرى أن الجمجمة تختلف اختلافاً كبيراً في نوعها عن تلك التي عُثر عليها في الخرطوم القديمة، إذ لا يمكن تمييزها عن الجمجمة الزنجية الحديثة؛ بل يرى الدكتور دبيري أنها قد تعود إلى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد. ومع ذلك، من اللافت للنظر أن كلتا الجمجمتين قد أُزيلت منهما القواطع المركزية العلوية أثناء حياة صاحبيها.

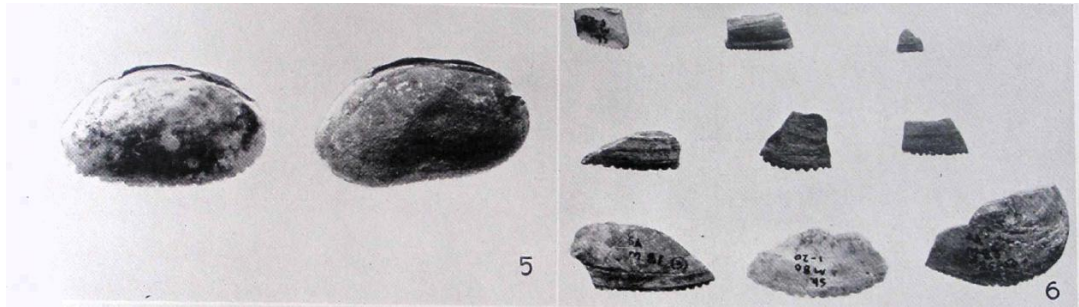
(٢) يتضمّن هذا المقطع أحكاماً عامة حول القدرات الفكرية والإبداعية تُنسب إلى مجموعات بشرية على أساس عرقي، وهي تصنيفات شاعت في الأدبيات الأنثروبولوجية المبكرة في النصف الأول من القرن العشرين، لكنها لا تُعدّ مقبولة في الدراسات الحديثة. فالأبحاث المعاصرة تُجمع على أن الابتكار، والتطور الثقافي، وانتقال التقنيات الزراعية والرعية، لا يرتبط بخصائص عرقية، بل بعوامل بيئية واقتصادية واجتماعية معقدة. ومن ثمّ ينبغي التعامل مع هذه التصنيفات بوصفها انعكاساً لخطاب علمي قديم أكثر من كونها حقائق أنثروبولوجية (المترجم).

الموقع	المكتشف	رقم الكاتالوج في متحف الخرطوم
الفخيرة، ١٦°٥٥' شمالاً، ٣٣°٤٠' شرقاً. *	عوض عثمان بشير. ١٩٤٦ م	٥١٥٢
الشلال السادس، الضفة اليسرى، أسفل المضيق مباشرة.	G. Andrew, 1951	
جبل رويان (بين التل ومجرى النهر الشرقي).*	G. Andrew, A. J. Arkell, and Miss Witherspoon, 1946	٥٠٤٠
محطة سكة حديد الجيلي	صديق نور، ١٩٤٤	٤٩١٣
الشهبان (موقع هذا التنقيب).	A. J. Arkell and others, 1946.	٥٠٤٧
وادي سيدنا (نصف ميل شمال الزاوية الشمالية الشرقية للمطار الشالي).	A. J. Arkell, P. L. Shinnie, and M. Legge, 1948	٥٣٧٣
كرري	ثابت حسن ثابت وعبدالرحمن آدم ١٩٣٨ م	٧-٥٤٠٤
بين الزاكياب وبثر حسنية.	A. J. Arkell and G. W. Grabham, 1940	٣٨٧٩
ميلان شمال محطة سكة حديد الكدرو في الطريق إلى جبل سليتات	A. J. Arkell and G. Andrew, 1945.	٥٠٣٨
جبل سليتات -؟ هو نفسه ٥٠٣٨.	شريف يوسف الهندي، ١٩٢٣ م	٣٧٩١
أم درمان شمالاً (ثكنات خضيرة العسكرية).	G. W. Grabham and J. M. Edmonds, 1938	٣٧٩٥
أم درمان شمالاً (ثكنات خضيرة العسكرية).	عبدالله محمد ١٩٤٢ م	٤٠١٢
جسر أم درمان (الطرف الغربي).	A. J. Arkell, 1941.	٣٧٨٦ و ٣٧٩٤
على طريق كسلا، شرق حلت كوكو وشمال جريف شرق.	G. and W. Andrew and A. J. Arkell, 1942.	٤٥٨٠
قاعدة سلاح الجو الملكي، الخرطوم. شظايا فخارية من الخرطوم، المربع ١٣ د-؟ نفس موقع ٣٧٨٥. انظر الشكل ٢٤ في الصفحة ٦٩.	A. J. Arkell, 1940. P.W.D., 1930.	٣٧٨٥
القوز (انظر الفصل ١٢).*	A. J. Arkell, 1940.	٢٦٦٢
شجرة غوردون، بالقرب من مهبط الطائرات المائية.	A. J. Arkell, 1940.	٣٩٦٧
الكيلو ١٤، طريق الخرطوم - جبل أولياء.	G. Andrew, 1945	٤٠٤٢

٥٠٣٢	A. J. Arkell and Sadik Nur, 1941	موقع قرية قديمة بالقرب من ضريح الشيخ يوسف ود فكي عبد الله، على الضفة الغربية حوالي ١٢ متراً جنوب أم درمان.
٣٧١٠	A. J. Arkell and Sadik Nur, 1940.	العشرة (مقابل شجرة غوردون).
٣٧٨٧	Mustafa Hiteita, 1941	عيد أم خليوات، دمر الغمراب.
٣٧٨٨	عبدالله محمد، ١٩٤١	عد الحراز (؟ إلى م. غرب النيل الأبيض) بالقرب من جبل مداحة (مقبرة فكي إبراهيم طيار).
٤٣٨٢	G. and W. Andrew and A. J. Arkell, 1942.	جبل أولياء (شمال الطرف الغربي للسد).*

*تحتوي على شقف من الفخار ذو الخطوط المموجة (الخرطوم القديمة)

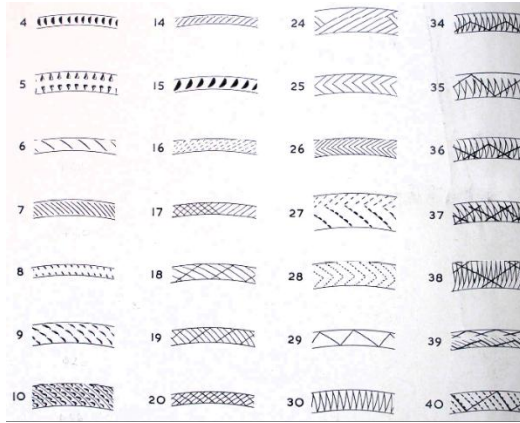
اللوحات والأشكال:



اللوحة ٢٨، الشكلان ٥-٦: مغرفة وأدوات الخزاف المصنوعة من الصدف



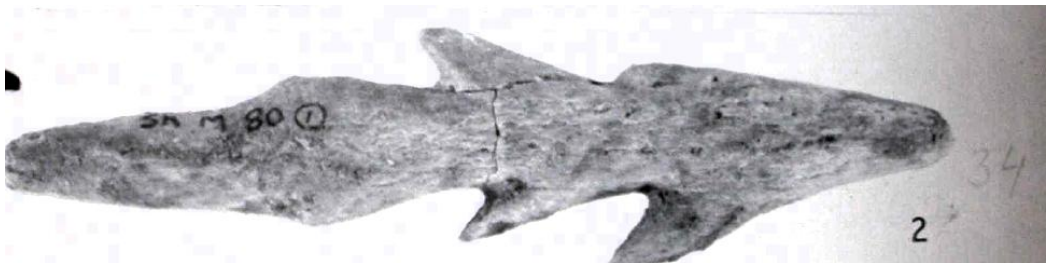
اللوحة ٢٨، الشكل ١: أصداف إيثيريا (Aetheria shells) التي استخدمت مغارف أو ملاعق



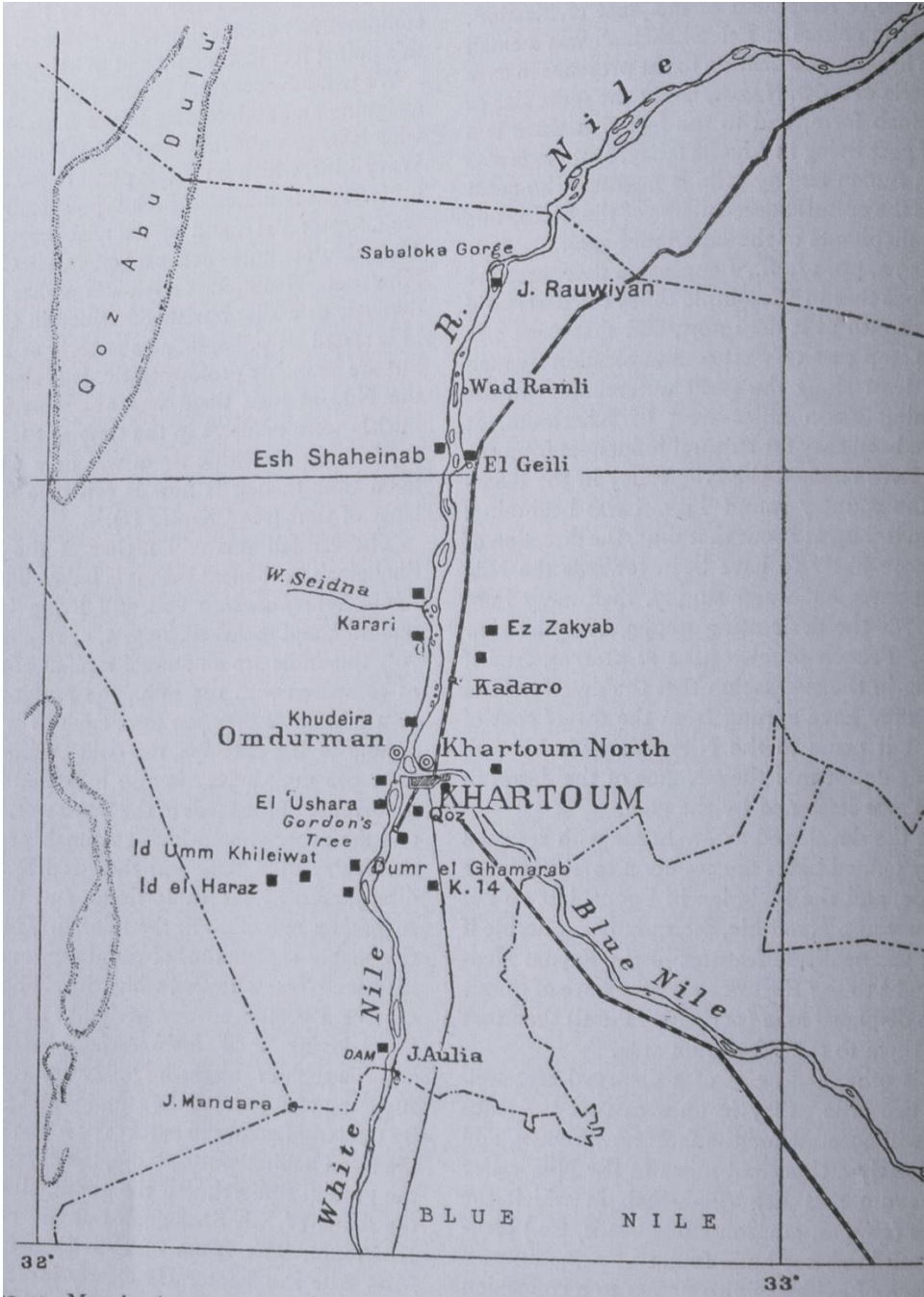
اللوحة ٣٧. أنماط حواف الفخار (٣٨-٣٤)



اللوحة ٢٣، الشكل ٥. رأس هراوة



اللوحة ٢٥، الشكل ٢. حربة فريدة ذات المقبض المتفخ من الشهبان



الشكل ٥٧. خريطة توضح توزيع مواقع العصر الحجري الحديث في الخرطوم (ثقافة المقور) (المواقع

محددة بعلامة ■)

ملخص نتائج كتاب (الشهبان) ونتائجه:

يقدم هذا الفصل الختامي الخلاصة التركيبية لتنقيبات موقع «الشهبان» (أو ما اقترح أركل تسميته بـ «الخرطوم النيوليتي، أو خرطوم العصر الحجري الحديث Khartoum Neolithic» بدلاً من "ثقافة المقور" Gouge Culture). يثبت أركل استمرارية تطور هذه الثقافة محلياً من «خرطوم العصر الحجري الوسط Khartoum Mesolithic» (الخرطوم المبكرة Early Khartoum)، وتحديدًا من طراز فخار "الخطوط المموجة المنقطعة" (Dotted Wavy Line) كما أكدت طبقات موقع "القوز"، محققاً بذلك الانتقال من اقتصاد الصيد والجمع إلى بداية "ثورة العصر الحجري الحديث" وإدخال رعي الماشية (الماعز والأغنام) واستخدام الأدوات الحجرية والعظمية المصقولة جزئياً (الفؤوس والمقاور) لتصنيع القوارب، مع صقل الفخار وتزيينه بطرق توحى بالسلال.

ويطرح أركل شبكة واسعة من الروابط الثقافية الممتدة؛ حيث يربط بين الشهبان والفيوم والصحراء الكبرى (مناطق تينيري، وأزاواك، وجبال تبستي وبوركوكو) باعتبارها مركز الانتشار الغربي المبكر للتقنيات والحيوانات المستأنسة، مستشهداً بوجود خرز حجر الأمازون، والحراب العظمية، وحنة مفحمة لنخيل الزيت الغرب إفريقي. بينما يعزو العناصر النيلية الخالصة إلى ابتكار صناعات الصيد الصدفية واستخدام سدادات الشفاه المصنوعة من حجر الزيوليت الإثيوبي.

وفيما يتعلق بالمناخ والتأريخ، توضح الأدلة الحيوانية والنباتية (مثل حلزون الليموكلوريا وحبوب السلتييس) أن المناخ كان أكثر رطوبة من اليوم (معدل أمطار لا يقل عن ٥٠٠ ملم) ومنسوب النيل أعلى بـ ٥ أمتار، لكنه جاف مقارنة بالعصر الحجري الوسط. وعلى صعيد التأريخ المباشر، نشر أركل نتائج أولى فحوصات الكربون المشع من مختبر شيكاغو والتي أرخت الموقع بحوالي ٣٣٠٠ ق.م (٥٢٥٣ قبل الحاضر)، محاولاً التوفيق بينها وبين نتائج الفيوم المشابهة لتخمين معاصرة تقريبية عند ٣٩٠٠ ق.م.

وأخيراً، وفيما يخص التوزيع الجغرافي والأنثروبولوجيا، يلاحظ أركل انحصار المواقع على ضفاف النيل بين جبل أولياء والشلال السادس، وفي غياب المقابر المؤكدة، يرجح استمرار العنصر المحلي مع افتراضه وجود "طبقة أرستقراطية وافدة من العرق الأسمر" جبلت أفكار العصر الحجري الحديث المتقدمة؛ وهو الطرح الذي يعكس المفاهيم العرقية والأنثروبولوجية الفيزيائية السائدة في منتصف القرن العشرين والتي أثبتت الدراسات والأبحاث الحديثة عدم دقتها.

قراءة نقدية لأطروحات أركل:

في هذه القراءة النقدية، سأعلق على مجموعة من العبارات الجدلية التي وردت في قسم النتائج والاستنتاجات من كتاب الآثار البريطاني أنتوني أركل المرجعي «الشهبان» الصادر عام ١٩٥٣ م. تكتسب هذه العبارات أهميتها من كونها شكّلت لوقت طويل الركيزة الأساسية لفهم الانتقال الثقافي بين العصر الحجري الوسيط والعصر الحجري الحديث في وادي النيل الأوسط، كما رسمت أطر العلاقات المفترضة بين ثقافات السودان القديم وشمال إفريقيا والشرق الأدنى.

ومع تطور المنهجيات الأثرية وتقنيات التأريخ وتزايد الحفريات الحديثة، أصبحت العديد من استنتاجات أركل محلاً للنقاش والتعديل وإعادة التفسير. ويمكن يمكن للباحثين والمهتمين الرجوع إلى التفصيلات العامة عن العصر الحجري الحديث والعلاقة بين آفاق ما قبل التاريخ في وادي النيل والصحراء الكبرى في مقالات وأبحاث أخرى للمترجم من أبرزها: حقيقة انقطاع الاستيطان البشري في وسط السودان، ٢٢٥٠-١٠٠٠ ق.م، ١٩٩٩ م، مسارات التطور الثقافي في السودان في عصور ما قبل التاريخ (١) العصر الحجري القديم، ٢٠١٧ م، ما قبل التاريخ في السودان، ٢٠٢٠ م-أ، تطور دراسات العصر الحجري الحديث في السودان، من أنطوني جون أركل إلى نهاية القرن العشرين، ٢٠٢٠ م-ب، مسارات التطور الثقافي في السودان في عصور ما قبل التاريخ (٢) آفاق العصر الحجري الوسيط الثقافية وصناعاته، ٢٠٢٢ م، وحزمة العصر الحجري الحديث، المفهوم والتطبيق على الحالة

السوداني ٢٠٢٥م، من ضمن أخرى.

أولاً: فرضية عدم وجود مدافن في الشهبان

ذكر أركل أن الموتى لم يعد يُدفنون داخل المستوطنة، ورجح أن الجثث أُلقيت في النهر أو تُركت للضباع. و منذ تنقيبات أركل عام ١٩٥٣م، دحضت أبحاثٌ واسعة النطاق في وسط السودان فرضية أركل القائلة بأن شعوب العصر الحجري الحديث لم تكن تدفن موتاهم. ففي سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، نقّب علماء الآثار عن مقابر ضخمة ومنظمة تعود للعصر الحجري الحديث في مواقع قريبة (مثل الكدرو، والغابة، والكدادة، والجيلي). وغالباً ما كانت تُقام المقابر على تلال طبيعية (كوم) أو مصاطب مرتفعة على مسافة قصيرة من مواقع السكن، بدلاً من وضعها مباشرة داخلها. وقد دُمرت العديد من تلال الدفن الموجودة خارج مواقع المستوطنات المبكرة بفعل فيضانات النيل الموسمية، أو التعرية بفعل الرياح، أو الاستخدام اللاحق للأراضي، مما يفسر سبب عدم العثور أركل عليها في المنطقة المجاورة مباشرةً.

ثانياً: التطورات التقنية في الشهبان

تحدث أركل عن العديد من الابتكارات الجديدة التي لا يبدو أنها استخدمت في العصر الحجري الوسيط في الخرطوم كالأصداف وغيرها. ولا تزال ملاحظة أركل الرئيسية -وهي أن الحلي المصنوعة من الأصداف انتشرت بشكل ملحوظ خلال العصر الحجري الحديث- صحيحة إلى حد كبير، على الرغم من أن الأبحاث الحديثة قد حسّنت التفاصيل. فقد لاحظ أركل وجود أصداف بحرية من البحر الأحمر في الشهبان. وقد أكدت الحفريات الحديثة في جميع أنحاء وسط السودان (مثل الكدرو والكدادة) أن استخدام الأصداف للزينة الشخصية ازداد بشكل كبير في العصر الحجري الحديث تحديداً بسبب توسع طرق التجارة الرعوية التي وصلت إلى ساحل البحر الأحمر. مع ذلك تُظهر عمليات إعادة فحص لاحقة لمواقع الصيادين وجامعي الثمار في جميع أنحاء الحزام الصحراوي السوداني أن ثقب

الأصداف للزينة كان يحدث أحياناً قبل العصر الحجري الحديث، لكن أركل كان محققاً في أن هذا أصبح اتجاهًا واسع الانتشار ومهمناً ثقافياً فقط خلال عصر الخرطوم الحجري الحديث.

ويرى أركل أنه لم يُعثر على أي أصداف بحرية من البحر الأحمر، رغم ظهورها في العصر الحجري الحديث بالفيوم، وفي عصر ثقافة البداري، وفي مدافن ما أسماه عصر ما قبل الأسرات المتأخر (Protodynastic Period) في الشهبان. تُظهر تقنيات التأريخ بالكربون المشع والتحليل الطبقي الحديثة أن مدافن ما أسماه "ما قبل الأسرات المتأخر" التي حددها أركل في الفصل العاشر امتدت في الواقع على نطاق زمني أوسع (يشمل أواخر فترة ما قبل كرمه وفترة مروي). ومع ذلك، كان أركل محققاً في تمييز هذه المقابر اللاحقة عن أرضية المعيشة الرئيسية التي تعود إلى الألفية الخامسة/الرابعة قبل الميلاد.

كما ناقش أركل الأدوات المصنوعة من السكوليسيت والكوارتز وحصى الزيوليت. وتعدّ ملاحظات أركل حول أحجار السكوليسيت من بين أهم وأدقّ إسهاماته في دراسة تاريخ السودان القديم. كان تحديد أركل للسكوليسيت فوق الناتروليت الذي حدّده أديسون دقيقاً، وقد تمّ التحقق من ذلك من خلال التحليل المعدني الحديث لعينات من وسط النيل. وتؤكد الدراسات الجيولوجية الأثرية الحديثة أن وجود حصى السكوليسيت لا يستلزم بالضرورة وجود تجارة بشرية مباشرة مع المرتفعات الإثيوبية. فقد نقل النيل الأزرق هذه الحصى بشكل طبيعي لمئات الأميال باتجاه المصب، وترسبها على طول ضفاف الحصى في منطقتي الجزيرة والخرطوم، حيث جمعها سكان العصر الحجري الحديث محلياً. ويعد تقليد ارتداء حلي الوجه (سدادات الشفاه والأذن) المصنوعة من الكوارتز والسكوليسيت والطين والعظام موثق جيداً الآن عبر أفق العصر الحجري الحديث السوداني (على سبيل المثال، في مواقع الصور، والكدر، والجيلي، والكدادة) واستمر في فترات لاحقة مثل جبل مويه، مما يؤكد صحة الرؤية المقارنة لأركل.

جانب آخر مهم تطرق إليه أركل هو انتشار تقنية صقل الفخار في الشهبان. ورغم دقة ملاحظة أركل لتقنية الصقل، فقد أعيد تقييم نظرياته حول تطور الفخار والعلاقات بين المناطق بشكل كبير. وقد أوضحت الدراسات الأثرية التجريبية الحديثة والدراسات البتروغرافية (مثل دراسات إيزابيلا كانييفا ورائدي هالاند) أن الفخار المتموج الكلاسيكي من عصر البداري والمجموعة (أ) لم يكن مجرد نتاج عرضي للصقل على خطوط ممشطة. بل صُنع باستخدام تقنيات تمشيط وتنعيم متخصصة ومقصودة، مصممة منذ البداية لإنتاج موجات دقيقة مضبوطة على سطح الإناء. وكان أركل قد رجّح بشدة وجهة نظر الانتشار المفرط، حيث اعتبر التقاليد السودانية (مثل العصر الحجري الحديث في الخرطوم) الأسلاف المباشرة لتقاليد الفخار المصري في ما قبل الأسرات (مثل عصر البداري). ينظر اليوم إلى وادي النيل على أنه شبكة من المجتمعات الرعوية المتوازية والمتفاعلة التي تشترك في تقاليد تقنية واسعة النطاق (التقاليد الفخارية الصحراوية السودانية)، وليس مجرد تسلسل خطي بسيط من الجنوب إلى الشمال. أضف إلى ذلك فقد تم تصنيف "ما قبل الأسرات المتأخر في الخرطوم" و"فخار جسر أم درمان" الذي وصفه أركل، بدقة أكبر، ضمن آفاق العصر الحجري الحديث المتأخر في وسط السودان (الألفية الرابعة قبل الميلاد)، مما يساعد الباحثين على التمييز بين تطورات حوض النيل المحلية وعمليات تشكيل الدولة المبكرة في مصر (انظر مثلاً: D'Ercole et al., 2024; Haaland, 1987; Caneva, 1988).

في الجانب الآخر أعيد تقييم فرضيات أركل المتعلقة باستغلال الريوليت، والحرفية المتخصصة، وتقنية العظام في الشهبان، من خلال تحليلات تقنية حديثة متعددة المستويات. على سبيل المثال أكدت المسوحات والتنقيبات الحديثة في جبل السبلوقة (على سبيل المثال، Varadinová et al., 2019; Varadin et al., 2024) تحديد أركل للمادة الخام. وقد استُخرج الريوليت بالفعل من نتوءات بركانية محددة في الشلال السادس. ولا تزال فكرة أركل القائلة بأن الأزاميل/المقاوير كانت تُستورد بوصفها منتجات نهائية صحيحة إلى حد كبير: إذ تتركز مخلفات التقطيع الأولية (النفائات) بكثافة في

مواقع محاجر السبلوقة، بينما تُظهر مواقع السكن مثل الشهبان نسبة عالية من الأدوات النهائية، المعاد تشكيلها، والمحفوظة بعناية فائقة (D'Ercole et al., 2024). كما تؤكد دراسات آثار الاستخدام المجهري ودراسات علم الآثار التجريبية (مثل التحليلات الوظيفية الحديثة على المقاور والأزاميل المصنوعة من وسط النيل) أن المقاور/الأزاميل الحجرية والعظمية كانت تُستخدم في المقام الأول كأدوات للنجارة - وتحديدًا لتقطيع الأخشاب الثقيلة، والتشذيب، وتجويف الأشجار، وليس فقط للجزارة أو معالجة الجلود. ويتوافق اقتراح أركل بشأن الزوارق المحفورة بشكل جيد مع عمليات إعادة بناء البيئة الحديثة. تميزت المناظر الطبيعية في الألفية الخامسة قبل الميلاد حول وسط السودان بغابات كثيفة على طول نهر النيل، وشكلت الموارد المائية (الأسماك، وأفراس النهر، والرخويات) ركيزة أساسية لاقتصاد الخرطوم في العصر الحجري الحديث.

انتقد الآثاريون اللاحقون (مثل إيزابيلا كانييفا وراندي هالاند) اعتماد أركل على حلقات الحجر الرملي من الطبقات السطحية أو المضطربة في الشهبان لصياغة فرضيات حول الهراوات أو الصولجانات. فقد أثبتت أبحاث إعادة تقييم الموقع أن الشهبان تعرض لاضطرابات سطحية وتآكل ريحي شديد، بالإضافة إلى وجود دفنات واستخدامات لاحقة في العصور التاريخية (مثل عصر مروي مثلاً)، مما يجعل تعاطي أركل مع هذه الكسر على أنه دليل مؤكد من العصر الحجري الحديث أمراً غير دقيق أثرياً. وقد أسفرت الحفريات الواسعة التي جرت في مقابر ومستوطنات العصر الحجري الحديث الكبرى في وسط السودان (مثل الكدرو، والغابة، والكدادة) عن آلاف المعثورات الحجرية والدلائل الجنائزية، لكن رؤوس الصولجانات القرصية ظلت نادرة جداً أو معدومة في سياقات العصر الحجري الحديث المؤكدة بوسط السودان. بدلاً من ذلك، كانت الصولجانات الشائعة في العصر الحجري الحديث السوداني هي رؤوس الصولجانات الكروية (Spheroidal) أو البيضاضوية (Ovoid) والمصنوعة من الحجر الجيري أو حجر الغرين. وينظر الآثاريون المحدثون إلى "رؤوس الصولجانات القرصية" بوصفها رمزاً محلياً للسلطة والنفوذ الاجتماعي تطور بشكل أساسي في مجتمعات نقادة الأولى في مصر العليا وحضارة

المجموعة "أ" (A-Group) في النوبة السفلية. كما يرى الاتجاه الحديث أن وجود أي كسر لصولجانات قرصية في مستوطنات وسط السودان -إن صح تأريخها للعصر الحجري الحديث المتأخر- يمثل دليلاً على التبادل التجاري الممتد شمالاً مع مناطق النوبة ومصر العليا، وليس دليلاً على أن الشهبان هي الموطن الأصلي لابتكار هذا السلاح (انظر دراسات: Cialowicz. 1987; Hassan, 1988, Reinold, 2001). تعد دراسة (Cialowicz. 1987) مثلاً المرجعية الشاملة لتصنيف وتطور رؤوس الصولجانات (القرصية والكروية) في وادي النيل. أثبت فيها شالوفيتش أن الصولجانات القرصية شهدت ذروة تطورها واستخدامها رموز هيبية وسلطة في ثقافة نقادة الأولى (Naqada I) وحضارة المجموعة "أ" بالنوبة. وناقش (Hassan, 1988) التطور الاجتماعي والسياسي لرموز السلطة والنخب في مصر العليا ومحيطها الإقليمي، ويرى أن انتشار هذه الرموز المادية إلى الجنوب يمثل شبكات التبادل التجاري وتفاعل النخب (Elite Interaction) وليس نشوءاً مستقلاً في الجنوب. أما (Reinold, 2001) فدراسته استعراض شامل للعصر الحجري الحديث في شمال ووسط السودان، حيث يُبرز كيف أن المواد والرموز المجلوبة من الشمال (مثل رؤوس الصولجانات القرصية والأواني المستوردة) دخلت مجتمعات العصر الحجري الحديث المتأخر بوسط السودان عبر شبكات التبادل النيلية الممتدة. كما ناقشت (Caneva, 1988) السياقات الطباقية لمستوطنات وسط السودان وتفنيد نسبة بعض أدوات السلطة أو الأحجار النادرة لطبقات العصر الحجري الحديث المبكرة دون وجود دلائل جنائزية أو طباقية مغلقة تؤيد ذلك.

ثالثاً: فرضيات أركل حول الاستمرارية الثقافية وانتشار التقنيات

حاول أركل كذلك إثبات العلاقة بين الشهبان والفيوم من خلال مجموعة من السمات الاقتصادية والتنقية التي تشترك فيها الشهبان مع العصر الحجري الحديث في الفيوم، مشيراً إلى استخدام مواقع النار والمساكن الهشة للغاية، والتخلّص من الموتى خارج المستوطنة، واستئناس الحيوانات، والفؤوس المصقولة والمقاور وصقل الفخار واستخدام حجر الأمازون.

وتعد هذه العبارة من أهم الأطروحات التي قدمها أركل لربط العصر الحجري الحديث السوداني (الشهبان) بالعصر الحجري الحديث المصري (Fayum A Neolithic) عبر روافد وتأثيرات متبادلة على طول وادي النيل. يقارن أركل بين ابتكارات لم تكن موجودة في "الخرطوم المبكرة" لكنها ظهرت فجأة في الشهبان وتشابهت مع ثقافة الفيوم أ شاملاً.

وبينما لا تزال ملاحظات أركل حول الأنماط التكنولوجية المشتركة بين الشهبان والفيوم علامات فارقة في تاريخ حوض النيل القديم، فقد أعادت الأبحاث الحديثة تقييم استنتاجاته بشكل كبير. ينظر مثلاً مؤرخو ما قبل التاريخ (مثل فكري حسن، وستان هندريكس، وراندي هالاند) إلى وادي النيل في الألفية الخامسة والرابعة قبل الميلاد على أنه شبكة من المجتمعات الرعوية المترابطة والمتوازية. غالباً ما ظهرت الابتكارات في تكنولوجيا حرق الفخار في نفس الوقت أو انتشرت في كلا الاتجاهين من خلال شبكات التبادل التي تمتد عبر الصحراء والنوبة وصعيد مصر. وتُظهر الدراسات البتروغرافية والتقنية متعددة المقاييس على مجموعة الشهبان اختلافات واضحة في تحضير العجينة، واختيار المواد المضافة، ومعالجة السطح بين الأواني ذات الحواف السوداء من وسط السودان وعينات البداري/ نقادة (D'Ercole et al., 2024). في حين أن المفهوم العام للحرق ذي الحواف المخفضة كان مشتركاً عبر الأفق الصحراوي السوداني، فإن سلاسل التصنيع تُظهر تكيفات محلية بدلاً من تصدير مباشر وغير وسيط من الشهبان. مع ذلك ثبتت صحة تنبؤات أركل بشأن "الأصل الجنوبي" للأواني السوداء ذات الزخارف الغائرة جزئياً. أكدت الحفريات اللاحقة في النوبة السفلى والعليا (مثل مواقع المجموعة أ ومواقع حضارة كرمه المبكرة) أن الفخار الأسود ذا الزخارف الغائرة كان تقليداً سودانياً شاملياً أساسياً، تم تداوله شمالاً إلى صعيد مصر في عصر ما قبل الأسرات (نقادة ١-٢) بوصفها سلعاً جنائزية فاخرة. وتشير معايير الكربون المشع الحديثة إلى أن الاستيطان الرئيسي في الشهبان كان في الفترة ما بين ٤٦٠٠ و ٣٨٠٠ قبل الميلاد تقريباً. وهذا يجعلها معاصرة بشكل عام أو سابقة بقليل لثقافة

البداري في صعيد مصر (حوالي ٤٤٠٠-٣٨٠٠ قبل الميلاد)، مما يدعم احتمالية وجود اتصال إقليمي نشط، حتى وإن كانت ادعاءات النسب المباشر تُعامل الآن بمزيد من الدقة.

وقد كان أركل يميل إلى "الانتشارية المباشرة — (Diffusionism) "أي افتراض أن الابتكارات تنتقل خطياً من الشمال إلى الجنوب عبر الهجرات أو الثقافة. تتلخص التحديثات الحديثة في ثلاث نقاط رئيسية:

أ. استقلالية النموذج الرعوي الإفريقي، حيث لم تكن الشهبان مجرد "نسخة جنوبية" من الفيوم؛ بل كانت نموذجاً للرعي الإفريقي المبكر (Saharo-Sudanese Pastoralism) في الفيوم، اعتمد السكان بشكل كبير على الزراعة المستأنسة (القمح والشعير) المجلوبة من الشرق الأدنى، بينما في الشهبان اعتمد السكان على رعي الماشية وصيد الأسماك وجمع النباتات البرية (مثل الذرة البرية) دون التزام بالزراعة المستقرة.

ب. أثبتت دراسة مصادر الحجارة (مثل حجر الأمازونيت الأخضر) أن مجتمعات العصر الحجري الحديث في الشهبان والفيوم كانت جزءاً من شبكة تفاعل وبناء علاقات تبادلية واسعة (Pan-Saharan Networks) تمتد عبر الصحراء الكبرى التي كانت خضراء في منتصف الهولوسين، وليست مجرد تأثير مباشر من موقع لآخر.

ج. وجود المقاور والفؤوس المصقولة في كلا الموقعين لا يعني بالضرورة استعارة حصرية؛ بل يعكس استجابة تكنولوجية متشابهة لبيئات النيل والغابات النهرية التي تطلبت أدوات نجارة وتقطيع أخشاب أقوى من الأدوات الدقيقة التي سادت في العصر الحجري الوسيط.

إن تشخيص أركل للتشابهات بين الشهبان والفيوم كان ريادياً ودقيقاً في ملاحظة العناصر المادية (كالخرز والفؤوس والمواشي)، لكن التفسير الحديث لا يعزو هذه الابتكارات لتبعية الشهبان

للفيوم، بل يعدهما مجتمعات عصر حجري حديث "شقيقة" شاركت في شبكات تبادل صحراوية- نيلية واسعة، مع احتفاظ الشهبان بنمطها الرعوي-النهري الإفريقي الخاص.

في مكان آخر يقارن أركل بين غياب وحضور أربعة عناصر ثقافية محددة ليصل إلى استنتاجه المباشر: أن العصر الحجري الحديث في الخرطوم، على الرغم من ارتباطه بالعصر الحجري الحديث في الفيوم، يُعدّ أقدم من العصر الحجري الحديث في الفيوم. وقد قسم أركل العناصر الثقافية إلى مجموعتين:

أ. الميزات الموجودة في الشهبان والغائبة عن الفيوم

- ١/ سدادات الشفاه المصنوعة من الزيوليت (Zeolite Lip-plugs): أدوات زينة شخصية مصنوعة من معدن الزيوليت تُلبس في الشفاه أو الأذان.
- ٢/ صنارات الصيد العظمية/الصدفية (Shell Fish-hooks): أدوات صيد متقدمة مصممة للاستغلال المائي.

ب. الميزات الموجودة في الفيوم والغائبة عن الشهبان

- ١/ الزراعة: زراعة المحاصيل المستأنسة (القمح والشعير).
- ٢/ رؤوس السهام الحجرية المتقدمة (Recessed / Tanged Arrowheads): رؤوس سهام ذات قواعد مجوفة أو مجنحة.

افترض أركل أن غياب الزراعة ورؤوس السهام المتقدمة في الشهبان يعني أنها مرحلة وسيطة أقدم لم تصل إليها التطورات التكنولوجية التي ظهرت في الفيوم وعصر ما قبل الأسرات المبكر في مصر. لقد أظهرت المنهجيات الحديثة والتأريخ بالكربون المشع تفصيلاً واسعاً لاستنتاجات أركل بخصوص الزمن والعلاقة التطورية بين الموقعين:

١/ خطأ الترتيب الزمني: أثبتت نتائج التأريخ بالكربون المشع المعايير في عدة أبحاث (انظر مخلصاً في: (2006) (Sadig 2010, Wengrow, 2006) أن ثقافة الفيوم أ (Fayum A) أسبق زمنياً أو معاصرة للشهبان وليست أحدث منها.

- يمتد العصر الحجري الحديث في الفيوم بين حوالي ٥٢٠٠-٤٠٠٠ ق.م.
- بينما يمتد العصر الحجري الحديث في الشهبان في وادي النيل الأوسط بين حوالي ٤٦٠٠-٣٨٠٠ ق.م.

عليه فإن افتراض أركل أن الشهبان "أقدم" بناءً على غياب بعض التقنيات كان افتراضاً شكلياً لا يستند إلى تأريخ مطلق.

٢/ التباين الاقتصادي والبيئي وليس "التخلف الزمني":

طبيعة العصر الحجري الحديث إفريقيًا مقارنة بالشرق الشرق أدنى:

- في الشمال (الفيوم): دخلت الحزمة الزراعية (القمح والشعير) ورؤوس السهام المجوفة مباشرة عبر تأثيرات الشرق الأدنى (Levantine Package).
- في الجنوب (الشهبان/ السودان): تطور نموذج عصر حجري حديث فريد يُعرف بالعصر الحجري الحديث الرعوي الإفريقي (African Pastoral Neolithic). اعتمد سكان الشهبان على رعي الماشية والأغنام/ الماعز مع الجمع كثيف السعة للنباتات البرية (مثل الذرة البرية) والصيد المائي المتقدم، دون حاجة اقتصادية لزراعة حبوب مستأنسة.

وأرى أن غياب الزراعة في الشهبان لا يدل على "قَدَم زمني" أو "تخلف تكنولوجي"، بل يعكس خيارات اقتصادية وتكيفاً بيئياً كاملاً مع موارد النيل الأوسط والبيئة السافانية الغنية.

٣ / رؤوس السهام والتصنيف الوظيفي:

غياب رؤوس السهام ذات القواعد المجوفة في الشهاب يُفسّر حديثاً بتوفر تقنيات صيد وصنع سهام بديلة (مثل السهام العظمية والأدوات الدقيقة المتخصصة) الملائمة لبيئة الغابات النهرية والصيد المائي، بعكس بيئة الواحات والفيوم الشبه جافة التي تطلبت سهاماً حجرية منسوجة بطريقة معينة لصيد الطيور والحيوانات البرية.

٤ / سدادات الشفاه وصنارات الصيد: ميزات إفريقية محددة:

تؤكد الأبحاث الحديثة أن سدادات الشفاه وصنارات الصيد الصدفية ليست مجرد أدوات محلية ظهرت مصادفةً، بل هي علامات ثنائية للرمزية والتكيف الإفريقي (Sub-Saharan / Saharo-Sudanese). فسدادات الشفاه تُعبّر عن الهوية الجسدية والرمزية الاجتماعية الممتدة عبر إفريقيا الاستوائية والمتحركة مع مجتمعات الرعي. أما صنارات الصيد الصدفية فتعكس استمرار تقاليد العصر الحجري الوسيط في الاعتماد الراسخ على الموارد المائية.

العصر المقارن عند أركل	فرضية أركل (1953)	القراءة والأبحاث الحديثة
استئناس الحيوانات (Domestication)	رأى فيها تأثيراً مباشراً من الفيوم وشمال إفريقيا.	صحيحة جزئياً: استئناس الماشية والأغنام/ الماعز جاء من الشمال والشمال الشرقي، لكنه تطور في النوبة والسودان ضمن نظام رعي محلي فريد (African Pastoralism) يعتمد على الترحال الموسمي.
الأدوات الحجرية (Celts & Gouges)	عدّ الفؤوس والمقاور دليلاً على اتصالات تكنولوجية بين الفيوم والشهاب.	تقارب وظيفي: الفؤوس المصقولة والمقاور أملت بها البيئة المدارية واستغلال الأشجار وصناعة القوارب، وهي تكنولوجيا إفريقية أصيلة زادت الحاجة إليها مع توسع الغابات.
صقل الفخار (Burnishing Pottery)	عدّ صقل وتلميع الفخار ابتكاراً مشتركاً مع العصر الحجري الحديث الشمالي.	تطور محلي للتقنية: صناعة الفخار في وادي النيل الأوسط قديمة جداً) تعود للعصر الحجري الوسيط في الخرطوم المبكرة، وصقل الفخار كان تطوراً متدرجاً لتحسين متانة الأواني وحفظ

السائل/ الطعام.		
خرز حجر الأمازون (Amazonite / Felspar)	دليل على تجارة واقتباس مشترك لمواد الزينة.	تأكيد شبكات التجارة: أثبتت التحليلات الكيميائية الحديثة أن خرز الأمازونيت كان يتنقل عبر شبكات تبادل واسعة عبر الصحراء (من جبال التاسيلي أو جبال إيغاي/ التيبستي وصولاً للفيوم والنيل الأوسط)
حفر النار وحفر السكن الضعيفة	استخدام حفر النار وتشديد أكواخ بسيطة خارج المستوطنات.	تكيف بيئي ورعوي: تعكس طبيعة مجتمعات الرعي المتحركة التي لا تبني منشآت حجرية دائمية.

جدول (١): تحليل بعض المقارنات التي وضعها أركل (١٩٥٣م) حول العلاقة بين الشهبان والفيوم

وبنفس المفهوم يمكن تفكيك العلاقة بين الشهبان والثقافة القفصية. فبينما نجح أركل مبكراً في إثبات الاستمرارية التطورية المحلية بين الخرطوم المبكرة والشهبان، وهو استنتاج صامد حتى اليوم. لكن تعليله لغياب الأدوات الدقيقة بـ "ضعف التأثير القفصي" يُعد طرْحاً متقادماً، حيث أثبتت الدراسات الحديثة أن السبب يعود لتحولات اقتصادية ووظيفية بيئية محددة داخل مجتمعات وادي النيل، وليس بسبب انحسار تأثيرات خارجية. ويُجمع علماء الآثار المحدثون على استبعاد أطروحة التأثير القفصي (التي تنسب التطورات الحضارية في السودان إلى الحضارة القفصية في المغرب أو شمال إفريقيا)، وكان أركل يكتب في فترة سادت فيها النظريات الانتشارية (Diffusionism)، التي تفترض أن الابتكارات التكنولوجية تنتقل دائماً من مراكز خارجية، بينما أثبتت الدراسات الكيميائية والتحليلات الأثرية الحديثة أن أدوات الخرطوم في العصر الحجري الوسيط هي صناعات أصيلة ومحلية بالكامل نبتت في إفريقيا شبه الصحراء، ولا صلة لها بالقفصيين في المغرب العربي. إضافة إلى ذلك فإن اختفاء الأدوات الحجرية الدقيقة الهندسية (Microliths) في الشهبان لم يكن بسبب "ضعف تأثير خارجي"، بل نتيجة تحول اقتصادي ووظيفي:، ففي خلال العصر الحجري الوسيط اعتمد السكان

على الصيد البري وصيد الأسماك والجمع، وكانت الأدوات الدقيقة تُستخدم رؤوساً لسهام الصيد وأدوات مركبة (Composite Tools)، أما في العصر الحجري الوسيط فقد بدأ التحول نحو الرعي الباكر (Pastoralism) وإنتاج الطعام وتجهيز المواد النباتية بشكل أكبر، مما أدى إلى تغيير الطلب التكنولوجي وتراجع الحاجة لبعض أنواع السهام الدقيقة. كما لم يقتصر الأمر في الشهيناب على "تطور طبيعي" فقط، بل شهدت الشهيناب طفرة تكنولوجية حجرية تمثلت في ظهور الأدوات الحجرية المصقولة (Polished Stone Tools) مثل الأزاميل والمقاور، وهي أدوات جديدة يعزوها الباحثون المحدثون إلى زيادة كثافة الغطاء النباتي والغابات على ضفاف النيل خلال تلك الفترة، مما تطلب أدوات أثقل لقطع الخشب وتصنيعه.

رابعاً: فرضيات أركل حول أصول العصر الحجري الحديث في الشهيناب

يحدد أركل في ملخصه ثلاثة أصول جغرافية لثقافة الشهيناب:

- صلات مع الصحراء الغربية (في الحراب والأدوات الحجرية).
- جذور نيلية وشرقية محددة (في صنارات الصيد الصدفية وسدادات الشفاه).
- موروث أقدم يعزوه للعصر الحجري القديم الأعلى.

ورغم دقة رصده لهذه الروابط الشبكية، إلا أن الأبحاث الحديثة تفند تفسيره الانتشاري وتأثره بالمركزية الأوروبية؛ لتؤكد أن الشهيناب كانت جزءاً من فضاء إفريقي-صحراوي محلي متكامل ومتصل شبكياً دون تبعية لمراكز خارجية.

لقد أثبتت المعطيات الحديثة (انظر ملخصاً في: Sadig 210) من خلال الدراسات البيئية والتأريخ الحديث صحة ملاحظة أركل الجوهرية حول العلاقة مع الصحراء الغربية. فخلال فترة الهولوسين الرطب (حوالي ٨٠٠٠ - ٤٠٠٠ ق.م)، كانت الصحراء الكبرى عبارة عن شبكة من

البحيرات والأنهار والبيئات الخضراء التي سمحت بتنقل المجتمعات البشرية وتبادل التكنولوجيا. ولم تعد الحراب العظمية تُرى بأنها "تأثير قادم من الغرب إلى الخرطوم"، بل يُنظر إليها اليوم على أنها من الحضارة المائية الإفريقية (Aquatic Civilization) التي نشأت وتطورت بشكل موازٍ ومستقل عبر النيل والصحراء الكبرى. ولكن ربط أركل للحراب ذات القاعدة البصلية (Bulbous butt) بالموروث الأوروبي أو العصر الحجري القديم الأعلى هو نموذج صارخ للمركزية الأوروبية (Eurocentrism) التي كانت سائدة في علم الآثار منتصف القرن العشرين. على سبيل المثال أثبتت تنقيبات إيزابيلا كانيغا في موقع السقاي (Caneva, 1983) أن صناعات العظام والحراب في الخرطوم والعصر الحجري الوسيط الإفريقي هي ابتكارات محلية أصيلة تطورت داخل إفريقيا للاستجابة لصيد الأسماك والحيوانات النهريّة، ولا علاقة لها بأوروبا أو العصر الحجري القديم الأعلى الأوروبي. كما أثبتت الدراسات الجيولوجية والآثارية المتقدمة أن وصول مواد مثل الزيوليت من المرتفعات الشرقية (إثيوبيا) أو الأمازونية من جبال التاسيلي وإيغاي غرباً لا يعني "هجرات" بل يعكس شبكات تجارة وتبادل بعيدة المدى (Long-distance trade networks) كان يُديرها الرعاة في العصر الحجري الحديث عبر أودية النيل والصحراء (انظر: Sadig, 2010) حول شبكات التبادل والأصول الجغرافية للمواد الخام وتطور الأدوات العظمية والحجرية في العصر الحجري الحديث). في الجانب الآخر أيدت الحفريات الحديثة رؤية أركل كون صناعات الصيد المصنوعة من أصداف (*Etheria elliptica*) تقنية نيلية/ إفريقية محلية استمرت وتطورت من العصر الحجري الوسيط حتى العصر الحجري الحديث في الشهبان والبداري، وهي تعكس الاستغلال المستمر والمتقدم للموارد المائية.

حاول أركل كذلك تحديد مركز صحراوي مبكر للعصر الحجري الحديث في منطقة جبال تبستي وبحيراتها القديمة ليفسر الخصائص المشتركة بين الفيوم وتينيري والخرطوم، مستشهداً بانتشار الماعز القزم بوصفه دليلاً على شبكة استئناس وإفريقية امتدت حتى جنوب السودان. ورغم صواب ملاحظته حول الدور المحوري للصحراء الكبرى والماعرز، فإن الدراسات الجينية والآثارية الحديثة

غيّرت فهمنا لمسارات التدجين ونشأة الرعي الإفريقي.

وقد أيدت الدراسات الجيولوجية والبيئية الحديثة (انظر مثلاً: Kröpelin, 2008) صحة ملاحظة كاتون-تومبسون وأركل بأن مرتفعات تبستي وبحيرات بوركو ووانيانغا كانت بواحاتها وشبكاتها المائية مراكز استيطان وتفاعل حضاري كثيف خلال الهولوسين المبكر والمتوسط. غير أن تبستي لم تكن "المصدر الوحيد الأحادي" الذي أطلق العصر الحجري الحديث، بل كانت إحدى العقد المائية والرعية الرئيسية (Ecological Refugia) ضمن شبكة صحراوية ممتدة سمحت بحركة المجتمعات والتكنولوجيا الحيوية. في الجانب الآخر يرى أركل استناداً إلى دراسات دوروثي بيت أن الماعز القزم في الشهبان والجزائر قد يكون استؤنس محلياً في شمال/ صحراء إفريقيا، غير أن الأبحاث الجينية والحيوانية الحديثة (انظر مثلاً: Jousse, 2004, Gifford-Gonzalez, 2005) والدراسات المتقدمة للحمص النووي القديم أن جميع أنواع الماعز والأغنام المستأنسة في إفريقيا أصلها غير إفريقي، بل أدخلت من الشرق الأدنى عبر البحر الأحمر وشمال شرق إفريقيا بين ٦٠٠٠ - ٥٥٠٠ ق.م (انظر: Linseele, 2007، في دراسة استثناس الماعز وتحليله وتطوره المورفولوجي والقزامة في البيئات الإفريقية). وسلالة الماعز القزم في الشهبان ليس سلالة مستأنسة محلياً، بل هو نتيجة تكيف مورفولوجي (Morphological Adaptation) للمواشي المجلوبة من الشرق الأدنى مع بيئة السافانا والحرارة والبيئات المدارية النيلية والصحراوية.

في جانب آخر استعرض أركل في هذا النص دليلاً نباتياً أثرياً يتمثل في عينة مفحمة لثمرة "نخيل الزيت الغرب إفريقي" عُثر عليها في أحد مواقع الشهبان، ليرجح فرضية جلبها أو تداولها عبر التجارة البشرية من موطنها الأصلي في غرب أو وسط إفريقيا. ورغم حذره في طرح هذه النقطة، إلا أن المعطيات الحديثة أضفت بعداً جديداً لفهم انتشار النباتات الاقتصادية في إفريقيا. أثبتت الدراسات البيئية والتاريخية للغطاء النباتي في إفريقيا (مثل أبحاث: Maley, 1987 / 1991، أو أبحاثه المرجعية حول التغيرات البيئية والمناخية وتاريخ الغابات الاستوائية والنباتات في وسط وغرب إفريقيا والصحراء

الكبرى خلال الهولوسين) أن انتشار نخيل الزيت خلال فترة "الهولوسين الرطب" كان أوسع نطاقاً بكثير مما افترضه أركل، حيث امتدت نطاقات الغابات المدارية وشبه الاستوائية والرطوبة نحو الشمال والشرق لتشمل حوض الغزال وأعلى النيل الأبيض والصحراء الكبرى الخضراء. وبالتالي، فإن وجود نخيل الزيت في الشهبان لم يكن بالضرورة نتيجة "جلب بشري مسافات طويلة من غرب إفريقيا" كما ملح أركل، بل قد يعكس استغلالاً محلياً لنباتات كانت تنمو في نطاقات بيئية أنسب وأقرب لوادي النيل الأوسط خلال العصر الحجري الحديث، أو يعزز وجود شبكات تبادل وتجارة بين المجتمعات الرعوية والمائية الإفريقية؛ وهو ما يؤكد مجدداً اندماج الشهبان في الفضاء البيئي والاقتصادي الإفريقي المتكامل بدلاً من فرضيات النقل العشوائي البعيد.

وخلاصة الأمر أن أركل نجح في رصد التشابه المادي والروابط التكنولوجية الواسعة بين الشهبان والصحراء الوسطى (مالي والنيجر) والفيوم والشرق، لكن خطؤه كَمَن في تفسير هذه العلاقات عبر "التأثيرات الخارجية والهجرات" أو "الموروث الأوروبي".

ويؤكد التفسير الأثري الحديث أن الشهبان كانت جزءاً من فضاء إفريقي محلي متصل (Saharo-Sudanese Space) تشارك في تقنيات الصيد والرعي وعلاقات التبادل تجارياً وثقافياً دون تبعية لأي مركز خارجي (صادق، ٢٠٢٠م-ب). في الجانب الآخر فإن تبنى أركل فكرة "الاستمرارية الثقافية والعرقية" مع جنوب السودان، واستخدام مصطلحات مثل "Nilotic negroes" وربطهم مباشرة بساكلي الشهبان تعكس أدبيات الأنثروبولوجيا الفيزيائية القديمة في منتصف القرن العشرين، والتي اعتمدت على قياسات الجماجم وتصنيفات سلالية مجزأة.

خامساً: تاريخ الشهبان

يُمثل هذا الجزء من كتاب أركل وثيقة تاريخية بالغة الأهمية في تاريخ علم الآثار؛ فهي تؤرخ لإحدى أولى محاولات تطبيق تقنية التأريخ بالكربون المشع (C14) التي ابتكرها ويلارد لبي (Willard

(Libby) في سياق آثار ما قبل التاريخ في إفريقيا ووادي النيل.

وتُظهر مناقشة أركل لنتائج التأريخ بشكل جلي الصراع الفكري والنظري الذي واجهه بين النتائج العملية الأولية للفيزياء وبين افتراضاته الأثرية المسبقة، وكيف حاول التوفيق بينهما عبر اختيار التاريخ الأعلى هامشاً والمتوسط الحسابي للوصول إلى زعم توافق زمني مع العصر الحجري الحديث في الفيوم.

وقد ذكر أركل أن عينات بذور السيلتس من الخرطوم القديمة لم تكن تحتوي كربوناً قابلاً للحرق، بينما كانت كميتها من الشهبان غير كافية، مما اضطرهم لإرسال الفحم النباتي والأصداف. وقد تم إرسال دفعة ثانية من الفحم أخذها صادق أفندي نور من الميدان لاحقاً، وهو ما أثار شكوك أركل المنهجية حول مدى تلوث العينات أو دقة سياقها الطبقي. وقد نشأت نتيجة لهذه التواريخ فجوة زمنية شاسعة مقدارها نحو ٨٠٠ عام بين الفيوم والشهبان.

ونظراً لأن أركل كان مؤمناً بوجود صلات ثنائية ومباشرة وثيقة بين الثقافتين (انظر أعلاه)، عدّ أن هذه الفجوة "غير منطقية أثرياً"، وافترض وجود "خطأ ما" في الحسابات العملية. ويبدو من النص أن أركل أخذ الحد الأقصى لتاريخ الصدف في الشهبان (380 ± 5446 قبل الحاضر) والحد الأدنى لتاريخ الفيوم (250 ± 5845) ليدعي تقارباً زمنياً عند ٣٩٠٠ ق.م ويفترض معاصرتهما!

أعادت الأبحاث الحديثة وتطور تقنيات الكربون المشع (خاصة المعايرة وتسريع المطياف الكتلي AMS) تقييم هذا الطرح. فعندما جرت معايرة التواريخ القديمة للشهبان في الثمانينيات والتسعينيات (انظر الملخص في: Sadig, 2010) تبين أن التواريخ الحقيقية أقدم بـ ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ عام من التواريخ غير المعايرة التي نشرها ليبي وأركل.

وكان أركل قد فضّل تاريخ الصدف (380 ± 5446) على تاريخ الفحم، لكن علم الآثار

الحديث أثبت أن الأصداف البحرية والنهرية تعطي تواريخ أقدم من عمرها الحقيقي بسبب ما يُعرف بـ"تأثير خزان الكربون" (Reservoir Effect)، حيث تمتص الكائنات البحرية والنهرية كربوناً قديماً ذائباً في الماء من الصخور الكلسية والنهرية. ويمكن القول أن لجوء أركل للصدف لمنح الشهبان تاريخاً أقدم كان خطأً منهجياً من الناحية المخبرية، وإن كان قد قُرب النتيجة بالصدفة نحو التاريخ المعايير الحقيقي.

أثبتت نتائج الكربون المشع المعايير في مواقع بيئة الخرطوم (مثل الجيلي، الكباشي، الخدائي، والشهبان) أن العصر الحجري الحديث في الشهبان يقع أساساً في النصف الأول من الألف الخامس قبل الميلاد (حوالي ٤٦٠٠ - ٤٠٠٠ ق.م). وبالتالي، فإن الفجوة الزمنية بين الفيوم والشهبان موجودة فعلياً وليست خطأً معملياً، وتعكس انتشاراً وتكيفاً تدريجياً لتقنيات الرعي عبر إفريقيا.

وتغطي تواريخ الكربون المشع التي تم الحصول عليها من مواقع العصر الحجري الحديث في وسط السودان فترة لا تقل عن ٣٠٠٠ سنة. ازدهرت معظم المواقع خلال الألفية الخامسة قبل الميلاد، في حين استمرت مواقع أخرى حتى الألفية الرابعة والثالثة قبل الميلاد. واستمر احتلال مواقع شق الدود وإسلانج ٢ وجبل تومات حتى العقود الأولى من الألفية الثالثة قبل الميلاد ونهاية الألفية الثانية قبل الميلاد، واستمر احتلال جبل مويه حتى نهاية الألفية الأولى قبل الميلاد.

وبشكل عام يمكن التعرف على أربع مجموعات في سياق العصر الحجري الحديث في نهر النيل الأوسط (صادق ٢٠٢٠م/ب):

١. أفق العصر الحجري الحديث المبكر الكلاسيكي (Classic Early Neolithic Horizon): تحتوي المواقع على الثقافة المادية النموذجية للشهبان، وخاصة مع وجود أداة القاوج/ المقور (الجيلي والنوفلاب والكدر و ١).

٢. أفق العصر الحجري الحديث المبكر النهائي (Terminal Early Neolithic Horizon): تشترك المواقع في بعض السمات مع الشهبان ولكنها تفتقر إلى القاوج (ربك وجبل تومات والنوفلاب ٢).

٣. أفق العصر الحجري الحديث المتأخر النوع أ (Late Neolithic Horizon Type A): مواقع مثل الكدادة والصُور معاصرة جزئياً للفترة المتأخرة للمجموعتين المذكورتين أعلاه، ولكنها تعكس ثقافة مادية أكثر تعقيداً منها. تشمل المواد التي تم فحصها من الكدادة والصُور على عدة أنواع من الفخار الذي يمثل قمة إنتاج الفخار خلال العصر الحجري الحديث المتأخر. جاءت بعض المواد المماثلة أيضاً من مقبرة صغيرة في الجيلي، تعلو جزئياً مستوطنة العصر الحجري الحديث المبكر.

٤. أفق العصر الحجري الحديث المتأخر النوع ب: يحتوي هذا الأفق على مواقع مختلفة بمواد أثرية تختلف جزئياً عن المواقع النهرية (شق الدود (أ) جبل مويه (المرحلة الثانية) وجبل تومات).

يغطي الأفق الأول والثاني أوائل العصر الحجري الحديث لوادي النيل الأوسط، ويمتد على نطاق واسع خلال الألفية الخامسة قبل الميلاد، في حين أن الأفقين الثالث والرابع المرتبطين بالعصر الحجري الحديث المتأخر، ويمتد من الرابع إلى أوائل الألفية الثالثة قبل الميلاد.

ومن الواضح أن العصر الحجري الحديث المتأخر يستمر في وقت لاحق في بعض أجزاء وادي النيل الأوسط، حتى لو كنا لا نزال نعرف القليل نسبياً عن عصور ما قبل التاريخ المتأخرة للعديد من المناطق.

يمثل التطور الثقافي خلال العصر الحجري الحديث المتأخر لوادي النيل الأوسط توزيعاً واسعاً للثقافات التي نشأت أو تطورت ما بعد العصر الحجري الحديث الخرطومى (post-Khartoum Neolithic cultures) (حوالي ٤٠٠٠ قبل الميلاد) والتي انتشرت من شندي جنوب نهر عطبرة نزولاً إلى

سهل الجزيرة بين النيلين الأبيض والأزرق. يمكن تصنيف هذه الثقافات في ثلاثة مظاهر إقليمية متميزة:

- ١/ أولها موجود في منطقة امتداد شندي ويرتبط بمواقع الكدادة والصُور (Sadig 2005).
- ٢/ الثاني يوجد في منطقة الخرطوم ويرتبط بشكل أساسي بالمدافن المتأخرة من العصر الحجري الحديث في الشهباناب وكبري أم درمان والجيلي.
- ٣/ ظهر المظهر الإقليمي الثالث للعصر الحجري الحديث المتأخر في البطانة ومرتبطة بموقع شق الدود وفي سهل الجزيرة.

يبدو أن أول تطورين من العصر الحجري الحديث في منطقة شندي والخرطوم مرتبطان ارتباطاً وثيقاً ببعضهما البعض وربما يمثلان وجهاً واحداً احتوت على مجموعتين ثقافيتين أو أكثر. يبدو أن التطور الثالث، المرتبط بالسهل الأوسط إلى الجنوب من الجزيرة، يمثل تطورات ثقافية أخرى لا تشترك في العديد من العناصر المشتركة كما هو الحال في المرحلتين الأوليين.

من المحتمل جداً أن تكون متأخرة زمنياً كذلك عن التطورات الأخرى في منطقة شندي ومنطقة الخرطوم. القاسم المشترك بين هذه التطورات في أواخر العصر الحجري الحديث داخل وادي النيل الأوسط هو أنها كانت أصلية في المنطقة وربما تطورت من العصر الحجري الحديث الخرطومي السابق.

ويبدو أن محاولة أركل القسرية "لمطابقة" تاريخ الشهباناب مع الفيوم كانت نابعة من فرضيته المعرفية القائلة بأن الثقافتين يجب أن تكونا متزامنتين أو أن أحدهما مشتقة مباشرة من الأخرى. وقد أوضحنا أعلاه كيف أن الدراسات الحديثة قد أثبتت أن التباين الزمني والخصائص المادية يعكسان مسارين مستقلين ومتباعدي خلال العصر الحجري الحديث:

١ / مسار شمالي (الفيوم): عصر حجري حديث مبكر قائم على حزمة الزراعة ورعي المواشي المجلوبة من الشرق الأدنى (انظر: Dee, et al. 2012 للتواريخ الدقيقة والمعايرة للعصر الحجري الحديث في الفيوم).

٢ / مسار جنوبي رعوي-مائي (الشهبان): عصر حجري حديث رعوي يتكيف مع بيئة السافانا والنيل الأوسط، يعتمد على رعي الأغنام والأبقار مع استغلال مكثف للموارد المائية والنباتية المحلية.

سادساً: العرق البشري

تمثل افتراضات أركل حول العرق البشري لسكان الشهبان واحدة من أكثر النصوص المليئة بالجدل والمفاهيم العرقية المتقدمة في تاريخ الآثار الإفريقية؛ إذ تلخص نمط التفكير الإثنوغرافي والأنثروبولوجي الفيزيائي الذي كان سائداً في العصر الاستعماري (منتصف القرن العشرين).

يعتمد أركل في هذا النص على فرضية "الأرستقراطية الوافدة" أو "العرق الأسمى / الشرقي" (Brown Race / Hamitic Theory)، متأثراً بآراء مفكرين وأنثروبولوجيين مثل جرافتون إيليوث سميث (Grafton Elliot Smith) وتشارلز سيليجمان (C.G. Seligman)، ليُفسر كيف ظهرت ابتكارات العصر الحجري الحديث في الشهبان والفيوم.

يمكن تقسيم الافتراضات الجدلية لأركل إلى أربعة محاور أساسية:

١ / الربط الإثنوغرافي البسيط: ربط أركل بين تقاليد الشهبان (مثل سدادات الشفاه الفخارية/ الزيلوليتية وفخار المصقول المحرز) وبين قبائل معاصرة في جبال النوبة (مثل قبائل المورو Moro وقبائل كادقلي/ الكاديرو Kaderu)، معتبراً إياهم الامتداد الثقافي والعنقي المباشر لسكان الخرطوم خلال العصر الحجري الوسيط والعصر الحجري الحديث.

٢ / الاستعلاء العرقي المباشر (Eurocentric / Racial Determinism): يصرح أركل بوضوح بعبارته الشهيرة المرفوضة علمياً: "إن العرق الزنجي لا يُعرف بالمبادرة أو الأفكار الإبداعية، والتي تعد من خصائص العرق الأسمر (Brown Race)".

٣ / فرضية الطبقة الأرستقراطية الحاكمة (The Migratory Aristocracy): يفترض أركل أنه نظراً لأن الفخار يوضح استمرارية محلية (صنعتة النساء "الزنجيات" المحليات)، فإن الابتكارات الجديدة المتقدمة (كالرعي وتقنيات الحجر المصقول) لا بد وأنها جُلبت بواسطة "مهاجرين من العرق الأسمر" شكّلوا طبقة حكام أو "أرستقراطية وافدة" سيطرت على السكان المحليين!

٤ / التوزيع الجغرافي المحدود: يلاحظ أركل أن مواقع العصر الحجري الحديث المكتشفة حتى عصره كانت محصورة في وادي النيل بين جبل أولياء والشلال السادس (السبلوقة)، مع قلة الجبانات المكتشفة التي تسمح بدراسة الجماجم بدقة.

أعادت المدرسة الآثارية والأنثروبولوجية الحديثة تفنيد هذا الطرح كلياً، وعدّته نموذجاً للـ "المركزية الأوروبية والأنثروبولوجيا العنصرية" (Racial Determinism / Colonial Archaeology) التي ثبت بطلانها تماماً (انظر: صادق والحسن ٢٠٠٦م). فقد أثبتت الدراسات الجينية المتقدمة (خاصة الجينوم القديم Paleogenomics) وتطور الأنثروبولوجيا الفيزيائية أن مفهوم "العرق البيولوجي المتراتب" (Biological Race) هو مفهوم زائف علمياً ولا سند له في الوراثة البشرية.

وقد أظهرت الأبحاث في السودان أن التغيرات الثقافية والتكنولوجية في العصر الحجري الحديث ليست نتيجة "جينات عرقية" أو "هجرات أرستقراطية"، بل هي نتيجة تطور اجتماعي واقتصادي وتكيف بيئي أصيل قامت به المجتمعات المحلية في وادي النيل والصحراء الكبرى.

وكان أركل قد اعتمد على فكرة أن الزنوج "غير قادرين على الابتكار" ليفسر ظهور الرعي والأدوات المصقولة. وقد أثبتت الحفريات الميدانية الحديثة في مواقع مثل (السقاي، الجيلي، الكباشي،

والخدي) أن التطور الحجري والفخاري والرعوي كان عملية محلية متصلة ومدرجة (In-situ Evolution). وتعد صناعة الفخار المزخرف والتقنيات الحجرية في وادي النيل الأوسط من أبكر وأرقى التقنيات في العالم (تسبق حتى العصر الحجري الحديث المشرقي في بعض جوانبها)، مما يدحض مقولة غياب الإبداع المحلي.

في الجانب الآخر فإن إسقاط أركل لتجارب وتقاليد قبائل المورو أو الكايدرو المعاصرة في جبال النوبة مباشرة على مجتمعات عاشت قبل ٦٠٠٠ عام يُعد منهجياً "إسقاطاً إثنوغرافياً تبسيطياً"، حيث تعكس الممارسات الجسدية (كسدادات الشفاه أو خلع القواطع) تقاليد ثقافية إفريقية واسعة الانتشار (Pan-African Cultural Traits) ارتبطت بالرمزية الاجتماعية والهوية، وليست دليلاً على انقسام عرقي بين "نخبة وأتباع".

جانب آخر مهم يتعلق بما لاحظته أركل من تركيز المواقع بين جبل أولياء والشلال السادس، والذي يعد نتيجة "تحيز المسح الأثاري" (Survey Bias) في خمسينيات القرن الماضي؛ حيث تركزت أعماله بالقرب من الخرطوم. وقد أثبتت المسوحات الحديثة أن العصر الحجري الحديث السوداني ينتشر على نطاقات واسعة جداً تمتد من النوبة السفلى والعليا شمالاً، إلى البطانة والصحراء الشرقية وغرب السودان (وادي هور ووادي الملك) ومناطق شندي ودنقلا.

وخلاصة الأمر إن ادعاء أركل بوجود "أرستقراطية من العرق الأسمر" جلب الثقافة لسكان محليين "عاجزين عن الإبداع" هو طرح ملغى ومرفوض علمياً كلياً. تؤكد الأبحاث والأنثروبولوجيا الحديثة أن العصر الحجري الحديث في الشهبيناب هو ثمرة تطور وإبداع محلي أصيل لمجتمعات وادي النيل الإفريقية، وأن انتشار هذه الحضارة كان واسعاً وشاملاً لمناطق شاسعة خارج نطاق الخرطوم الضيق الذي افترضه أركل.



وفي آخر حاشية من الملخص والاستنتاجات يناقش أركل الاكتشاف الثنائي في موقع "كوم W" في الفيوم مستشهداً بجمجمة ذات "خصائص زنوجية" (*Negroid Skull*)، ثم يعود ليتشكك في تأريخها بناءً على رأي ديرري الذي أرخها إلى نحو ٢٠٠٠ ق.م، مع إشارته إلى ممارسة ثقافية مشتركة تمثلت في خلع القواطع العلوية المركزية خلال الحياة. وتمثل هذه الحاشية "نموذجاً جلياً للارتباك المنهجي والتأويلي الذي وقع فيه أركل والأنثروبولوجي ديرري أثناء محاولة الربط العرقي والأنثروبولوجي بين شمال وادي النيل (الفيوم) وجنوبه (الخرطوم). حاول أركل التعامل مع مفارقة وجود جمجمة تحمل خصائص "زنوجية" بالقرب من موقع العصر الحجري الحديث الرئيسي في الفيوم (Kom W) وهي مفارقة تصدم فرضيته السابقة القائلة بأن العصر الحجري الحديث في الفيوم كان حكرًا على "العرق الأسمر" المشرقي. وقد لجأ أركل لرأي التشريحي ديرري لتأخير تاريخ الجمجمة إلى ٢٠٠٠ ق.م (العصر الوسيط/ المملكة الوسطى)، وذلك لإنكار صلتها بالعصر الحجري الحديث وتجريد الفيوم خلال ذلك العصر من أي مكونات "زنوجية" أصيلة. وقد رصد أركل سمة ثقافية بالغة الأهمية، وهي الممارسة الجسدية المتمثلة في خلع القواطع العلوية أثناء الحياة، وهي ممارسة لوحظت في رفات الخرطوم المبكرة وجمجمة الفيوم على حد سواء.

تعد عملية خلع القواطع (Dental Ablation / Incisor Extraction) واحدة من أبرز السمات الثقافية والرمزية الإفريقية العابرة للمناطق (Pan-African Cultural Markers) خلال الهولوسين المبكر والمتوسط. وقد لوحظت هذه الظاهرة بكثافة في جماجم الخرطوم المبكرة، وبعض مواقع العصر الحجري الحديث في السودان، وكذلك في الصحراء الكبرى وشمال إفريقيا. وجود هذه الممارسة في جماجم الفيوم لا يعكس مجرد "صدفة" بل يؤكد وجود روابط وثقافية وطقسية مشتركة امتدت على طول وادي النيل، بعيداً عن التفسيرات العرقية المنسوبة للجينات (انظر: Irish, 1998) للدراسة المرجعية الأساسية حول تعديلات الأسنان والسمات السنية المشتركة لسكان إفريقيا ووادي النيل في ما قبل التاريخ). وقد كانت

تحليلات ديريك ديرى تعتمد على القياسات القحفية الشكلية (Cranimetry) التي سادت في بدايات القرن العشرين، والتي كانت تهدف لتقسيم البشر إلى "أعراق نقية" ومحددة. في الجانب الآخر أثبتت الدراسات الجينية الحديثة والأنثروبولوجيا الحيوية أن المجتمعات النيلية والصحراوية في العصر الحجري الحديث كانت تتسم بالتنوع المورفولوجي والتداخل البشري الكثيف، وأن المحاولات الاستعمارية لتصنيف المجمعة كـ "وافدة" أو "متأخرة" لمجرد أنها لا تطابق النموذج المفترض لسكان الفيوم كانت محاولة مدفوعة بالانحياز النظري للانتشارية. ولم تعد الاستنتاجات الشكلية الصادرة في الخمسينيات مقبولة لتأريخ العظام. تُؤرَّخ الهياكل العظمية اليوم مباشرة باستخدام المطياف الكتلي للكربون المشع (C14 AMS) على كولاجين العظام.

وبعد دراسة عشرات المدافن في السودان (انظر ملخصاً في: Sadig, 2010) أثبتت التواريخ الحديثة للهياكل البشرية في الفيوم والنيل الأوسط أن التواجد البشري والتفاعل الثقافي عبر وادي النيل كان أكثر قدماً واستمراراً مما افترضه أركل، وأن المجموعات البشرية في الفيوم والخرطوم كانت جزءاً من حوض جيني وثقافي وشبكي إفريقي واسع استغل ضفاف النيل والصحراء الخضراء.

المصادر والمراجع

مراجع الترجمة:

- Addison, F. (1949). *The Wellcome Excavations in the Sudan. Part I: Jebel Moya (Text)*. Published for the Trustees of the late Sir Henry Wellcome by Oxford University Press, London & New York. 12-24.
- Ardito, G. (1942). *Il Sahara Italiano. II-III: Tibesti Nord-Orientale*. Roma: Istituto Poligrafico dello Stato.
- Arkell, A. J., (1947). Early Khartoum. *Antiquity*, cod, *Antiquity*, Volume 21, Issue 84, December 1947, pp. 172 - 181
- Arkell, A. J., (1949). Early Khartoum. Oxford.
- Arkell, A. J., (1951). 'Possible Magdalenian Survivals in Africa', *Antiquity*, xxv, pp. 19-21
- Arkell, A. J. (1953). Shaheinab: An Account of the Excavation of a Neolithic Occupation Site Carried Out for the Sudan Antiquities Service in 1949-1950.
- Arnold, J. R., & Libby, W. F. (1950). *Radiocarbon Dates*. Chicago: University of Chicago, Institute for Nuclear Studies.
- Caton-Thompson, G., & Gardner, E. W. (1934). *The Desert Fayum*. London: Royal Anthropological Institute / The British School of Archaeology in Egypt.
- Clark, J. G. D. (1947). *Whales as an Economic Factor in Prehistoric Europe*. *Antiquity*, 21(82), 84-104.
- Dalloni, M. (1930). *Mission au Tibesti*. Mémoires de l'Académie des Sciences de l'Institut de France, 62. Paris.
- Joubert, G. (1943-1946). *Le Néolithique du Tinert*. *L'Anthropologie*, 57(1), 325-330. See : Vaufrey and Joubert, 1946 in the text.
- Kelley, Harper. (1934). *Collections africaines du Département de Préhistoire exotique du Musée d'Ethnographie du Trocadéro. I. Harpons, objets en os travaillés et sites taillés de Taferjit et Tamaya Mellet (Sahara nigérien)*. *Journal de la Société des Africanistes*, 4, 135-144.
- Lucas, A. (1948). *Ancient Egyptian Materials and Industries*. 3rd ed., revised. London: Edward Arnold.
- Monod, Théodore. (1948). *Reconnaissance au Dohone*. Mission Scientifique du Fezzan 1944-1945, Tome VI, Deuxième Partie. Alger: Gouvernement Général de l'Algérie.
- Noël, P. (1917). *Outils préhistoriques recueillis dans le Sahara oriental*. *L'Anthropologie*, 28, 351-368.
- Petrie, W. M. Flinders. (1921). *Corpus of Prehistoric Pottery and Palettes*. London: British School of Archaeology in Egypt; University College; Constable & Co., Ltd.; Bernard Quaritch. (Series: *Publications of the Egyptian Research Account and British School of Archaeology in Egypt*. No. 32.

مراجع أخرى في الملاحظات:

المراجع العربية:

- صادق، أزهري مصطفى، حقيقة انقطاع الاستيطان البشري في وسط السودان، ٢٢٥٠-١٠٠٠ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم، ١٩٩٩ م.
- صادق، أزهري مصطفى، مسارات التطور الثقافي في السودان في عصور ما قبل التاريخ (١) العصر الحجري القديم، آداب، كلية الآداب جامعة الخرطوم، العدد ٣٨، يونيو ٢٠١٧ م، ٧٩-١٠٤، ٢٠١٧ م.
- صادق، أزهري مصطفى، ما قبل التاريخ في السودان، آداب، كلية الآداب جامعة الخرطوم، العدد ٤٢، يناير ٢٠٢٠ م، ١٠١-١٦٨، ٢٠٢٠ م-أ.
- صادق، أزهري مصطفى، تطور دراسات العصر الحجري الحديث في السودان، من أنطوني جون أركل إلى نهاية القرن العشرين، آداب، كلية الآداب جامعة الخرطوم، العدد ٤٣، يوليو ٢٠٢٠، ١٦٦-٢٠٤، ٢٠٢٠ م-ب.
- صادق، أزهري مصطفى، مسارات التطور الثقافي في السودان في عصور ما قبل التاريخ (٢) آفاق العصر الحجري الوسيط الثقافية وصناعاته، آداب، مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم، العدد ٤٦، ٢١٩-٢٧٧، ٢٠٢٢ م.
- صادق، أزهري مصطفى، حزمة العصر الحجري الحديث، المفهوم والتطبيق على الحالة السودانية، مجلة التراث الثقافي، مركز دراسات الحضارات السودانية، ٢٠٢٥ م/ب.
- صادق، أزهري مصطفى، والحسن، جمال جعفر عباس، دور نظريات ومناهج آثارية في تفسير المدافن في السودان القديم، مجلة ادوماتو، مجلة محكمة لآثار الوطن العربي، المملكة العربية السعودية، عدد ١٣، ٧-٢٤، ٢٠٠٦ م.

المراجع الأجنبية:

- Caneva, I. (1988). *El Geili: The History of a Settlement in the Central Sudan*. BAR International Series 424. British Archaeological Reports.
- Caneva, Isabella (1983). *Pottery making traditions in the Late Palaeolithic and Early Holocene of Sub-Saharan Africa*, Meroitica 7.
- Cialowicz, K. M. (1987). Les têtes de massues des périodes prédynastique et thinite dans la Vallée du Nil. Warszawa-Kraków: Nakładem Uniwersytetu Jagiellońskiego.
- D'Ercole, G., Dunne, J., Eramo, G., Evershed, R. P., & Garcea, E. A. A. (2024). Esh-Shaheinab: The archetype of the Sudanese Neolithic, its premises and sequels. *PLoS ONE*, 19(10)
- Dee, M., et al. (2012). «Investigating the chronology of Pre-Dynastic Egypt and the Fayum Neolithic using radiocarbon dating», *Radiocarbon*, 54(1).
- Gifford-Gonzalez, Diane (2005). «Pastoralism in Sub-Saharan Africa: The Archaeological Evidence», *Journal of Anthropological Archaeology*.
- Haaland, R. (1987). *Socio-Economic Evolution in the Khartoum Region of the Sudan in the Neolithic*. Cambridge Monographs in African Archaeology 18. BAR International Series 316.
- Hassan, F. A. (1988). The Predynastic of Egypt. *Journal of World Prehistory*, 2(2), 135–185. <https://doi.org/10.1007/BF00975312>
- Irish, Joel D. (1998). «Ancestral dental traits in recent Sub-Saharan Africans and the origins of modern humans», *Journal of Human Evolution*, 34(1).
- Kröpelin, Stefan et al. (2008). «Annually laminated lake sediments from Ounianga Kebir (Chad)», *Science*.
- Linseele, Veerle (2007). *Archaeofaunal Remains from the Past 4000 Years in Sahelian West Africa*, BAR International Series.
- Maley, Jean (1987 / 1991). «The African rain forest main characteristics of changes in vegetation and climate from the Upper Cretaceous to the Quaternary», *Proceedings of the Royal Society of Edinburgh*, 97B, 31-90.
- Reinold, J. (2001). Kadruka and the Neolithic in the Northern Sudan. *Sudan & Nubia*, 5, 2–10.
- Sadig. A. M. (2004). *The Neolithic of Nubia and Central Sudan. An Intra-Regional Approach*. Unpublished PhD Thesis. University of Khartoum.
- Sadig. A.M. (2005). “Es-Sour: a Late Neolithic site near Meroe”. *Sudan and Nubia*. The Sudan Archaeological Research Society, Bulletin No. 9: 40-46
- Sadig. A. M. (2010). *The Neolithic of the Middle Nile Region. An Archaeology of Central Sudan and Nubia*. Nile Basin Research Programme Publications. University of Bergen. Norway.
- Sadig. A. M. (2012). “Chronology and Cultural Development of the Sudanese Neolithic”. *Beiträge zur Sudanforschung* 11. Wien 2012. 137-184.
- Sadig. A. M. (2013). “Reconsidering the ‘Mesolithic’ and ‘Neolithic’ in Sudan”. In: Noriyuki Shirai (ed.), *Neolithisation of Northeastern Africa. Studies in Early Near*

Eastern Production, Subsistence, and Environment 16 (2013). Berlin: ex oriente. 23-42.

- Varadzin, L., Varadzinová, L., Hošek, J., & Pokorný, P. (2024). Fossil spring records from central Sudan reveal paleoenvironmental and settlement dynamics in the Eastern Sahel during the last 30 ka. *Quaternary Science Reviews*, 344, 108928.
- Varadzinová, L., Varadzin, L., Crevecoeur, I., Kapustka, K., McCool, J.-P., & Sůvová, Z. (2019). Exploration of the late prehistoric occupation in the western part of Jebel Sabaloka in central Sudan: findings of the 2018 field campaign]. *Pražské egyptologické studie [Prague Egyptological Studies]*, 22, 43–53.
- Wengrow, David (2006). *The Archaeology of Early Egypt: Social Transformations in North-East Africa, 10,000 to 2650 BC*, Cambridge University Press.

تراجم الباحث:

- الحسن، جمال جعفر عباس، صادق، أزهري مصطفى، موقع تنقاسي (الطرابلس) نتائج التنقيبات الأثرية (١٩٥٤م إلى ٢٠١٨م)، مجلة التراث الثقافي، مركز دراسات الحضارات السودانية، عدد خاص، ٢٠٢٥م.
- صادق، أزهري مصطفى، أسرة أثيوبيا الملكية (ترجمة)، آداب، كلية الآداب جامعة الخرطوم، العدد ٣١، ٢٧٥–٣١٠، ٢٠١٣م.
- صادق، أزهري مصطفى، العصر الحجري القديم في السودان، أنطوني جون آركل (١٩٤٩م)، آداب، العدد ٤٩، ٢٠٢٣م.
- صادق، أزهري مصطفى، الخرطوم المبكرة (Early Khartoum) أنطوني جون آركل ١٩٤٩م، الملخص والاستنتاجات (ترجمة)، آداب، مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم، العدد ٥٣، ٢٢٩–٢٦٦، ٢٠٢٥م/أ.
- صادق، أزهري مصطفى، موجز عصور ما قبل التاريخ في النوبة فريد ويندورف، (ترجمة)، آداب، مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم، العدد ٥٤/٢، ٢٦٢–٣٠٤، ٢٠٢٦م.
- صادق، أزهري مصطفى، الماضي النوبي: آثار السودان The Nubian past : an archaeology of the Sudan. ديفيد إدوارد. تحت النشر.

Science 1997 data mentioned in your text].

- Vaillant, G. E. (1992). *Ego mechanisms of defense: A guide for clinicians and researchers*. American Psychiatric Press.
- Vaillant, G. E. (1977). *Adaptation to life*. Little, Brown.
- Vermillion, M. (1994). Re-embodying the self: Representations of rape in "I Know Why the Caged Bird Sings" and "The Color Purple". *College English*, 56(1), 52-60.
- White, M. (2007). *Maps of narrative practice*. W. W. Norton & Company.
- Rosentunt, Michael, Sieged, Susan - 'How Can We Discover the Contents of Visual Experience'.2011
- 6//1/2017 last seen 11:50

References from net:

- Freyd, J. J. (2008). Betrayal trauma. *Journal of Trauma & Dissociation*, 9(4), 407–412. <https://doi.org/10.1080/15299730802466023>
- Demetrakopoulos, S. A. (1980). The matriarchs of *I know why the caged bird sings*. *College English*, 42(2), 180–189. <https://doi.org/10.2307/376241>

References

- Angelou, M. (2011). *I Know Why the Caged Bird Sings*. Ballantine Books. (Original work published 1969).

Secondary sources:

- Bloom, H. (Ed.). (2004). *Maya Angelou's I know why the caged bird sings*. Chelsea House Publishers.
- Braxton, J. M. (Ed.). (1999). *Maya Angelou's I Know Why the Caged Bird Sings: A Casebook*. Oxford University Press.
- Buss, A. H. (1961). *The psychology of aggression*. John Wiley.
- Clavreul, J. (1980). The perverse couple. In S. Schneiderman (Ed. & Trans.), *Returning to Freud: Clinical psychoanalysis in the school of Lacan* (pp. 215–233). Yale University Press.
- Cudjoe, S. R. (1984). Maya Angelou: The denseness of the narrative. In M. Evans (Ed.), *Black Women Writers (1950-1980): A Critical Evaluation*. Doubleday.
- Courtois, C. A. (1988). *Healing the incest wound: Adult survivors in therapy*. W. W. Norton & Co
- Fenichel, O. (1945). *The psychoanalytic theory of neurosis*. W. W. Norton & Company.
- Freyd, J. J. (1994). Betrayal trauma: Traumatic amnesia as an adaptive response to childhood abuse. *Ethics & Behavior*, 4(4), 307-329.
- Hall, C. S. (1954). *A primer of Freudian psychology*. World Publishing Company.
- Hagger, N. (2011). *A view into my life*. O-Books
- Haworth, M. R. (1964). *Child psychotherapy: Practice and theory*. Basic Books.
- Herman, J. L. (1992). *Trauma and recovery*. Basic Books.
- Janet, P. (1889). *L'automatisme psychologique*. Alcan.
- Lejeune, P. (1989). *On autobiography* (K. Leary, Trans.). University of Minnesota Press.
- Penne baker, J. W. (1993). Putting stress into words: Health, linguistic, and therapeutic implications. *Behaviour Research and Therapy*, 31(6), 539-548.
- Phillips, A. (1994). *On kissing, tickling, and being bored: Psychoanalytic essays on the unexamined life*. Harvard University Press. (Original work published 1993 by Faber and Faber).
- Smyth, J. M. (1998). Written emotional expression: Effect sizes, outcome determinants, and moderating variables. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 66(1), 174-184. [Note: This corresponds to the Psychological

by sending the little girl back to Stamps after been raped. Angelou through using the stream of consciousness travels inside her protagonist's mind showing the fear, pictures the children's needs for years to cope with the life of their mother: "Bailey persisted in calling her Mother Dear until the circumstance of proximity softened the phrase's formality to "Muh Dear," and finally to "M'Deah" I could never put my finger on her realness."(Ibid., p.66) Although the mother has prepared a place for the children, but all the time there is a hazard if they get on her nerves or if are disobedient, she can send them back to Stamps. The weight of appreciation and the threat, of a return to Momma were burden that blocked the childish wits into impassivity. She describes her mother saying that: "Mother hadn't been such pretty woman, light skinned with straight hair. She was educated, from a well-known family, and after all, wasn't she born in St. Louis? Then she was gay. She laughed all the time and made jokes"(Ibid., p.67) Maya is traumatized by events and full of unwarranted guilt. Stephanie A. Demetrakopoulos says that it is "puzzling and unsettling." (Demetrakopoulos, 1980, p. 183)

Vivian is just as guilt as Bailey, Sr. of betraying their children. Thus there existed an awareness of an imperfect relationship with mother as well as father. Even if not openly acknowledged, this would have a direct effect upon sense of worth.

During this stage in Maya's growth, and towards the end of her autobiographical memoir *IKWCBS*, the two main maternal influences on her change as well. While Momma becomes less effective as Maya herself becomes a mother, Momma's effect on her decrease, giving way to that of Vivian who gradually grows more actively involved in Maya's life. Another female figure affecting Maya's life is her maternal grandmother, Mrs. Baxter, for whom Angelou herself has great pride. She was very light-skinned and probably could have easily passed as white, her choices to remain in the black community, and she was a political activist; the Baxter understood the strength of unity. She and her family spoke Standard English.

Just as Maya's rape as a child appears to be the direct result of her displacement, in some ways her teenage pregnancy results from the early absence of her biological mother in her life as a directive agent and her continued effect of her neglect. Vivian certainly begins to take Maya seriously, but she does not take an active interest in finding out whether she has answered all of her questions; thinking that everything will be all right. When, Maya discovers that she is pregnant, she is overwhelmed by the catastrophe she brings to herself and takes all the blame for it "the crowded into her mind's tiniest corner by the massive pushing in of." (Angelou, 2011, p.227) In her fear, guilt, and self-revulsion, she had accepted her plight as the hapless, put-upon victim of fate and the Furies, but this time she had to face the fact that she had brought her new catastrophe upon herself.

Vivian is opposed to abortion, and Bailey is scared that she would quit school for the first three months: "I was adapting myself to the fact of pregnancy (I did not really link pregnancy to the possibility of my having a baby until weeks before my confinement)" (Ibid., p.277) Maya's acceptance of her responsibility for her pregnancy is mother mark of her moving into the adept phase- paving the way to later maturation to take place. Giving birth to her son ushers her even prematurely into her adulthood. When she confesses after graduating that she is eight months pregnant, Vivian and Daddy Clidell calmly accept the fact is that neither blaming nor punishing her for it: "to the fact that during what surely must have been a critical period I was not dragged down by hopelessness. Life had a conveyor-belt quality. It was unpursued and un-pursuing, and my only thought was to remain erect, and keep my secret along with my balance." (Ibid., p.278) Under the nursing and assuring influence of her mother Maya accepts the care and support of the child she gives birth to and ultimately comes to love and cherish it.

All over *IKWCBS*, Angelou portrays Maya's mother, Vivian Baxter Johnson, as an extremely vital personality, that she is the author's role model. Later through the events, Maya absorbs her personal philosophy and frequently quotes her maxims of life: "to describe her would be to write about a hurricane in its perfect power. Or the climbing, falling colors of a rainbow" (Angelou, 2011, p.49) Maya describes her beauty, and her autonomy: "She was like a pretty kite that floated just above my head. If I liked, I could pull it to me by saying I had to go to the toilet or by starting a fight with Bailey. I never did either, but the power made me tender to her." (Ibid., p.63) Maya the adult presents Vivian as so pretty: "I thought she looked just like the Virgin Mary. But what mother and daughter understand each other, or even have the sympathy for each other's lack of understanding?" (Ibid., p.67)

When Vivian finds it too inconvenient to care for her children or finds it too incompatible with her life style. She finds an excuse –a depressed Maya- to send them back to Stamps. Maya's mother is seen as a "shocking callus" and insensitive

survival and maternity that has yet to come. Not least formidable among them is her teenage pregnancy and her confused sure of herself as a female- namely her bisexuality.

Maya through herself- examine in the light of what she heard and read notices that: "I want to be a woman, but that seemed to be a world to which I was to be eternally refused entrance."(Ibid., p.272) But she still has fears about whether she might be abnormal. To satisfy her questions and to find out about her "normalcy" once and for all, Maya decides to have sex and try to work out a relationship with one of two brothers who live near her home. Three weeks later, with her questions still unanswered, she finds herself pregnant, and keeps her secret from everyone but Bailey.

Maya manages to graduate from her high school only three weeks before the birth of her son. Freud laid greater stress on the fact that perversions 'On Psychopathology (PFL 10)—the Oedipus complex. In the Psychoanalytic Theory of Neurosis "go through a process of development' that "they represent an end-product and not an initial manifestation ... that the sexual aberrations of childhood, as well as those of mature life, are ramifications of the same complex (London 1946) Otto Fenichel took up the point about the defensive function of perversions—of "experiences of sexual satisfactions which simultaneously gave a feeling of security by denying or contradicting some fear"...[though] neurotics, who have repressed perverse longings, may envy the perverts who express the perverse longings openly." (Fenichel, 1945, pp. 327–328)

Jean Clavreul, in his work, "The Perverse Couple", in Stuart Schneiderman ed., *Returning to Freud* (New York, 1980) others would stress how "there is always, in any perverse act, an aspect of rape, in the sense that the other must find himself drawn into the experience despite himself ... a loss or abandonment of subjectivity." (Clavreul, 1980, pp. 227–228) Similarly, Adam Phillips in his "On Kissing, Tickling and Being Bored" (London 1994) stresses that the object relations theory would point to the way "in perversion there is the refusal, the terror of strangeness"; to the way "the "pervert"...attacks imaginative elaboration through compulsive action with an accomplice; and this is done to mask psychic pain."(Phillips,1994,p.64)

Empirical studies would find "in the perverse relationships described...an absolute absence of any shared pleasures;"(Ibid., p.104) while at the theoretical level "perversions involve - the theory tells us—an attempted denial of the difference between the sexes and the generations", and include "the wish to damage and dehumanize ... the misery of the driven, damaging life."(Ibid., p.108)

fighting to get a job as the first black conductor on the San Francisco streetcars, rather than to go back to the school where she would not belong—have made her suffer more than her peers but also mature.

Another crucial turn in the growth of Maya's identity as a black American woman is when she charts her own path, fighting to become the first black street car conductor in San Francisco. By looking for this job, Maya for the first time breaks the racist taboo which prohibited the black girl to become a car conductor in the racist society. Maya reflects her determined-spirit to take the job. Maya's words reveal her determination, strong will, and singleness of aim. They are highlighted in the added emphasis through capitalization as she tells to herself: "I WOULD HAVE THE JOB. I WOULD BE A CONDUCTOETTE AND SLING A FULL MONEY CHANGER FROM MY BELT. I WOULD." (p.260)

At the age of fifteen, Maya develops into adolescence with a singleness of mind and a stronger will. She refuses to give up the job she has chosen, and with her mother she gains knowledge about herself, about her mother's awareness of life's perils.

With Bailey's away the mother-daughter relationship undergoes chaotic change. Vivian ultimately comes to play her role as a mother worthwhile Maya gradually re-discusses and appreciates her mother's positive sides, from her Maya leaves to deal with life a new with passion and a singleness of aim and purpose: "Life is going to give you just what you put in it. Put your whole heart in everything you do, and pray, and then you can wait." Vivian equally asserts to Maya that: "God helps those who help themselves." (Angelou, 2011, p.261)

Vivian begins to play her role as a mother and take the responsibility of Maya. Meanwhile, Maya has developed her understanding of her mother Vivian and the way Maya and Bailey see her change from just a superhuman beauty to a real person with fears and insecurities of her own: "During this period of strain Mother and I began our first steps on the long path toward mutual adult admiration. She never asked for reports and didn't offer any detail... That I was no glory seeker was obvious to her, and that I had to exhaust every possibility before giving in was also clear." (Ibid., p.261) Vivian seems concerned with her children's well-being and even throws them a special party one night at two-thirty in the morning, enchanting Maya with her fun-loving and spontaneous nature. Although trained as a nurse, Vivian supports herself and her children by running poker games or gambling. Maya notes that even though Vivian reveals changeable, exaggerated outbreaks, she never compromises neither her power nor fairness and honesty.

This recognition on Maya's side foreshadows upcoming struggles for

his frustration just as he could countenance my withdrawal." (Ibid., p.88) Bailey is the pride of the Henderson/Johnson family: "My pretty Black brother was my Kingdom come." (Ibid., P.23) After she returns home Maya notices that mother and Bailey relationship changed or what she calls power/love struggle has changed. Bailey has become much older too, his language has changed, his manners are indifferent: "I told myself that growing up was not the painless process one would have thought it to be." (Angelou, 2011, p.249)

Bailey's change at this phase in Maya's life is essential for her development, because, she used to believe that she is his concern, and that they used to share the same destiny, when he gives her the choice to leave with him: "Maya if you want to leave now, come on." (Ibid., p.253) Maya cries not for Bailey or for her mother or even for herself but for the helplessness of mortals who live the sufferings Life. Maya becomes terribly upset when Bailey finally moves out of Vivian's house. In spite of his assurance that he has a mature mind and that the time has come for him to leave the nest, she believes that he is too young for his age. After his departure Maya describes her room in her mother's house as a tomb, where it is impossible to stay, yet leaving holds no attraction for her; living everywhere else would be the anticlimactic after Mexico.

During this phase Maya develops a new understanding of herself and after one long semester she recognizes that her mother's awareness of life's risks assures her that she would be safe on the public transports as a car conductor. Ultimately Maya discovers that this experience makes her much wiser, older, and more independent. As she herself asserts: "I had gone from being ignorant of being ignorant to being aware of being aware. And the worst part of my awareness was that I didn't know what I was aware of." (Ibid., p. 262) Part of her growing awareness is her recognition of negative experiences contributes to her maturity process choosing death rather than to battle with life is the easier way out. Maturity comes only at a hash price: "It becomes easier to die and avoid conflicts than to maintain a constant battle with the superior forces of maturity." (Ibid., p.263)

In the adult Maya's voice Angelou's generalizes her own experience to include a whole generation. The message is summarized in Maya's epiphany that: "until recently each generation found it more expedient to plead guilty to the charge of being young and ignorant, easier to take the punishment meted out by the older generation." (Ibid., p.264)

Because of the nature and amount of traumatic experiences Maya goes through in childhood and teenage, she comes to grow older more quickly than the children around her. Her experiences—of driving the car in Mexico, living in the junkyard, returning to witness Bailey move out of the house, and then successfully

when Maya feels unwanted and humiliated. She leaves her father's house and lives in a car in the junkyard with other homeless adolescents for a month.

Despite its negativity Maya's homelessness teaches her lessons on survival, tolerance and diversity. With only herself to depend on, Maya feels lonely, abandoned but free and strong-willed: "I was a loose kite in a gentle wind floating with only my will for an anchor....I counted the headlights and said my prayers and fell asleep." (Ibid., p.245) Coming in close contact with youthful who are abandoned and deprived like herself, accepted and helped one another unconditionally teaches her lessons on commonality, belonging and human tolerance: "I was never again to sense myself so solidly outside the pale of the human race. The lack of criticism evidenced by our (ad hoc) community influenced me, and set a tone of tolerance for my life." (Ibid., p.247)

However, under the pressure of sheer need for shelter and care Maya ultimately seeks for mother Vivian's help and returns home. She calls Vivian and asks her to pay her airfare to San Francisco. In San Francisco, Maya notices that Adults have lost wisdom from the surface of their faces and come to recognize the educative value of life-hardship: "I reasoned that I had given up some youth for knowledge, but my gain was more valuable than the loss." (Angelou, 2011, p.248) When Maya arrives at home, she begins to rediscover her mother's unseen merits and reevaluate her from a new perspective: "I was at home, again. And my mother was a fine lady. Dolores was a fool and, more important, a lair." (Ibid., p.248)

On her return she finds that her mother has remarried Daddy Clidell and resettled in San Francisco. Maya depicts Daddy Clidell as the only true father figure she ever knows. She loves his strength and his tenderness "his character beckoned and elicited admiration" (Ibid., p.213) In her new step-father Maya finds a replacement for the father she never had. His character as she describes his: "He was a simple man who had no inferiority complex about his lack of education and, even more amazing, no superiority complex because he had succeeded despite that lack." (Ibid., p.213) As a father figure Daddy Clidell replaces father Big Bailey (during Maya's childhood). His satisfaction with this substitution heals her feeling of being unwanted and forgotten child: "Unexpectedly, I resembled him, and when he, Mother and I walked down the street his friends often said "Clidell, that's sure your daughter. Ain't no way you can deny her?" (Ibid., p.214)

Yet, Maya's homecoming and family reunion is mimed by her loss of her beloved brother Bailey who decides to leave home after a growing struggle between him and his mother: "He loved me." (Ibid., p.21) Maya depicts him as her only defender and supporter who understands her: "It was not that he pitied me but that he felt we were in the same boat for different reasons, and that I could understand

escaping into the world of books and fantasy. She has been in particular in reading and memorizing works by William Shakespeare. As a literary icon and a symbol of white success Shakespeare is Maya's inspirational drive for knowledge, success and a stimulus for her later career as a writer. In her own words she describes him as her "first white love"(Angelou,2011, p.14) As an adult feminist, and human rights activist, Maya, like her author identifies with Shakespeare's empathy with the suffering of marginalized people. She ultimately comes to identify with him not only as a successful white writer but as one of her own black race and gender. As she puts it "Shakespeare was a black woman."(Ibid., p.22) Identification is a self-defense mechanism known as goal-oriented identification in which, as Hall explains "a frustrated person identifies with a successful person in order to be successful himself." (Halls,1954, p.76) Maya's pursuit of knowledge and passion for literature help her liberate herself from the limitations of her predicament as a black woman as well as cope with anxiety and trauma.

During this stage of early adolescence Maya like her author she lived through pivotal experiences that hindered her growth into a healthy maturation. Bravely on the threshold of the teenage stage, Maya is obliged to drive a car when her intoxicated father fails to do so. Her subsequent homelessness and home coming to witness her brother Bailey leaves home make them in print on her fragile personality, as already shattered by the residual of her childhood rape. The End of this phase is when she returns back to her mother's home. As she becomes morally confused, skepticism about her bisexuality and ending by making bad decisions. Her success to obtain a job of the first black female car conductor makes a turning point that with the aid of her mother rescues her from the edge of the precipice. Angelou experiences a relapse which appears in her confusion. This relapse is a normal psychological response that resulted from her rape in her childhood.

Being the first black female car conductor is a crucial experience for Maya's growth, since it asserts her capacity for independent action helping her to achieve self-independence and affirm her self-worth. In an introspective passage Maya describes how terrifying is the experience is yet how she manages to take control: "It was me, Marguerite, against the elemental opposition. As I twisted the steering wheel and forced the accelerator to the floor was controlling Mexico, and might and aloneness and inexperienced youth and Bailey Johnson, Sr., and death security, and even gravity."(Angelou,2011, p.232) This incident furthers her growing awareness that she can indeed do anything she sets her mind to, as her Mother Vivian continually insists on asserting to her regularly extolls.

A negative event that affects Maya's personal world view during this stage is her living as homeless for a short time. Maya's experience of homelessness comes in the aftermath of an argument between her and her father's girlfriend Dolores at a time

incident mute and dissociated. With the help of Mrs. Flowers, she manages to regain her voice, self-worth and a newly born engagement with life. Flowers understand that Maya's muteness is the result of a deeply-seated fear of the destructive power of words. In response to Momma's request that helps Maya, she decides to take her under her wing and works cognitively to change her mindset and gradually encourages her to speak again. Mrs. Flowers is a fashionable, refined, cultured, gentle woman whom Maya regards as a model of a refined white folk lady: "She was like people I had never met personally. Like women in English novels who walked the moors (whatever they were)."(Ibid., p.92)

Making use of Maya's belief in her, her aim is to restore Maya's confidence in the spoken word as the healthy and affective means of human communication. She invites her to her house, bakes cookies for her and gives her books to read aloud. She then assigns her the task of memorizing a poem to recite during the next visit. Maya already isolated and depressed finds in Mrs. Flowers' neat and sophisticated household a safe haven and a psychological refuge. She is affected by Mrs. Flowers's love that gives her assure of self-worth and individuality: "I was liked, and what a difference it made. I was respected not as Mrs. Henderson's grandchild or Bailey's sister but for just being Marguerite Johnson."(Angelou,2011, p.98) Having secured Maya's confidence in her, Mrs. Flowers gradually convinces Maya about the positive power of language. Reminiscing about her first lessons with Mrs. Flowers Maya remembers: ". she began the first of what we later called" my lessons in life" she said that I must always be intolerant of ignorance but understands of illiteracy."(Ibid., p. 97)

Persuasively she argues to Maya that "language is man's way of communicating with his fellow man and it is language which separates him from lower animals."(Ibid., p.95) and that in the human voice "words mean more than what is set down on paper. It takes the human voice to infuse them with the shades of deeper meaning."(Ibid., p.95) Mrs. Flowers further encourages Maya to listen carefully to what country people call 'mother wit' which engulfs the collective wisdom of generations. Gradually Mrs. Flowers introduces Maya to novel reading, even reciting aloud to her whole passages of novels:" Her voice slid in and curved down through and over the words. She was nearly singing"(Ibid., p.97) Eager to please Mrs. Flowers Maya responds to her question" How do you like it?"(Ibid., p.97) by speaking for the first time: "I had to speak...I said, yes, ma'am." It was the least I could do, but it was the most also "(Ibid., p.97-98)

Ultimately Mrs. Flowers convinces Maya of the positive power of language and empowers her to speak again. But more importantly Mrs. Flowers revives in Maya a natural love of literature shown earlier in her childhood obsession with William Shakespeare. As stated, earlier Maya as a child used to fill the emotional void by

knowledge is nourished by informal sources like African American cultural forms like the African American spiritual and oral tradition and her readings in slave narratives. The influence of these sources is evident in her continuous quoting from and referring to them in IKWCBS.

To liberate herself from the constrictions of her underprivileged station in life as an oppressed poor black girl, Angelou knew that she required deeper and more education. Consequently, she continued to feed her knowledge by reading literature, taking lessons in drama, dancing, the theatre and music. Her career was further enriched by the tour she took in Europe at the age of 26. At the age of 32 she qualified for a job as an editor in English Language paper published in Cairo. Later she was appointed a professor at the Ghana school of music and drama. This persistent pursuit of career culminated in her becoming one of the most famous writers in her time. Her success in her literary career was equally matched by similar contributions as a socio-political, civil-rights and feminist activist. By the age of 40 she was involved with the civil Christian Leadership conference, under the leadership of Dr. Martin Luther King.

Beside her persistent pursuit of knowledge and making use of her innate intellectual talent and self-determination. Angelou owed her success to many strong black women who contributed to this success in variant ways during social stages in her life. Not only were these women role models for her but also maternal guides who care to her rescue when needed. Prominent among them was her grandmother Momma who instilled in her as early as her childhood a strong Christian faith, a deep sense of self-respect, dignity, discipline and perseverance. As a young student it was her teacher Miss Kirwin who was the first to single her out as a potential success: "She always remembered that I was Miss Johnson, who had a good mind and should be doing something with it." (Angelou, 2011, p.211)

Angelou stated Mrs. Flowers was another special black woman who came to her rescue when she returned to Arkansas devastated by her post-rape trauma. By introducing her to the world of books and literature she helped her cope with her anxiety and distress. Most importantly she managed to drag her out of her shell of muteness and dissociation. During her early adolescence, in the absence of parental guide, when Angelou had almost lost control over her life, it was her own mother Vivian who brought balance to her life, finally fulfilling her role as a mother. Under her guidance, support and direction Angelou was reconciled to her unplanned pregnancy and accept the responsibilities of motherhood.

In IKWCBS Angelou fictionalizes these biographical details to portray her protagonist's character as the latter moves from childhood to the early stages of adolescence. Like her author, a devastated Maya returns to Arkansas after the rape

self as unendingly in the process of becoming, of dying and being reborn, in all its consequences. There is a pattern of birth, death and regeneration" as the scholar McPherson sees "Angelou, in her portrayal of the passage of her protagonist from childhood to young adulthood, creatively uses "this Christian myth and presents the themes of death, and rebirth." (Ibid., p.10)

Those critics conceive of the evolution of the protagonist's character in IKWCBS in terms of Christian theme of death and regeneration. Maya's five-years old long self-imposed and muteness is connected to the stage of death preceding her rebirth under the influence of Mrs. Flowers who later coaxes her out of her shell by introducing her to the world of books and literacy.

Biographically, this stage and its aftermath, in the protagonist's character growth is a fictional displacement of her Author-Angelou's own post-rape trauma. Maya's subsequent rehabilitation with the aid of Mrs. Flowers, her brief relapse into low self-esteem, loss of aim and moral compass are all details that Angelou depicts honestly and graphically in her portrayal of the early stage of the protagonist's adolescence.

Psychological, moral and behavioral confessions are characteristic of adolescents partaking of Maya's and her author's familial and personal circumstances. Yet, Angelou, like Maya, managed to rescue herself through discovering and making use of her innate capabilities of strength of will, singleness of aim and self-determination to regain a sense of direction, achieve success, solid identity and moral integrity. But what helped Angelou most was a careless pursuit of knowledge, literacy, and a passion for literacy and literature. As a child Angelou took refuge in the library and books as an escape into the world of fantasy from the constrictions of her familial and social displacement. Later she utilized literature and literacy to cope with and distract herself from the distress of her post-rape trauma. Her ceaseless quest for knowledge and literacy culminates in her becoming one of the most prominent Black writers of her race and time. Such failures, pursuits and successes of Angelou inform her portrayal of the protagonist Maya's adolescence a crucial stage in Maya's growth that marks her initiation into the adept phase. This phase witnesses her becoming the first black female, street car-conductor, talented dramatist, poet, and novelist, and culminates in her achievement as a writer and ultimately a loving, caring and responsible mother.

Besides books and literature Angelou had multiple sources of learning that enriched and solidified her knowledge. As a child she read through the Bible twice and memorized for it. As a woman of faith and a regular church goer, her grandmother Momma, contributed to her Christian teaching by exposing her to church sermonizing and Biblical scripture. Besides formal education Angelou's

Eman Valliant Dissociation is" a temporary drastic modification of one's personal identity or character to avoid emotional distress, separation or postponement of a feeling that normally would accompany a situation or thought." (Vaillant, 1977, p. 73) In the aftermath of abusive relationships psychologists observe that victims dissociate emotionally first through disbelief followed by post trauma response of numbing and constriction resulting in inactivity, depression and self-deprecation. Maya typically begins by believing that the lawless act of vengeance resulting in Freeman's death is caused by her lie on the stand. Consequently, she blames herself, seeing her words as a bringer of death. As a result, she resolves to go mute and withdraw from everyone except Bailey: "Just my breath, carrying my words out, might poison people and they'd curl up and die like the black fat slugs that only pretended. I had to stop talking."(Angelou, 2011, p.85)

Angelou herself in an interview connects the violation of her body and the devaluation of her words through the depiction of herself-imposed, five-year long silence. Explaining her reasons for going mute she states exactly what she fictionalizes in her protagonist's monologue: "Thought if I spoke, my mouth would just issue out something that would kill people, randomly, so it was better not to talk."(Ibid., p.11) Maya's withdrawal and muteness are forms of dissociation and numbing noticed by the psychologist Reiker PP, Carman as a defense mechanism through which abused victims assume responsibility for the abuse to replace their feeling of helplessness with an illusion of control. Maya's self-blame and anger at the self are equally noticed by him as typical of victims of abused: "Anger directed against the self or others is always a central problem in the life of people who have been violated." (Reiker & Carmen, 1986, p.360-370)

Besides self-deprecation, Maya, affected by the Christian teachings" Momma had drilled into my [her] head." (Angelou,201, p.71) comes to believe she has sold herself to the devil:" I [she] had sold myself to the Devil and there could be no escape."(p.84) She even views the physical pain of the rape as a punishment for the sinful act: "What he did to me, and what I allowed, must have been very bad if already God let me hurt so much."(Ibid., p.79) Back in Arkansas when Uncle Willie avoids her she is relieved but feels ashamed and guilty-maker: "he would quickly send me on some errand that would take me out of his presence. When that happened I was both relieved and ashamed. I certainly didn't want a cripple's sympathy."(Ibid., p.89) She does not want him to think of her as "sinful and dirty."(Ibid., p.89)

As stated earlier, critic McPherson notices in his book:' Order out of Chaos' that "Angelou, in her demonstration of the passage from childhood to young adulthood, creatively uses the Christian myth and presents the themes of death, regeneration, and rebirth." (McPherson, 1990, p. 10) Moreover, Scholar Arnsberg agreed with the idea that "Maya's unsettled life in IKWCBS suggests her sense of

safety but partly for fear of losing the physical gratification. In an inside view in her stream of consciousness she argues with herself: "If he thought I was naughty, would that mean that he would never hold me again? Or admit that he was my father? I had made him ashamed of me." (Ibid., p.72)

Again, Maya's surrendering to Freeman's threats is explainable as part of the psychology of abused children. In the absence of the ordinary source of comfort psychologists observe that "children may turn to their tormenters developing strong emotional ties with people who intermittently harass or threaten them." (Herman, 1992, p. 102) Mr. Freeman's abused of Maya constitute what is known in psychiatry as trust betrayal resulting in betrayal trauma. As Jennifer J. Freyd states: "Betrayal trauma occurs when the people or institutions on which a person depends for survival significantly violate that person's trust or well-being: Childhood physical, emotional, or sexual abuses perpetrated by a caregiver are examples of betrayal trauma." (Freyd, 2008, p. 408)

Maya's failure to recognize the risk involved in Mr. Freeman's betrayal of trust is symptomatic of the psychological trauma. As Freyd rightly observes: "When psychological trauma involves betrayal, the victim may be less aware or less able to recall the traumatic experience because to do so will likely lead to confrontation or withdrawal by the betraying caregiver, threatening a necessary attachment relationship and thus the victim's survival." (Ibid., P.408-415)

Maya's failure to report the molestation, her own encouragement of it and Mr. Freeman's growing frustration with the mother culminate in the rape. In court, Maya lies that the rape took place the first time Freeman touched her inappropriately. Her incentive for lying is to escape the guilt of having remained silent but also the shame of having encouraged the molestation in the first place. Her fake testimony affirms that Freeman's act is premeditated. He is found guilty and sentenced to one year in a jail but is released the same afternoon of the trial. Later he is found dead, presumably murdered by Maya's violent Uncles. Following his death Maya experiences what is medically known as Post Stress Disorder. (Bloom, H. (Ed.). 2004., p.75)

This ushers her in a cycle of guilt-self-blame, shame, withdrawal and numbing all symptomatic of post stress trauma. Such disorders are experienced as researchers like Christina observes by those abused by someone close to them. Not only do the abused experience depression, dissociation and numbing but also think of themselves as morally tainted- ashamed, guilt ridden and sinful.

Dissociation and numbing in particular are defense mechanisms adopted by and phenomenal of victims of betrayal trauma in the words of the psychiatrist George

her most of the day and night out of the house mother is preoccupied with her own self and busy life. Not only does she neglect Maya but keeps her at the periphery of her existence. Vivian's live- Boyfriend-Mr. Freeman is equally neglected by the mother. With his physical, mental and economic limitations he is totally dependent-psychologically and emotionally- on her. He is a nobody who exists in the shadow of Vivian's self-sufficient and breathtaking personality. Maya describes him as having "the sluggish inferiority of old men married to young women. He watched her [Vivian's] every move, and when she left the room his eyes allowed her reluctantly to go."(Angelou,2011, p.68)

His animalistic and subordinate nature is intimated in Maya's description of him as "a big brown bear. Who is simply waiting for mother and put his whole self into the waiting."(Ibid., p.69) Feeling marginalized, both Maya and Mr. Freeman become vulnerable victims? Mr. Freeman feeling neglected fills the void by sexually harassing Maya; Maya- deprived of love and care- falls easy prey in his ensnarement. In the first person's confessional mode, Maya describes the cycle of mutual need and deprivation that culminates in the rape. It all started with Maya sleeping in one bed with her mother and Mr. Freeman: "On my particularly bad nights my mother would take me in to sleep with her, in the large bed with Mr. Freeman."(Ibid., p.70)

The physical proximity tempts Freeman to molest the child when her mother is out. Maya, craving for physical contact instinctively succumbs to him. Reasoning her act for herself Maya confesses: "Before, my world had been Bailey, food, Momma, the store, reading books and Uncle Willie. Now, for the first time, it included physical contact."(Ibid., p.73) Unable to identify the nature of her attraction to Mr. Freeman she interprets it as parental feelings:" This was probably my real father and we had found each other at last."(Ibid., p.72) When Mr. Freeman withdraws for a while Maya misses the forbidden interaction, even encourages it: "I began to feel lonely for Mr. Freeman and the encasement in his big arms."(Ibid., p.73)

Maya's reaching out for physical contact and its subsequent acceleration is typical of children neglected by their parents and which child psychologists call separation response. In their premises, children seek increased attachment in the face of external danger. Pain, fear and loss of loved ones or protectors evoke efforts to attract increased care. As Haworth affirms, "the immediate consequence of maternal rejection is the accentuation of proximity seeking on the part of the child." (Haworth, 1964, p. 114)

As is typical of child abusers Mr. Freeman threatens to kill Maya's beloved brother Bailey if she tells on him: "If you ever tell anybody what we did, I'll have to kill Bailey."(Angelou,2011, p.72) Maya keeps silent partly to ensure her brother's

her displace in fiction long standing embattled passions of anger, pain, guilt and shame related to the trauma. Writing about it without disguise is not only an act of courage and responsibility on Angelou's part but also of purgation leading to catharsis. Angelou's self-revelation must have also helped her gain perspective of and reconciliation to what had happened. Victims who experienced traumas similar to hers when asked about what helped them most in overcoming the impact of their traumas attributed their improvement to having engaged in an activity or relationship in which they had been able to displace the negative energy and explore the trauma and their reactions to it.

Angelou, personally, when asked decades later how she was able to survive such trauma she attributed it to communal support and human compassion: "I cannot remember a time when I was not loved by somebody." (Angelou, 2011, p. 22) As Angelou's answer affirms a victim's voluntary confession, rather than generating hostility and condemnation, elicits support sympathy and understanding. This is particularly true in the context of multi-ethnic and multi-cultural communities like Angelou's.

Many critics on the other hand commend Angelou's honest depiction of her rape as a child. Rather than censorship it receives positive views that relate the depiction to Angelou's career as a political activist and an ardent feminist. Scholar Vermillion admits that "a black woman who writes about her rape risks reinforcing negative stereotypes about her race and gender." (Vermillion, 1994, p.55) But, in Angelou's case, he goes on to explain, rape is used as "a metaphor of the suffering of the black African American woman." (Ibid, P.55)

Angelou, he explains, utilizes this metaphor "first to internalize then challenge 20th Century racist conceptions of the black female body as physically unattractive." (Ibid, p.55) Rape, he maintains, in Angelou's concept is "a representation of the black girl's difficulty in controlling, understanding and respecting both her body and her words" (Ibid, p.55) African American literary scholar Selwyn. R. Cudjoe calls Angelou's depiction of rape "a burden", a demonstration of "the manner in which the black female is violated in her tender years." and "an unnecessary insult of Southern girlhood in her movement to adolescence." (Cudjoe, 1984, pp. 10–11)

In the book, the disgraceful rape episode takes place when the eight years old protagonist-Maya returns from Arkansas in the company of her father to reunite with her mother- Vivian in St. Louis. Vivian is a dancer and a singer but makes her living by gambling in St. Louis's night clubs. Eager for motherly love and care, young Maya thinks of her home coming as the end of her familial displacement and emotional deprivation and starvation. But the child is disappointed to discover that

explains: "An important determiner of the direction that displacement takes is in the degree of resemblance between the original and substitute object, or what amounts to the same thing, the extent to which the objects are identified with one another...When the degree of the resemblance becomes less and less with each successive displacement and the final choice may be quite different and less satisfying than the original object, the final choice represents a compromise between the conflicting demands of the id, superego and the external world."(Halls,1954, P.81-82)

Biographically among the multiple traumas Angelou endures as a child her rape at the age of eight by her mother's live-in boyfriend is the most psychologically damaging. The incident is a watershed in Angelou's life which though briefly depicted in *IKWCBS* overwhelms her portrayal of the protagonist. Angelou's self-disclosure of what is regarded as a disgraceful secret goes contrary to prevalent views of researchers in the psychology of rape victims. What they observe is that victims of such abuse have difficulty going public for fear of their community's censure. Angelou, when asked in an interview, why she decided to disclose the event responded by stating: "I wanted to display the complexities of rape-to prevent it from happening to somebody else, so that everybody who had been raped might gain understanding and not to blame herself for it."(Braxton,1999, p.4)

Angelou's statement highlights the communal benefits of acknowledging personal secrets which others might find disgracing. By confessing her own victimization as a child, she wanted to help others not to engage in similar harmful situations. Children in particular could learn that they were not responsible for the chaos, violence and despair surrounding them. Yet as adults they have to understand that there are choices to be made and consequences to be met. The message intimated in Angelou's testimony is that acknowledgement of child rape trauma as opposed to denial prevents its repetition and helps victims purge its associated negative passions of pain, shame, anger and helplessness.

For, conclusions drawn from a child's perspective retain their power into adulthood until verbalized and examined. Once the trauma is located in time and place distinctions could be made between current life stresses and what happened in the past, decreasing its impact on the present. On the enduring effects of unacknowledged trauma maintains that "no pain is as devastating as the pain a person refuses to face, and suffering is so lasting as suffering left unacknowledged."(Levine, 1997, p.28) Nevertheless Angelou herself declared that she did not find the process of writing about her rape cathartic: "Rather, she found relief in "telling the truth"(Angelou& Tate, 1989, p.151).

Yet her revelation of her own rape in the safe medium of art must have helped

at something we had done, but was forgiving us and would send for us soon." (Ibid, p.52) In the meantime, in the caring and the dutiful Momma, Maya seeks refuge from the emotional hazards of the abandonment. Her parents' act is viewed by her as a form of rejection that denies her love, acceptance and emotional fulfilment which Momma can provide. Momma, unlike a natural mother is a strong-willed nurturer who demonstrates affection not by physical proximity or verbal expression, but by enforcing law, harsh disciplining, orders and emphasis on Christian teachings, morals and traditions. Maya remembers Momma threatening her: "Move and I'll tear you up. So, obedient to the unvoiced command, I sit still." (Ibid, p.38) But even when Maya detects the difference between the substitute and the substituted for, she adapts emotionally to Momma's version of motherhood-even appreciates it.

This is expressed metaphorically in the heart-shaped design she draws for her: "It was a large heart with lots of hearts growing smaller inside, and piercing from the outside rim to the smallest heart was an arrow." (Angelou, 2011, p.32) Maya's concept of motherhood as marked by physical attachment and verbally expressed emotions changes as she begins to adapt to Momma's brand of maternal love. In her turn Maya develops a detached ambivalent attitude marked by reverence, respect and obedience for the grandmother: "I loved her with a rush. She said nothing- no "Don't worry" or "Don't get tender-hearted." Just the gentle pressure of her rough hand conveyed her own concern and assurance to me." (Ibid, p.111) To avoid disruption in her newly-formed bond, Maya willingly concedes to the strict routine and tough measures Momma adopts in her upbringing along with her brother. She not only succumbs to Momma's demands of her but ultimately comes to identify with the grandmother's code of ethics.

Maya's behavior is consistent with the psychologist Hall's notion that when the parents are unavailable the child tries to regain love and acceptance by obeying the available caregiver. As he states: "It is common among children who have been rejected by their parents that they try to regain parental love by behaving in accordance with the expectations of the parents." (Hall, 1954, p.77) Maya's behavioral change is also related to what Freud terms as object-loss identification, which he explains as follows: "A child will identify with what he thinks the parents want him to be. Or a person who has lost a parent by separation or death may resolve to model his character upon the ideals of the missing parent. This is the way in which the ego-ideal is formed. Object-loss identification may serve to restore the actual object. By being good the child actually regains parental affection. Or it may serve to take the place of the lost object." (Ibid, p. 77)

Maya's attitude towards her grandmother equally constitutes a form of defense mechanism known as displacement resulting from a subject's recognition of the disparity between the object substituted for and the available substitute. As Halls

In IKWCBS, the disruption of this bond leaves Maya vulnerable to all the emotional hazards voiced above by child psychologists' scholars. To combat these hazards Maya adopts several defense mechanisms as preventive measures against emotional collapse. For the first five years of the abandonment she recurs to denial-convincing herself that her parents are dead: "Until that Christmas when we received the gifts I had been confident that they were both dead. I could cry anytime I wanted by picturing my mother (I didn't quite know what she looks like) lying in her coffin." (Angelou, 2011, p.51) Denial is a defense mechanism against anxiety through which as Halls states:

"The ego may try to master danger by adopting realistic problem-solving methods, or it may attempt to alleviate anxiety by using methods that deny, falsify, or distort reality and that impede the psychological development of personality. They tie up the psychological energy which could be used for more effective ego activities. When the defense becomes very influential it dominates the ego and limits its flexibility and adaptability. If the defenses fail to hold, the ego has nothing to fall back upon and is overwhelmed by anxiety. The result is a nervous breakdown. The reason for the existence of the defense mechanism is a developmental one." (Hall, 1954, p.85)

But Maya's defense mechanism of self-delusion fails when she and her brother receive Christmas gifts from their parents "one Christmas we received gifts from our mother and father" (Ibid, p.50) Yet, instead of giving comfort, the gifts merely release suppressed anger and give voice to questions the children have been reluctant to ask before: "The gifts opened the door to questions that neither of us wanted to ask. Why did they send us away? And what did we do so wrong? So Wrong? Why, at three and four, did we have tags put on our arms to be sent by train alone from long Beach, California, to Stamps, Arkansas, with only the porter to look after us?" (Angelou, 2011, p.51) The children's anger is manifested outwardly in the aggressive act of destroying the gifts: "Bailey and I tore the stuffing out of the doll the day after Christmas, but he warned me that I had to keep the tea set in good condition because any day or night she might come riding up." (Ibid, p.52) Again, aggression is a defense mechanism against repressed negative passions which Freud defines as follows: "Aggression is overt, often harmful social interaction with the intention of inflicting damage or other unpleasantness upon another individual. It may occur either in retaliation or without provocation. In humans, frustration due to blocked goals can cause aggression." (Buss, A.H., 1961) The Psychology of Aggression. Hoboken, N. J: John Wiley)

In a serial reaction, aggression gives way to self-blame as the children begin to hope for a family reunion: "If the things really did come from Mother maybe it meant that she was getting ready to come and get us. Maybe she had just been angry

According to childhood psychologists, children when exposed to the extreme terror of separation from their parents respond first by denial, then grief, protest, anger, despair, introversion or numbing. This makes them turn towards the nearest available source of comfort to return to a state of both physical and psychological equilibrium. In the book, Maya and her brother display a response typical of this chain of reaction. When they first arrive at Arkansas as displaced, rejected children, a young Maya, in a matter-of-fact tone simply reports the incident while an adult Maya directs her incisive irony at the parents describing their act of sending them to their grandmother's home as shipping: "Our parents had decided to put an end to their calamitous marriage, and Father shipped us home to his mother." (Angelou, 2011, p.6)

Maya's sense of insecurity and pain are highlighted in the church scene with which the book opens. An emotionally shattered three years old Maya is obliged to recite to the church congregation a poem which opening lines reveal her acute awareness of her predicament as a displaced unwanted child disguised in her denial: "I did not come to stay." (Ibid., p.3) Left with no option Maya begins to adapt to her new situation, making of Arkansas community and her grandmother's store her whole world: "The town reacted to us as its inhabitants had reacted to all things new before our coming. It regarded us without curiosity but with caution, and after we were seen to be harmless (and children) it closed in around us, as a mother embraces a stranger child. Warmly, but not too familiarly." (Ibid., p.7)

This child-mother motif which continues to inform Angelou's depiction of the protagonist but comes to the fore when Momma assumes the role of the caregiver to the abandoned children; Maya in her turn substitutes Momma, the latter's son Uncle Willie and her own brother Bailey for the absent father-mother figures. Substitution is a phenomenal act typical of abandoned children who recur to it as a form of defense mechanism against the trauma of loss and separation. As psychologists claim "trauma can only be worked through after a secure bond is established with another person. The presence of an attachment figure provides children with the security necessary to explore their life experience and to interrupt the inner or social isolation that keeps one stuck in a repetitive pattern." (van der Kolk, 2014, p. 112).

A secured parental bond is seen by these psychologists as a strong predictor of a stable childhood. According to them secure attachment to parents in children is a primary cause for a future coherent life. The quality of a child's emotional life as well as his/ her security will be negatively affected by how his/her parents treat him/her as a child. Adult caregivers' attachment to their children is evaluated as a measure of a healthy childhood and maturation, and of the stability and security of the child-parent bond.

"memories of traumatic events persist as unassimilated fixed ideas that impede the development of alternative states of consciousness, including dissociative phenomena, such as fugue states, amnesias, and chronic states of helplessness and depression." She also notes that "unbidden memories of traumas may return as physical sensations." (Janet, 1889/1984, p. 274) Susan Pease Banitt testifies to the same findings noting that "traumatic events overwhelm our abilities to cope. We cannot heal until we move fully through those traumas." (Pease Banitt, 2012, pp. 539–548)

As stated earlier, Angelou never acknowledged that she wrote *IKWCBS* as a conscious attempt at healing. Her declared aim is stated in an interview in which she declared that she wrote the book in response to a challenge from her friend and editor Robert Lommis to tell her life story in creative art. Lommis himself asserted having resorted to reserve psychology to induce Angelou to fictionalize her life story in his words: "If someone suggests that she can't do something, she considers it a challenge and immediately accepts the proposal." (Angelou, 2009, p. 57) As expected Angelou responded to the challenge and promised Lommis she would prepare a main script. (Hager, 2011, p. 57)

Yet by accepting to uncover her traumatic past, especially the childhood phase in the form of an auto-fictional memoir Angelou might have felt even though subconsciously the need for 'letting go' of this past to avoid its constricting effect on her current life. She might have equally understood that the revelation and acknowledgment of a disturbed past would pave the way, through acceptance and confession, to recovery. But surely by channeling the negative passions involved in trauma into the energizing act of writing, and by purging herself in the safe outlet of art, Angelou musters a new strength to survive again and invest her energy in the healthy practice of creativity. Michael Rose highlights this inspirational value of the healing power of personal narrative in his words: "The power we discover inside ourselves as we survive a threatening experience can be utilized equally well outside of ourselves too." (Rosentunt, 2011)

As discussed before one of the most emotionally destabilizing childhood experiences that impeded Angelou's healthy growth into maturity is her abandonment by her parents to the care of her grandmother Momma at the age of three. Her brother Bailey who shared the experience was barely four years old; their abandonment triggers a process of displacement as the two children continue to meander between their grandmother's house in Arkansas and their family's house in St. Louis. In *IKWCBS* Angelou displaces her own feelings of insecurity, emotional distress and anger at her negligent parents, by fictionalizing all in her protagonist's recovered memories of her own experience of abandonment.

healing by discovering how much one has transformed through difficulty"(Lejeune,1989, p.131) Another narrative therapist -Michael White-emphasizes this reconciliatory aspect of personal narrative by stating that "retrieving the past in writing is a coping mechanism through which a writer reassembles his/her scattered memories and brings them into a cohesive whole. In the process many details unfold; clues become moments of epiphany, feelings are processed and stuck energy is discharged, bringing closure to the unfinished aspects of one's life."(White, 2007, p. 129)

This therapeutic effect highlighted by this psychotherapist is related by the psychologist White to the collective benefits of psychological recovery by 'letting go' in writing of the embattled emotional and psychological conflicts. For the past decade an increasing number of studies have confirmed this cathartic dimension of personal narrative, showing that when one writes about emotionally disturbing experiences, significant physical and mental improvement follows. The mere disclosing in writing of personal traumas is cathartic due to the relief of anxiety or depression resulting from suppressed negative Passions weighing on the subconscious. [Psychological Science,1997, vol.8, No.3, p.162-66]

When memory recording is linked to confession and reflection -as in the case of Angelou's technique in *IKWCBS* - a narrative mode results challenging instrumental approaches to reflection as a logic- scientific knowing. As shown thus far in Angelou's technique of the child-adult narrator, which she uses to present her protagonist. Confession is dominated by a discourse of a personal reflective mode accompanied by unreflective accounts of personal discovery and growth drawing equally on social construction. This is apparent in the book in the author's interlocking of two simultaneous lines of experiences. On the communal level Angelou writes about racial violence, broken families and economic injustice. On the personal level she discloses painful traumas that she experienced first-hand insulated from the feelings and history of her Black community.

In his essay "Putting Stress into Words- Health, Linguistics and Therapeutic Implications", in a book entitled *Science Direct: Behavior Research and Therapy*, James, W. Penna baker states that in the personal narratives of upsetting experiences "the construction of a coherent story together with the re-experiencing of negative emotions on paper work together as therapy preventing the effect of a traumatic past on the personality development."(Penna baker, 1993. Vol .5-6), P.539-548)

Focusing on the role of such a past on the current lives of their patients, both Freud and Javial Jannet note that fragmented memories of past traumatic events dominated the mental life of many of their patients. They built their findings and the nature of their psychotherapy on this recognition. Jannet in particular, contends that

This paper traces *I Know Why the Caged Bird Sings* protagonist's growth on the personal level as Maya evolves from a displaced, abandoned and unloved, abused child debilitated by her inferiority complex as an ugly black girl into an emotionally fulfilled, confident, strong-willed, young woman who accepts her color, race and embraces the joys of motherhood after the restoration of her maternal bond with her mother and her own giving birth to a child.

The analyses operate within the hypothesis that the protagonist's personal traumas are fictional projections of those of her author's cast in the form of recovered memories in quest of psychological healing. The evolution of Maya's character is performed in the form of reminiscences of particular childhood traumas that disrupt her healthy growth into maturity. These traumas involve her psychologically destabilizing displacement, emotionally shattering parental abandonment and her painfully devastating sexual abuse and child molestation. The method of presentation is through the dominant technique of the child-adult first person voice involving the confessional, reflective mode and occasionally the impressionistic technique of the stream of consciousness. As noted both techniques are related to the field of psychotherapy.

Through these techniques Angelou reenacts episodes from her own personal life in the form of fictionalized experiences recovered through memories by the protagonist of *IKWCBS*. Through these memories, Angelou confesses under the license of art, deeply traumatizing experiences and hidden secrets in her own childhood and adolescence, like her abandonment by her parents as a child, sexual molestation by her mother's boyfriend, and her teenage pregnancy outside the wedlock. The strategies she uses to project these experiences and their related psychological conflicts onto the protagonist's quest and by which the latter resolves them are regarded as defense mechanisms through which emotional stress is alleviated and psychological health restored and preserved. Hence, in this phase of the protagonist's characterization, the study leans heavily on particular Freudian psychoanalytic concepts-namely what he terms Defense Mechanism- as a methodology of analysis.

According to Freud, the pioneer of psychotherapy, the disclosing, in writing of personal problems can be beneficially therapeutic. Reminiscent of a patient confessional account, confession in fictional writing of an author's personal traumas could be cathartic due to his/her revelation of objective facts accompanied by a report of his/her emotional responses. This triggers emotional and physical symptom known as purgation resulting from emotional out pouring, confessions and revelations. Beside its healing power personal narrative, as the French academic Phillippe Lejeune contains, can result in reconciliation to what happened leading to contentment. Although the journey back to the past can be painful, the process is

The Architecture of the Self: Defense Mechanisms and Post-Traumatic Growth in Angelou's Narrative *I Know Why the Caged Bird Sings*

Amel Mohamed Saeed Bayoumi

Assistant Professor, Department of English, Faculty of Arts, University of Khartoum

Abstract

*This study examines the psychological evolution of the protagonist in Maya Angelou's *I Know Why the Caged Bird Sings* (IKWCBS), tracing her transformation from a traumatized, "displaced" child into a resilient and emotionally fulfilled young woman. Utilizing a psychoanalytic framework, the paper posits that the narrative serves as a fictional projection of the author's own recovered memories, functioning as a medium for psychological healing. The methodology leans heavily on Freudian psychoanalytic concepts—specifically Defense Mechanisms—to analyze how the protagonist, Maya, navigates the debilitating effects of parental abandonment, racial inferiority, and sexual abuse. The analysis explores how the "child-adult" first-person narrative voice facilitates a confessional and reflective mode akin to psychotherapy, allowing for the "purgation" of suppressed trauma. Key psychological processes, including denial, displacement, object-loss identification, and dissociation (manifested in Maya's five-year silence), are examined as survival strategies that eventually pave the way for recovery. Furthermore, the paper incorporates insights from narrative therapists and trauma theorists, such as Michael White, James Penne baker, and Jennifer Freyd, to argue that Angelou's act of "putting stress into words" transforms personal victimization into a communal metaphor for the Black female experience. Ultimately, the study concludes that by channeling traumatic memory into the creative act of writing, Angelou achieves a "cathartic dimension" that restores psychological health and celebrates the inspirational power of resilience.*

Keywords: Defense Mechanisms, denial, displacement, object-loss identification, dissociation, parental abandonment, racial inferiority, Narrative Therapy, and Catharsis

المستخلص

تتناول هذه الدراسة التطور النفسي لبطلنة رواية مايا أنجيلو (أعرف لماذا يغرد الطائر الحبيس) (IKWCBS)، حيث تتبع تحولها من طفلة نازحة تعاني من الصدمات، إلى امرأة شابة مرنة ومكتملة عاطفياً. وباستخدام إطار تحليلي نفسي، تفترض الورقة أن النص السردى يعمل إسقاطاً خيالياً للذكريات المؤلفة المستعادة، حيث يؤدي وظيفة الوسيط لتحقيق الشفاء النفسي. تعتمد المنهجية بشكل كبير على مفاهيم التحليل النفسي الفرويدي وتحديداً آليات الدفاع: لتحليل كيفية تعامل البطلنة (مايا) مع الآثار الموهنة لرفض الوالدين، والشعور بالدونية العرقية، والانتهاك الجنسي. يستعرض التحليل كيف يساهم صوت الراوي (طفل- بالغ) بضمير المتكلم في تسهيل نمط اعترافي وتأملي يشبه العلاج النفسي، مما يسمح بتطهير الصدمات المكبوتة. كما تبحث الدراسة في العمليات النفسية المحورية، بما في ذلك الإنكار، والزواج، والتوحد مع فقد الهوية، والانفصال عن المجتمع- والذي تجسد في صمت مايا الذي دام خمس سنوات - باعتبارها استراتيجيات للبقاء مهدت الطريق للتعافي في نهاية المطاف. علاوة على ذلك، تستعرض الدراسة رؤى من معالجي السرد ومنظري الصدمات، مثل مايكل وايت، وجيمس بنبيكر، وجينيفر فريد، لإثبات أن فعل أنجيلو (المتمثل في صياغة الضغوط في كلمات (يحول ضحية الصدمة الشخصية إلى استعارة جماعية لتجربة المرأة السوداء. وتخلص الدراسة في النهاية إلى أن أنجيلو، من خلال توجيه الذاكرة الصادمة نحو الفعل الإبداعي للكثابة، تحقق بعداً تطهيرياً يعيد الصحة النفسية ويحتفي بالقوة المهمة للقدرة على الصمود.

الكلمات المفتاحية: آليات دفاع، إنكار، الزواج، فقدان الهوية، الانفصال عن المجتمع، رفض الوالدين، دونية عرقية، العلاج السردى، والتطهير والتنفيس

الانفعالي

References

- Alabi, V.A. (2007). *Lexico-syntactic, phonological and graphological patterns, choices and devices in Discourse. Critical Perspectives on English Language & Literature*. Ilorin: The Department of English, University of Ilorin.
- Alo, M. A. (1998). *Style in Language and Communication*. Port-Harcourt: Aeddy Link.
- Bhatia, V. K. (2006). Legal Genres. In K. Brown (ed.), *Encyclopedia of Language and Linguistics*. Second edition.
- Crystal, D. and Davy, D. (1969). *Investigating English style*. First edition. London: Longman.
- Crystal, D. and Davy, D. (1997). *Investigating English Style*. Harlow: Longman.
- Enkvist, N. E. (1964). On Defining Style: An Essay in Applied Linguistics. In Spencer, J.S. (ed.) *Linguistics and Style*. London: OUP. Pp1-56.
- Enkvist, N.E. (1973). *Linguistic Stylistics*. The Hague: Mouton.
- Halliday, M.A.K. (1976). Anti-language. *American Anthropologist*, 78, 1976, 570-584.
- Halliday, M.A.K. (1989). *Spoken and written language*. Oxford: Oxford University Press.
- Halliday, M.A.K. (1994). *An Introduction to Functional Grammar*. 2nd ed. London: Edward Arnold.
- Halliday, M.A.K., and Hasan, R. (1976). *Cohesion in English*. London: Longman.
- Halliday, M.A.K. and (revised by) Matthiesen, C.M.I.M. (2004). *Halliday's Introduction to Functional Grammar*. 4th ed. London and New York: Routledge.
- Leech, G.N. and Short, M.H. (1981). *Style in fiction: A Linguistic Introduction to English Fictional Prose*. London: Longman.
- Lisina, N. (2013). Stylistic features of legal discourse: A comparative study of English and Norwegian legal vocabulary
- Mattila, H.E.S. (2006). *Comparative Legal Linguistics*. Hampshire: Ashgate.
- Mills, S. (1995). *Feminist Stylistics*. London: Routledge (Taylor & Francis).
- Short, M. (1996). *Exploring the Language of Poems, Plays and Prose*. London: Longman.
- Turner, G.W. (1973). *Stylistics*. Baltimore: Penguin.

reveal that linguistic choices are not neutral; rather, they reflect deliberate stylistic and diplomatic intentions.

In conclusion, the study affirms that a stylo-linguistic approach enhances the understanding of UNSC resolutions by uncovering how textual cohesion and grammatical structures function to construct meaning, authority, and legal legitimacy within international political discourse.

stated by Halliday and Hassan (1976) and Alabi (2007:163). However, the study analyzed only four of these devices. Firstly, '**ellipsis**' is used in the UNSC resolution as a stylistic feature of legal discourse. Its function, on one hand, is to shorten certain expressions to avoid repetitions, and, on the other hand, to reemphasize some important information. Consequently, ellipsis is positioned in UNSC resolution according to the opinion that stated by Alabi (2007) and Wales (2011) as the omission of grammatical structure. So, the language of legal documents as resolutions influences the occurrence and absence of this cohesive device. Secondly, '**reference**' is also a cohesive device that is used in the UNSC resolutions with the same function of avoiding repetition. So it is also appeared as stylistic device as claimed by Halliday and Hassan (1976), and t al. '**Substitution**' is a third element of cohesive devices that also appeared in the UNSC resolutions. According to Halliday and Hassan (1976), 'substitution' means the use of specific alternatives of words, phrases, or clauses. Its function is to shorten a piece of information and avoiding repetition. It is observed that only verbal and clausal substitutions are used in the UNSC resolutions, while nominal substitution is not used. So, again the occurrence of those devices flounders the language of UNSC resolutions. The conjunction is one of the cohesive devices to make discourse more connected. The element '*and*' is the most prominent and recurrent one in the UNSC resolutions with the function as a connector between words, phrases, and sentences. Further, in order to prove the importance of its – *and* –occurrence in the UNSC resolution since it occurred in both situations where it is necessary or not. Hence, it contributes to make the resolutions more connected. Therefore, the occurrence of all cohesive devices is identical to authors who comment about this area.

6. Conclusion

This stylo-linguistic study of the resolutions issued by the United Nations Security Council (UNSC) against the Government of Sudan between 2004 and 2009 demonstrates that stylistic analysis provides valuable insight into political and legal discourse. The findings confirm that stylistics is not confined to literary texts; rather, it is equally effective in examining institutional and diplomatic documents.

From a cohesion-based perspective, the resolutions exhibit a high degree of textual unity, precision, and structural organization. Cohesive devices—such as reference, conjunction, lexical repetition, and parallel structures—play a central role in ensuring clarity, consistency, and logical progression. These mechanisms contribute to the authoritative and formal tone characteristic of United Nations discourse, reinforcing its institutional power and legal force. Moreover, the integration of grammatical structures with cohesive patterns highlights how language is strategically employed to frame obligations, express demands, impose sanctions, and legitimize international action. The quantitative and qualitative analyses together

Expressing its deep concern at the movement of arms **and** armed groups across borders such as the long running **and** brutal insurgency by the Lord's Resistance Army (LRA) [...] **and** [...], [res.7, p.1]

Res. 8, p.1, Resolution 1665 (2006)

Taking note of the observations **and** recommendations contained in the 9 December 2005 report (S/2006/65) of the Panel of Experts [...], **and** [...], [res.8, p.1]

Res.11, p.1, Resolution 1709 (2006)

Noting with deep concern the restrictions placed on movements **and** materiel of the United Nations Mission in the Sudan **and** [...] [res.11, p.1]

Res.15, p.1, Resolution 1779 (2007)

Noting with strong concern [...], **and** consequent deterioration of the humanitarian situation, **and** reiterating its deep concern about the security of civilians **and** humanitarian aid workers **and** about humanitarian access to populations in need, **and** calling upon all parties in Darfur to cease offensive actions immediately **and** to refrain from further violent attacks, [res.15, p.1].

Table 2: Distribution of Reccurrence of Conjunction 'and' in Selected Resolutions

Conjunction 'and'	Total of words in resolutions	Frequency of the form in resolutions	Percentage of the form in resolutions
Resolutions 1,2,4,6,7	4918	296	6%
Resolutions 8,10 - 12,14,15	8005	204	2,5%

5. The Discussion

This section presents the result of the study and attempts to prove the assumptions raised by the study. Many linguists (Crystal and Davey (1969), et al.) note that stylistic analysis can be applied to non-literary texts as in UNSC resolutions. Further the study assumes that there are many stylistic devices in resolutions exactly as the appearance of cohesive devices. Moreover those devices have contributed to a more connected political discourse despite of some deviations from linguistic rules. As mentioned previously, cohesion includes five devices, as

would impede implementation of the agreement, and *expresses its intention* to consider taking, including in response to a request by the African Union, strong and effective measures, such as a travel ban and assets freeze, against any individual or group that violates or attempts to block the implementation of the Darfur Peace Agreement;[res.10, p.2]

Res.12, p.1, Resolution 1713 (2006)

Urging those parties that have not signed the Darfur Peace Agreement to **do so** without delay and not act in any way that would impede the implementation of the Agreement, and *further urging* that those that have signed that Agreement implement their obligations without delay,[res.12, p.1]

In the above two examples, [**those parties that have not signed the Darfur Peace Agreement to do so**], the substitution device is the verb [**to sign**] which is replaced by [**do**] and hence, is a '**verbal substitution**'. The whole clause [**those parties that have to sign in the Darfur Peace Agreement**] is replaced by [**so**], and it is a '**clausal substitution**'.

Res.15, p.1, Resolution 1779 (2007)

Demanding that there should be no aerial bombings[...],strongly urging those parties who have not yet agreed to participate in negotiations on 27 October 2007 in Libya under AU/UN mediation to **do so** at once, [...][res.15, p.1]

Consequently, in the above last example of the 15th resolution, the implied substituted words are [**to participate**] which is replaced by [**do**] and, hence, is a '**verbal substitution**', [**those parties who have not yet agreed to participate in negotiations**] is replaced by [**so**] and is a '**clausal substitution**'.

4.4. Conjunctions

The extensive use of the cohesive device '*and*' in the UNSC resolutions is another linguistic and stylistic device.

Example 4. Conjunctions

Res.7, p.1, Resolution 1663 (2006)

Emphasizing the need to respect [...], **and** immunities, **and** the Convention on the Privileges and Immunities of the United Nations [...], **and** persons engaged in such operations, [res.6, p.1].

[**the**] is an anaphoric reference that refers to the referent mentioned before, [**its**] is a referential pronoun of the possessive case that refers to the subject of the resolution *The Security Council*.

Res.14, p.3, Resolution 1755 (2007)

Calls upon the parties[...], to respect **their** commitments and implement fully all aspects of **those** agreements without delay; and *calls upon those parties that* have not signed **the** Darfur Peace Agreement to **do so** without delay and not to act in any way **that** would impede **the** implementation of **the** Agreement; [res.14, p.3]

[**the**] is an anaphoric reference that refers to the referent (*parties*) mentioned before. [**their**] is the anaphoric reference of possessive case which refers to *the parties*. [**those**] is an anaphoric reference; the former refers to *agreements*, while the latter refers to *the parties*. [**that**]: the double presences of 'that' are anaphoric references which refer to the *parties*. [**do**] is an anaphoric reference that refers to the verb *signed*. [**so**] is an anaphoric reference that refers to the clausal reference *do so* (=sign the Darfur Peace Agreement).

Requests the Secretary-General [...] and *urges* troop-contributing countries to take appropriate preventive action, including predeployment accountability in cases of such conduct involving **their** personnel; [res.14, p.3]

[**the**] is an anaphoric reference that refers to the referent (*Secretary-General*) mentioned before. [**their**] is the anaphoric referential pronoun of possessive case which refers to (*troop-contributing countries*).

4.3. Substitution

According to Halliday and Hassan (1976), substitution is a replacement of a word or group of words by a single word which implicitly occupies the substituted element as in the previous chapter. In the UNSC resolutions there is a use of the substitution device as in the examples below.

Example .3. Substitution

Res.10, p.2, Resolution 1679 (2006)

Calls upon the parties to the Darfur Peace Agreement to respect their commitments and implement the agreement without delay, *urges* those parties that have not signed the agreement to **do so** without delay and not to act in any way that

and **[in particular resolutions]** 1556 (2004) of 30 July 2004 and statements of its President concerning Sudan, [res.15, p.1]

The deliberately omitted words in the last example are *[The Security Council.]*, which is 'nominal ellipsis', *[is/]*'verbal ellipsis' and **[in particular resolutions]** is the example of 'prepositional ellipsis'.

4.2. Reference

In the UNSC resolutions, there are many references in terms of the anaphoric type, which include the referential pronoun '*it*', the definite article '*the*' and demonstratives as '*that*', *those*, *their*, and so on. That is illustrated in the following examples:

Example 2. Reference

Res.2, p.1, Resolution 1556 (2004)

The Security Council

Recalling its Statement by *its* President [...] of 25 May 2004 (S/PRST/2004/16), *its* resolution 1547 (2004) of 11 June 2004 and *its* resolution 1502 (2003) of 26 August 2003 on **the** access of humanitarian workers to populations in need, [res.2, p. 1]

[the] is an anaphoric reference which refers to a referent (*access*) mentioned before. **[its]** is an anaphoric referential pronoun of the possessive case which refers to the logical subject of the text *The Security Council*.

Res.6, p.1, Resolution 1651 (2005)

Recalling its previous resolutions concerning **the** situation in Sudan, in particular resolutions 1591 (2005) of 29 March 2005 and 1556 (2004) of 30 July 2004, and statements of *its* President concerning **Sudan** [res.6, p.1]

[the] is an anaphoric reference which refers to the referent (*situation*) mentioned before, **[its]** is a referential pronoun of the possessive case, the former refers to the subject *The Security Council*, while the latter refers to the president of the *Security Council*.

Stressing its firm commitment to **the** cause of peace throughout Sudan, [res. 6, p.1]

[civilians], that is the '**nominal ellipsis**'.

Res.6, p.2, Resolution 1651 (2005)

1. *[The Security Council]* Requests the Panel of Experts to report and make recommendations to the Council, through the Committee established by paragraph 3 (a) of resolution 1591 (2005), prior to the termination of its mandate, [...] [res.6, p.2]

on the implementation of the measures imposed by paragraphs 3, [on the...] 6 and [on the ...] 7 of resolution 1591 (2005) and [on the implementation of the measures imposed by paragraphs] 7 and 8 of resolution 1556 (2004); [res.6, p.2]

In the fifth example, the words that are deliberately omitted dare *[The Security Council]* which is '**nominal ellipsis**', and **[on the implementation of the measures imposed by paragraphs]** which is '**prepositional phrase ellipsis**'.

Res.14, p.1, Resolution 1755 (2007)

2. *[The Security Council]*Recalling also **its previous resolutions** 1674 (2006) of 28 April 2006 on the protection of civilians in armed conflict, which reaffirms, inter alia, the relevant provisions of the United Nations World Summit Outcome document, **[its previous resolutions]** 1612 (2005) of 26 July 2005 on children in armed conflict, **[its previous resolutions]**,1502 (2003) of 26 August 2003 on the protection of humanitarian and United Nations personnel, and **[its previous resolutions]** 1325 (2000) of 31 October 2000 on women, peace and security, [res.14, p.1]

The words with the intention of readily implied by the content in the sixth example are *[The Security Council]* and **[its previous resolutions]**, both are ellipsis of noun phrase, so they are examples of '**nominal ellipsis**'.

Res.15, p.1, Resolution 1779 (2007)

3. *[The Security Council]**[is]*Recalling its previous resolutions concerning the situation in Sudan, **in particular resolutions** 1769 (2007) of 31 July 2007,**[in particular resolutions]** 1713 (2006) of 29 September2006, **[in particular resolutions]** 1672 (2006) of 25 April 2006,**[in particular resolutions]** 1665 (2006) of 29 March 2006, **[in particular resolutions]** 1651 (2005) of21 December 2005, **[in particular resolutions]**1591 (2005) of 29 March 2005,

Example 1. Ellipsis

Res.1, p.1, Resolution 1547 (2004)

1. *[The Security Council] [was] Commending* the work, and *[The Security Council]* continued support of the Intergovernmental Authority on Development (IGAD), [res.1, p.1]

Res.2, p.1, Resolution 1556 (2004)

2. *[The Security Council,][was]Welcoming* the Joint Communiqué **issued by** the Government of Sudan and **[issued by]** the Secretary-General of the United Nations on 3 July 2004,[...],[res.2, p.1]
3. *[The Security Council,][was]Welcoming* the Joint Communiqué issued [...]2004, **[which] [was]** including the creation of the Joint Implementation Mechanism, and **[which] [was]** acknowledging steps **[which][were]** taken towards improved humanitarian access, [res.2, p.1]
4. *[The Security Council][was]Reiterating* its grave concern at the ongoing humanitarian crisis and widespread human rights violations,**[which] [are]** including continued attacks on civilians that are placing the lives of hundreds of thousands **[civilians]** at risk, [res.2, p.1]

There are some words consciously omitted in the above four paragraphs. In the first, second and third paragraphs, the readily implied words by the content are *[The Security Council]*, that is the subject of the resolution, so it is the '**nominal ellipsis**', and *[was]* is the implied word readily omitted, so it is the '**verbal ellipsis**', that is the omission of the auxiliary verb *to be* in the past continuous.

In the second paragraph, **[issued by]** is the '**verbal ellipsis**'.

In the third paragraph, **[which]** in its three positions is the '**clausal ellipsis**', that is the ellipsis of the relative clause,**[was]** is the '**verbal ellipsis**' in its first three positions, is the omission of the auxiliary verb *to be* in the past continuous. However, the fourth occurrence of auxiliary **[were]** is the omission of the auxiliary of the verb *to be* in the passive voice tense.

In the fourth paragraph, the readily implied words by the content are *[The Security Council]* is the '**nominal ellipsis**',**[which]** is the '**clausal ellipsis**' of the relative clause, **[are]** is '**verbal ellipsis**' of auxiliary of the verb *to be* in the present continuous and also in the fourth example the deliberately omitted word is

supposes that there are stylistic devices included in UNSC Resolutions, and the researcher is going to investigate [about] them. Those texts of UNSC resolutions, which are used for the analysis of the present paper, were collected, or downloaded from the internet. The data are used to describe and explain how linguistic or stylistic patterns of cohesive and coherent devices are presented in those resolutions to achieve the objectives of the study.

3.4. Methods of Data Analysis

The study adopts 'qualitative' and 'quantitative' methods in analyzing its data. The analysis of coherence and cohesive devices is achieved by using some theoretical frameworks, which include Crystal and Davy's (1969:194), theory of 'linguistic model of analysis' based on examining stylistic features of a given text at every level of linguistic description. As well the 'systemic functional grammar' theory, which adopted by Halliday (1978), who is claimed that, style and meaning are connected to each other since the 'meaning' of any piece of language has linguistic features. This interrelation is explicit in his categorization of the word 'meaning' of any text as categorized into three levels as a) mode (written texts), the way in which the language is used in those legal texts, b) tenor: the participants, included in resolutions, as a given text, and c) field: the political discourse of legal documents of UNSC.

Thus, the objective, [question] and hypotheses of the study will be accomplished by analyzing those texts to identify the coherence and cohesive devices in them.

4. Data analysis

According to Halliday and Hassan (1976), cohesive devices are of five types: ellipsis, reference, substitution, conjunction and lexical cohesion. However the study takes the first four types to analyze them down.

4.1. Ellipsis

According to Halliday and Hassan (1976) and Alabi (2007: 163), ellipsis, as defined previously, is the 'omission of a word or words, used for brevity, reemphasis or ambiguity'. Accordingly, examples in the UNSC resolution support the use of this device in legal documents.

3. Methodology

In this section, the study will explain the methodology that was applied in analyzing its data. The study also presents the resources of the study, the tools and procedures of the data collection and the methods of data analysis.

3.1. Data Collection Instrument

The data is collected from the internet. The traditional techniques are used regarding ways of searching and downloading. Computer is another tool for collecting data, saving a large mass of information, and transferring it to Microsoft Word.

3.2. Description of the Sample

The 'resolutions' are the sample selected to be analyzed in the present study and they are downloaded from the internet website without any fee. The researcher chose 10 resolutions of legal documents randomly as non-literary text types for applying the stylistic analysis theory.

The range of the UNSC resolution's pages differs from one to another; there are between two to five pages. Their frame is described in detail in the table below

Table 1: Description of Selected Data of Resolutions

Resolution Number	Date of Resolution	Number of Pages
Res. (1547)No.1	11 June 2004	2
Res.(1556) No.2	30 July 2004	5
Res.(1651) No.6	21December2005	2
Res.(1663) No.7	24 March2006	2
Res.(1665) No.8	29March 2006	2
Res.(1679) No.10	16 May2006	3
Res.(1709) No.11	22 September2006	1
Res. (1713)No.12	29 September2006	2
Res.(1755) No.14	30 April2007	3
Res.(1779) No.15	28 September2007	2

3.3. Data Collection Procedures

The study assumes that the stylistic meanings in terms of cohesion and coherence that are proposed by legal texts of UNSC are neglected. Further, it

importance or emphasis or ambiguity. Ellipsis can be divided into three types: nominal, verbal and clausal, as the examples, quoted from Halliday and Hassan (1976:149,167,198) show:

- a. *Which 'hat' will you wear? This is 'the best'.* (Nominal ellipsis)
- b. *Have you been 'swimming'? Yes, I have.* (Verbal ellipsis)
- c. *What 'were they doing'? Holding hands.* (Clausal ellipsis)

c) **Substitution:** is a replacement of a word or a group of words as a phrase, a clause, or a sentence by a single word which implicitly occupies the substituted element, Halliday and Hassan (1976:89). They divide substitution into three types: nominal substitution by the words like 'one' or 'same', verbal substitution by using the alternative 'do' and clausal substitution by using 'so'. The examples of those types are presented below as Halliday and Hassan (1976:89, 130) write them:

- a. *My axe is too blunt. I must get a sharper one.* (Nominal substitution)
- b. *You think Joan already knows? I think everybody does.* (Verbal substitution)
- c. *The children work very hard in the garden. They must do.* (Clausal substitution).
- d) **Conjunction:** Conjunction is a cohesive device which links between phrases, clauses and sentences. According to Halliday and Hassan (1976:238), conjunction has four main types: additive (*and, also, further furthermore, moreover*), adversative (*yet, but, however, nevertheless*), causal (*so*), and temporal (*then*).

Here are examples of each type:

For the whole day he climbed up the steep mountain side, almost without stopping.

- a. *'And' in all this time he met no one.* (Additive)
- b. *'Yet' he was hardly aware of being tired.* (Adversative)
- c. *'So' by night time the valley was far below him.* (Causal)
- d. *'Then', as dusk fell, he sat down to rest.* (Temporal)

Those conjunction items are presented in Halliday and Matthiesen (2004) with other terms such as **elaborating** as 'and', **extending** as 'however' and **enhancing** for more explanation.

idiolect, style as ornamentation, style as choice, style as deviation, style as coherence, and style as connotation. Botha (1991:78-79), states that: "style has to do with the choices available to users of language, [...] it deals with the successful communication of texts in context. Leech and Short (1981:10-11) present their own concepts in describing the term style as '[...] it refers to the way in which language is used in a given context, by a given person, for a given purpose and so on'. According to Carter (1989, cited in Batool et al 2014: 52) style depends on linguistic levels such as phonology, graphology, syntax, and semantics, and discourse devices. Moreover, Mills (1995: 3) says that stylistics is the analysis of literary texts scientifically by applying its theoretical representations from linguistic perspective for such analysis. The similar view is presented by Short (1996: 1) in that stylistics is a model of analysis to describe literary texts by using linguistic tools. Further he (1996: 32) mentions that 'there are also linguists who examine non-literary texts'. Similarly, Leech and Short (1981: 10) note that style can be applied to both spoken and written, both 'literary' and 'everyday' varieties of language. Accordingly, since the analysis and interpretation of (literary) texts depend on linguistics taxonomies, hence, these criteria can also be applied to non-literary texts such as religious, business and legal texts as UNSC resolutions which are the subject of the present study. And so, does Strazny (2005: 1043) in Encyclopedia of Linguistics:

[...] stylisticians analyze both the style of specific texts and stylistic variation across texts. These texts can be literary or nonliterary in nature. Generally speaking, style may be regarded as a choice of linguistic means; as deviation from a norm; as recurrence of linguistic forms; and as comparison.

Cohesion

According to Halliday and Hassan (1976:4), cohesion is a semantic technique, which gives unity and integrity to a text. It means the relationship between lexis in a specific text and that what makes it to be considered as a text itself. They explain that 'cohesion occurs where the interrelation of some element in the discourse is dependent on that of another'. Halliday and Hassan (1976) divide cohesion into five devices but the study presents only the first four:

- a) **Reference:** it is a referential meaning that refers to the particular thing or class of things, Halliday and Hassan (1976:31-33), reference is the specific feature of information that is an indicator for retrieval, i.e. it explains the relationship between things.
- b) **Ellipsis** according to Alabi (2007), it involves the intentional omission of a word, a phrase or a clause, which is implied by the content. Ellipsis creates shortness,

1. Introduction

Stylistic analysis is a new branch of linguistics, which is based mainly on the interpretation of texts from a linguistic perspective. The study investigates stylistic analysis with special focus on selected texts; such example of political discourse takes the shape of the legal language of United Nation Security Council (UNSC) resolutions against the Government of Sudan from 2004 to 2009. UNSC resolutions are forms of negotiations that are used to save international peace and security by suggesting solutions to the conflicting parties. Bhatia (2006: 1, cited in Zidan 2015: 21) notes that legal language has a variety of genres, and adds that 'judgments and cases' also are included in the legal genre...'.

Crystal and Davy (1969: 194) state that legal language is a figure of language which is about as removed as feasible from informal impulsive dialogue. According to Mattila (2006: 3) legal language is a 'functional variant of natural language'. Furthermore, the structure of such a specific genre has its own principles and rules as it has been noticed: 'some elements of a genre are obligatory, some are optional, and some recur and are therefore iterative' (Hassan 1985/89, cited in Lisina 2013: 24).

According to above definitions of legal language of UNSC resolutions, the study has gone to prove two assumptions: firstly, the nature of the language that is used in the UNSC resolutions has influenced the occurrence and absence of stylistic devices as a deviation of the norm. Secondly, the linguistic and stylistic devices in term of cohesive devices in the UNSC resolutions have contributed to a more connected political discourse despite of some deviations (e.g. word disorder) from linguistic rules.

2. Conceptual Framework

It has been noticed that the term stylistics is derived from the word style, and stylistics itself is defined as the scientific study of style, according to stylisticians such as Crystal and Davy (1969), Leech and Short (1981), and Carter (1988). while the general meaning of style is 'manner or mode' or 'a manner of expression' (Leech and Short 1981:16), the literary meaning of style refers to how a writer's thoughts shape the words. Therefore, this concept is better supported by Turner (1973:22) in saying that 'when a man's thoughts are clear, the most proper will generally offer themselves first'. Also, it has been noticed that style has a variety of meanings throughout the history in and outside the literary text, such as legal, religious, business, economic and so on. Enkvist (1964:28, cited in Saito 1997:13) in his monograph, 'Linguistics and Literary Style', defines and classifies the word style into six types as the least common multiple of conventional definitions, such as style as

The Style and Cohesive devices' Role

in UNSC Documents

Dr. Sana Altigani Fad-Allah

Independent Scholar

Abstract

The main aim of this stylo-linguistic study is to provide a key for more understanding of the United Nations Security Council (UNSC) resolutions against the government of Sudan from 2004 to 2009, based on the interpretation of these texts from a linguistic perspective. Therefore, stylistic analysis; focusing on cohesive aspects, is adopted and applied to some of these selected political texts. The study adopts both qualitative and quantitative methods to analyze the data collected freely from the internet with the aim to illustrate the stylistic effects on those resolutions. Therefore, ten of these resolutions are randomly chosen. It is found that Stylistics can be applied to non-literary texts. And stylistic analysis from the cohesion perspective reveals that the resolutions achieve a high level of textual unity and clarity. The use of these cohesive mechanisms not only connects sentences and paragraphs, but also reinforces the formal authoritative and institutional tone of United Nations discourse. It is also fruitful in the analysis of political discourse in term of legal texts to focus on grammar as well as cohesion, for paying attention and emphasizing important information.

Keywords: Stylistics, cohesion, analysis, UNSC, resolutions

المستخلص

الهدف الرئيس لهذه الدراسة الأسلوبية-اللغوية هو تقديم مفتاح لفهم أعمق لقرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة والتي صدرت ضد حكومة السودان في الفترة من ٢٠٠٤ إلى ٢٠٠٩، وذلك من خلال تفسير هذه النصوص من منظور لغوي بحت. ولذا فقد تم اعتماد التحليل الأسلوبي، مع التركيز على جوانب التماسك النصي، وتطبيقه على عشرة من هذه النصوص السياسية المختارة عشوائيًا. اعتمدت الدراسة كلاً من المنهجين النوعي والكمي لتحليل البيانات والتي جُمعت من شبكة الإنترنت بهدف توضيح الآثار الأسلوبية في تلك القرارات. توصلت الدراسة إلى أن علم الأسلوبية يمكن تطبيقه على النصوص غير الأدبية، وأن التحليل الأسلوبي من منظور التماسك يكشف أن هذه القرارات تحقق مستوى عاليًا من الوحدة النصية والوضوح. كما أن استخدام آليات التماسك لا يربط بين الجمل والفقرات فحسب، بل يعزز أيضاً النبرة الرسمية السلطوية والمؤسسية لخطاب الأمم المتحدة. ويُعد التركيز على الجوانب النحوية إلى جانب التماسك أمراً مثمراً في تحليل الخطاب السياسي، لا سيما في النصوص القانونية، لما لذلك من دور باين في إبراز المعلومات المهمة وتأكيدھا.

الكلمات المفتاحية: الأسلوبية، التماسك، التحليل، مجلس الأمن، القرارات

Publication Rules and Conditions

ADAB is a peer-reviewed scientific journal issued bi-annually in June and December by the Faculty of arts, University of Khartoum. It accepts research in Arts, Fine arts and humanities as per rules and conditions given below:

1. Manuscript submitted for possible publication has not been published or submitted for publication elsewhere.
2. Manuscript submitted for possible publication in the journal is subject to peer-review conducted by specialised researchers based on objective criteria.
3. Two printed copies of the manuscript along with a CD containing the research should be handed over or emailed to;
journal.art@uofk.edu or prof.siddig.alrayyah@gmail.com.
4. Manuscript should be 5000-10000 words long, with a single page abstract of 200 words in Arabic and English, followed by 5 key words highlighting the most important themes addressed by the manuscript. It should be also taken into account that the first page must contain the title of the manuscript, researcher's name, name of university or academic institution and the e-mail address.
5. The journal publishes book reviews of a maximum of 2000 words published within two years. The book's title, author's name, place and date of publication and the number of pages should appear at the top of page. The review process includes presentation, analysis and criticism and detailed summary of the book's content, paying attention to the credibility of the author's sources and his/her conclusions.
6. Manuscript should be documented scientifically by including the sources and references used by the researcher organised alphabetically at the end of the manuscript. Sources of a manuscript written in a foreign language should be organised in one of the standard formats (e.g. APA, MLA, MCF, etc.).
7. Research published by the journal expresses only the opinions of its author; they do not necessarily reflect the opinion of the journal, or any other institution associated to the researcher.
8. Editorial board has the right to make necessary editing and modifications; and decision to accept or reject the manuscript is made upon the recommendation of the referee.
9. Paying the publication fees imposed on non-Sudanese researchers, Sudanese researchers abroad, or researchers from outside the university, each according to his category.

Contents

Foreign Section

10. The Style and Cohesive devices' Role in UNSC Documents Dr. Sana Altigani Fad-Allah	321
11. The Architecture of the Self: Defense Mechanisms and Post-Traumatic Growth in Angelou's Narrative I Know Why the Caged Bird Sings. Amel Mohamed Saeed Bayoumi	336
10. The Style and Cohesive devices' Role in UNSC Documents Dr. Sana Altigani Fad-Allah	321

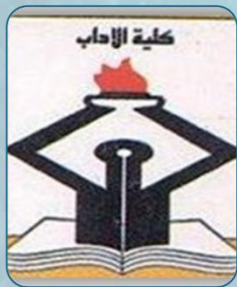
Arabic Section

١. أثر المثال المصنوع في قسمة حروف المعاني. د. أنور بن محسن أحمد العزاني.....	١
٢. عود الضمير على الاسم تقديمًا وتأخيرًا. دراسة وصفية. أ.د. محمد حمدنا الله رملي	٢٦
٣. آلية تعريب اللفظ العجمي عند العرب. دراسة وتحليل من كتاب الجواليقي: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم. د. عباس محمد إسماعيل موسى.....	٥٨
٤. السلوك الصحي لدى مرضى السكري بمركز علاج السكر بمستشفى عطبرة التعليمي. صفاء عبد الحميد سيد أحمد الصاوي، د. عمر محمد علي يوسف.....	٧٤
٥. الفضائيات العربية التنصيرية ودورها في التأثير على الهوية الدينية للمسلمين دراسة حالة قناة الحياة المسيحية- (برنامج ليكن نور). أ.د. أبكر عبد البنات آدم، د. المعز حمودة على حمودة، د. أسامة الطيب	١١٧
٦. فلسفة الأضداد وفق رؤية العالم والإنسان من خلال رسائل النور. استعادة قراءة النص النورسي فلسفياً.	
د. عصمت محمود أحمد سليمان.....	١٤٩
٧. الصمود النفسي لدى ذوي الإعاقة البصرية بمدينة كسلا. د. أحمد عبد المنعم محمد أحمد، أ. عبد الله يوسف	
عبد الله أبو شوك	١٨٨
٨. القصة القصيرة جداً: جذور تراثية وتجليات معاصرة (دراسة موازنة). د. سلوى عثمان أحمد.....	٢٣١
٩. الشهيناب: الملخص والاستنتاجات. أنطوني جون أركل ١٩٥٣م. ترجمة ودراسة نقدية. أ.د. أزهرى مصطفى	
صادق	٢٦٨



Issue No. 55. Vol. 1. July. 2026

Editorial Board	Advisory Board
Editor-in-Chief Prof. Siddig Mustafa Elrayah Managing Editor Prof. Azhari Mustafa Sadig Ali Editorial Members Prof. El-Sadig Yahya A. Ezza Dr. Mohammed Alfatih Hayati Dr. Afaf Mohammed Elhassan Ibrahim Dr. Rasha Albaroudi Dr. Nadra Abdalla Ali Dr. Waleed Omer NourAldaim Dr. Ahmed AbdelMouniem Secretary Waleed Modather Sara Mamoun	Prof. Fadwa Abdel Rahman Ali Taha Prof. Ali Osman M. Salih Prof. Galal El-Din El-Tayeb Prof. Rugaia Elsayed Etayeb Alabass Prof. Hamadalneel M. Alhassan Prof. Hussein Al Noor Youssef Prof. Yahia Fadl Tahir Prof. Mubarak Husayn Najmalddin Dr. Younis Al-Amin Dr. Mahasin Hag Al-Safi Dr. Hassan Ali Eissa
Contributions: Addressed to the Editor: Faculty of Arts, University of Khartoum. P.O. Box 321 or by e-mail: siddig.alrayyah@uofk.edu or journal.art@uofk.edu	



ADAB

Journal of Faculty of Arts, University of Khartoum

ISSN 0302- 8844

A Scientific bi-annual Refereed Journal Issued by the Faculty of Arts. University of Khartoum



Issue **55**
Vol.1

July 2026